موسوعة

مرآة الحرمين الشريفين

وجزيرة العرب

صنفها باللغة التركية العثمانية

أيوب صبري باشا

(المتوفى سنة ١٢٩٠هـ/١٨٩٠م)

أشرف على ترجمتها

الدكتور محمد حرب

الجزء الخامس



جميع الحقوق محفوظة للناشر

طبعة

١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م



القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت

(من شارع الطيران) - مدينة نصر

تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٧٤٢٢

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 344 - 086 - 9

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

: ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨٢٤١ - ٨٣٣٨٢٤٢

e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

مرآة مكة والمدينة وجزيرة العرب

الجزء الخامس (مرآة جزيرة العرب)

قـــام بترجمتها

الدكتورة ماجدة مخلوف

الدكتور حسين مجيب المصري

الدكتور عبد العزيز عوض

راجعها على نصها العثماني

أديب عبد المنان على أوزلي

راجعها وأعدها للنشر

محمود جيـــرة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مرآة الجزيرة العربية

أبتهل إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يحمى ولى نعمتنا السلطان عبد الحميد خان الثانى مجدد العصر ومقيم العدل وناشر الحضارة والمدنية، وأن يحفظ عرشه وسلطنته من كل سوء.

كنت قد ذكرت فى التاريخ الذى كتبته بعنوان مرآة الحرمين، تحت ظل وحماية سلطاننا، فى كل صفحة من صفحاته أحد المواقع من جزيرة العرب كلما تعلق به الموضوع. ولكن من المحال أن يحيط الإنسان علمًا بأحوال الخطة الحجازية الواسعة وحقائقها التاريخية بمطالعة بعض التوضيحات التى قدمت عن الأماكن المقدسة والآثار المفخمة للحرمين الشريفين مطالعة سطحية، قبل أن يتعرف على الأحوال التاريخية والتقسيمات الجغرافية لجزيرة العرب؛ لذلك كتبت هذا التاريخ المختصر وضمنته أحوال شبه جزيرة العرب وألحقته بالمرآة.

وقد رتبت هذه الإضافة وحررت وهى جديرة أن يطلق عليها خلاصة الخلاصة، على أن تكون من حيث محتوياتها ذيلاً للمرآة. وقصدت فى ذلك إلى مد الراغبين فى مطالعة المرآة بمعلومات مجملة كافية عن أحوال جزيرة العرب التاريخية والجغرافية.

الكتب التى نشرت سواء أكانت من قبل المؤرخين المتقدمين أو المتأخرين عن الجزيرة بالعربية تخبرنا إلى درجة ما عن بعض أخبار العرب وأحوالهم، إلا أنها لم تضبط ولم توضح فى صورة لائقة قوانين العربان، وأنظمتهم المرعية وعاداتهم الجارية فى جزيرة العرب فى العصر الحالى، لأجل ذلك قد سطرت معناها على وجه الاختصار فى هذه الجزء من المرآة.

فانجلت صفحات المرآة عن صورة: الأحوال السياسية والتاريخية للعشائر والقبائل العربية التى اتخذت شبه جزيرة العرب مسكنًا ومأوى فى الجاهلية والعصور الإسلامية، وانقسامات قبائلها مع أنسابها، تقسيمات الجزيرة الجغرافية وحال سكانها وشأنهم وتعدادهم وعاداتهم القديمة ومعتقداتهم وقوانينهم وأنظمتهم المرعية وبالله التوفيق.

الوجهة الأولى

١ ـ ذكر أنساب أمم العرب السابقة والقرون السالفة منهم وذكر أحوالهم.

٢ ـ تعريف أحوال القبائل العربية وأطوارها فى الأزمنة الجاهلية والعهود الإسلامية.

٣ ـ ذكر الملوك الجبابرة التى كانت تحكم جزيرة العرب قبل ظهور الدين الإسلامى.

فى ذكر أنساب الأمم السابقة والقرون الماضية
من أنساب العرب وأحوالهم

أقوام العرب:

العرب البائدة والعرب العاربة والعرب المستعربة والعرب المستعجمة.

وهذه أقسام العرب فى أربع طبقات.

العرب البائدة

طبقة العرب البائدة أولى القبائل العربية التى وجدت بعد أن انقسمت الأقوامّ شعوبًا وقبائل بعد نوح (عليه السلام) وهى أقدم تلك الأقوام. وليس هناك بخصوص أحوال أفراد هذه الطبقة وشئونهم معلومات صحيحة، إلا أن المؤرخين يخمنون أن عاد الأولى وثمود وعمالقة وطسم، جديس، أميم، بنى جرهم الأول وحضرموت تشكل جماعات هذه الطبقة، ويتصل نسب هذه الهيئة العامة وسلسلتها المتسلسلة بـ «لاود» و أخيه «إرم بن سام بن نوح» عليه السلام.

عاد الأولى- ابن عوص بن أرم بن سام بن نوح.

وقد توطنت القبيلة التى تفرعت من عوص فى أراضى الأحقاف وأطلق عليها (عاد الأولى). وقد نجا بكر بن معاوية بن بكر بن عاد مع بعض أصدقائه من الهلاك عندما تعرضت عاد الأولى إلى القهر الإلهى وغضبة الله.

ودام هؤلاء الأقوام فترة وأطلقت على الطائفة الثانية بعد هلاك عاد الأولى «عاد الثانية».

ثمود بن جاثر بن أرم بن سام:

وكان قد سكن أفراد القبيلة التى تنتسب إلى ثمود فى وادى القرى الواقع بين

الحجاز والشام. وكان الذين نجوا من بعد هلاك قوم ثمود سكنوا فى مكان يسمى «الرَّسِّ» إلا أنهم أيضا هلكوا فيما بعد.

العمالقة:

لقب جميع البطون التى تفرعت من عمليق بن لاود بن سام، وقد شكلت بطون العمالقة جماعات القبائل التى تناسلت من أبناء عمليق هم: أرزق، طغار، لف، بديل، راحل، هزان، أرقم، جاسم.

وكان يتوطن أبناء أرزق بن عمليق فى الحجاز، وطغار، بديل و راحل بنو عمليق وأحفادهم بجوار نجد، وجماعة لف بنو عمليق بيثرب، والطائفة المنسوبة إلى أرقم بن عمليق يتوطنون فى منطقة تيماء من الحجاز.

طسم:

علم خاص للأقوام التى تفرعت من لاود بن سام.

جديس:

على وزن أمير ابن إرم بن سام وكانت القبائل التى تفرعت منه قد استوطنت اليمامة.

أميم:

على وزن كريم، فهو أبو الشعوب التى يطلق عليها بنى وبار وكان لأميم عدة أبناء، إلا أن المؤرخين قرروا أن اسم وبار هو الاسم الوحيد الصحيح، وربطوا سلسلة سلالة القبائل التى تنتهى إلى أميم بوبار.

بنو جرهم الأول:

يطلق على القبائل التى تفرعت من قحطان بن عابر بن أرفخشذ بن سام بنو جرهم الأول، أسس قحطان حكومة فى اليمن قبل الهجرة بـ (٣٠٥٩) سنة وبعد فترة انتقل إلى دار البقاء. وجلس مكانه ابنه «يعرب» ونصب أخاه جرهم

واليًا على الحجاز، ومع مرور الأيام استقل جرهم وأطلق على القبائل التى تفرعت منه جرهم الثانية.

حضرموت:

حضرموت ابن قحطان، حينما أصبح أخوه يعرب حاكم اليمن عينه واليًا على جبال شحر. وهذا أيضًا استقل عن أخيه فى جبال شحر واستبد بالحكم.

ولم تتحمل هذه القبائل فى بابل قهر بنى حام وتحكمهم فعادت مرة أخرى إلى جزيرة العرب، وأول ورودهم إلى الجزيرة عاشوا كالبدو فى الصحارى، ولكنهم بمرور الأيام ازدادوا قوة واستولوا على كثير من الأراضى، وسلكوا طريق الاستقرار والمدنية وأسسوا فى الجزيرة العربية حكومة كبيرة، وفى فترة ما استولوا على مصر والشام وحكموهما إلى زمن يعرب ابن قحطان، وفى النهاية زالت شوكتهم واضمحلت دولتهم فتشتتوا.

أفراد هذه الطبقة أقدم الأمم السالفة، ولما كانت اللغة العربية لغة خاصة بهم فقد أطلق عليهم اسم العرب العاربة، ومع الأيام لم يبق لهم شأن فقيل لهم «الهالكة» لتمييزهم عن الطبقات الأخرى، كما يسمون أيضًا بالبائدة.

قال بعض المؤرخين إن الذين فتحوا مصر من طائفة العرب العاربة.

العرب العاربة

طبقة العرب العاربة هم الطبقة التى تنتهى جميع قبائلها إلى قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام.

ولما اختلط هؤلاء بأفراد العرب البائدة وتلقوا عنهم اللغة العربية وتعلموها قيل لهم العرب العاربة.

ويروى أن أبا قطحان هو عابر بن شالخ، وبناء على هذا فهو ينتمى إلى سام بن نوح ـ عليه السلام ـ لما كان أولاد وأحفاد قحطان يعيشون فى الصحارى

والفيافى فلم يستطيعوا أن يحرزوا شرف القوة والحشمة فى أول حياتهم. ولكن قوتهم وسطوتهم زادت فيما بعد، فزادت قبائلهم وشعوبهم وتكاثروا وارتفع شأنهم وزادت شهرتهم فى الوقت الذى مالت فيه طبقة العرب البائدة إلى الزوال والاضمحلال، فوسعوا دائرة ملكهم غاية السعة.

واستولوا على اليمن حيث أسسوا دولة عظيمة، وقحطان بن يعرب منهم، كما أن قبائل بنى سبأ تنتمى إلى بطون طبقة العرب العاربة.

وأصل اسم سبأ عبد شمس وأبوه يشجب بن يعرب بن قطحان، وبما أنه هجم على القبائل والممالك واستولى عليها وأخذ منها الأسرى كان سببًا فى تسميته سبأ.

وبعد سبأ ظهر فى الميدان أبناؤه حمير، كهلان، زيدان، أشعر، عاملة وتشعبت من كل واحد منهم قبيلة مشهورة معروفة، وكل القبائل العربية التى تعيش الآن فى اليمن تنحدر من سلالة تنتهي إلى أبناء سبأ.

ويطلق على أفراد طبقة العرب العاربة حسب النسب والانتماء إلى بنى سبأ العرب العاربة القحطانية أو اليمانية.

وأحفاد قحطان بن عابر وفروعه وشعوبه لا يعدون ولا يحصون، فسكن بعضهم فى عمان وبعضهم فى نجران، وبعضهم فى رس اليمن وحول الممالك الأخرى حيث انتشروا واستقلوا، وفصلت من كل واحد منهم بطون، وشكل كل واحد منهم قبائل مستقلة، وحجم مرآة الجزيرة غير كاف لاستيعاب أصول هذه القبائل وفروعها، ولما كان أكثر هذه القبائل قد نُسِيَتْ بتباعد الأزمان، وتسامح النسابين فالذين يريدون أن يحصلوا على تفصيلات كافية فى هذا الخصوص عليهم أن يراجعوا الكتب العربية القديمة.

العرب المستعربة

تكونت طبقة العرب المستعربة من اختلاط نسل حضرة إسماعيل بن إبراهيم «على نبينا وعليهما التحية والتبجيل» بأقوام العرب العاربة.

ولما كانت سلسلة نسب العرب المستعربة مرتبطة بـ «عدنان ونزار» فيطلق عليهم «العدنانية، كما يقال النزارية» أيضًا.

ومن أوائل العرب العاربة قبائل بنى جرهم بن قحطان والجماعات التى تتبعها، وقد اختارت هذه القبائل السكن بجوار كعبة الله، واتخذت هذه القبائل إسماعيل «عليه سلام الله الجليل» صهرًا وزوجًا لإحدى بناتها، واختلط إسماعيل «عليه السلام» وأحفاده ببنى جرهم، وتركوا التحدث بلغتهم العبرانية، واعتادوا التحدث باللغة العربية الخاصة بالجراهمة، وأطلق المؤرخون على نسل إسماعيل والقبائل التى تشعبت منه اسم العرب المستعربة.

إلا أن ابن خلدون يذكرها باسم العرب التابعة للعرب، وبين الفترة التى بدأ فيها إسماعيل «عليه السلام» السكن فى مكة المكرمة وبين هجرة النبى ﷺ ما يقرب من ألفين وسبعمائة و ثلاث وسبعين سنة.

أنجب إسماعيل «عليه السلام» من زوجته الجرهمية اثنى عشر ابنا، وقد تكاثر أولاد هؤلاء الأبناء بمرور الزمن وأصبحوا قبائل وشعوبًا متعددة، وظهرت منهم قبيلتان كبيرتان هى «عدنان» و«قحطان» اللتان تحيطان وتحويان جميع الشعوب والقبائل العربية.

وبناء على هذا التقدير فالشعوب العربية فى القطر الحجازى من أولاد عدنان من نسل إسماعيل «عليه السلام».

كما أن العرب الذين يسكنون فى اليمن وحضرموت وجهات عمان وسائر جهات الجزيرة العربية من أحفاد بنى قحطان.

وقد انفصلت عن قبيلتى عدنان وقحطان اللتين سبق ذكرهما قبائل عديدة وشعوب كثيرة، وكل واحدة من هذه القبائل ذكرت باسم وشهرة آبائها الأول.

استولى القحطانيون فى عصور الجاهلية على رياسة مملكة من الممالك

وحكومة من الحكومات، وأصبحوا ولاة على أجزاء كبيرة من جزيرة العرب، وأخضعوا الأمراء العدنانيين لطاعتهم وتبعيتهم.

العرب المستعجمة

ظهرت طبقة العرب المستعجمة من كثرة اختلاط أفراد العرب المستعربة بأفراد الممالك الأجنبية وأهليها ومن ظهور الأخطاء فى لغتهم التى يتحدثون بها، لأن القبائل العربية انتشرت فى البلاد التى استولت عليها فى الجزيرة العربية لإعلاء كلمة الله عقب سطوع أنوار الإسلام، وحيث صادفت أقواما أجنبية وجماعات واختلطت معها اختلاط مودة وألفة، والهيئة العمومية للطبقة المذكورة لم تترك الجزيرة العربية، ولم تجلُ عنها ولكنها انتشرت فى الأراضى الواسعة التى استولت عليها، وأخذت تختلط بالملل المختلفة مِنْ ذَوِى الأَلْسُن المختلفة اختلاط مودة وألفة، ونتيجة لذلك زادت قدرة العرب المستعجمة باتساع البلاد التى سكنوا فيها، وتغيرت فصاحة لغتهم وبلاغتهم واختلطت لغة الإعجاز المضرى بالألسنة الأخرى، وكونوا طبقة «العرب المستعجمة».

ونزل القرآن الكريم باللسان المضرى اللسان عذب البيان لطبقة العرب المستعجمة.

وقبائل العُرْبَان التى تسكن اليوم الجزيرة العربية تنتسب كافة لطبقة العرب المستعجمة. والقبائل العربية التى تكون هذه الطبقة وإن لم تترك وطنها الأصلى جزيرة العرب إلا أنها عاشت مختلطة بالملل المسلمة والعربان الأجنبية، إلا أنه قد طرأ بعض التغير على لغتهم، ومع هذا فلغتهم بالنظر للغة العرب الذين يسكنون فى بلاد أخرى أكثر فصاحة.

وبما أن أسماء القبائل التى تنتسب إلى العرب العاربة قد سبق ذكرها فلا حاجة لذكرها مرة أخرى فى بحث القبائل العربية الذى سيأتى فيما بعد إلا أننا سنذكر مواطنها.

وما هو الاسم الذى تذكر به قبائلها؟ وما هى الأنظمة والقوانين التى يتبعونها

ويخضعون لها؟ وكم بلغ عدد نفوسها؟ كما سنذكر بعض الحقائق عن أخلاقها وعاداتها وأطوارها.

إذا ما قرنا بين ما ذكره المؤرخون من أحوال العرب السابقين وأفعالهم وأطوارهم وبين أحوال العرب الذين يعيشون اليوم وعاداتهم نكاد لا نجد فرقًا بينها.

حتى إن القبائل الجديدة التى تفرعت وتشعبت من القبائل القديمة رغم مرور الزمن تحمل نفس أسماء القبائل القديمة.

فى تعريف أحوال القبائل العربية وأطوارها
فى الأزمنة الجاهلية والعهود الإسلامية

كان العرب سواء أكانوا فى الجاهلية أو الإسلام ينقسمون إلى قسمين: أهل المدن يعنى أهل المدن والأمصار، وأهل الوبر يعنى سكان البادية الذين يعيشون تحت الخيم ودائمى التنقل.

وكانت القبائل البدوية فى الجاهلية تتبع أديانًا مختلفة. فمثلاً عربان حمير كانوا يعبدون الشمس كما جاء فى القرآن الكريم ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ (النمل: ٣٤) كما وصف الهدهد بلقيس الحميرية لسليمان «عليه السلام». وكان عربان قبيلة «لخم» يعبدون المشترى، وعربان «كندة» يعبدون القمر. كما كانت قبيلة حنيفة والقبائل الأخرى تعبد الأصنام وقبائل أخرى على اليهودية والنصرانية، كما ظلت بعضها متمسكة بعبادة الأوثان، واعتنقت قبيلة ربيعة والغساسنة النصرانية، كما اعتنق الحميريون وبنو كنانة بنو الحارث وكندة اليهودية، واعتنق عربان تميم المجوسية، وظل القرشيون متزندقين وشاعت عبادة الأوثان بين العرب.

ولما أشرقت شمس الهداية الإسلامية من الآفاق، وأزالت بأنوارها المحمدية ظلام الكفر والجهالة، وشملت أنوار الشريعة المحمدية أقطار العالم الأربعة، دخل سكان جزيرة العرب عامة إلى حصن الإسلام المتين، وانقادوا للشريعة الإسلامية الغراء، وبهذا نالوا أقصى مطالبهم وأدركتهم السعادة الدنيوية والأخروية، وعملوا على نشر أنوار الدين المبين فى أقطار العالم الأربعة لنيل رضى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وفتحوا بلادًا كثيرة.

وأخذت قوتهم وقدرتهم وصولتهم تزيد شيئًا فشيئا، وبدأت دولتهم القوية تتسع يومًا بعد يوم، وتغلبوا على الملاك المعاصرين والسلاطين، وتقدموا فى ميادين الفنون والصنائع والعلوم تقدما عظيما، وإن الآثار الجليلة التى تركوها لتدل على أنهم أرادوا أن يوصلوا ملتهم وأقوامهم فى سلم المعرفة والمدنية إلى الدرجة الأولى، لذلك بذلوا كل ما فى وسعهم حتى يصلوا إلى المراتب القصوى فى ميادين الفنون والعلوم والكشوف والاختراعات.

المدارس التى أسست فى بغداد، والمعاهد التى فتحت فى الأندلس وما بذل من الجهود فى سبيل التقدم فى العلوم والفنون يعلن كيف خدم العرب الفكر، وكل هذه الجهود من المباحث التى تزين صفحات التاريخ المنيرة وتوشحها.

ولكن لشدة الأسف فترت هممهم مع مرور الزمن، وأخذ الأوربيون يطورون العلوم والفنون التى تعلموها منهم، وأوصلوها إلى درجة عظمى نتيجة لسعيهم وحرصهم على العمل.

أهل المدر

النوع الأول من سكان جزيرة العرب هم الذين يطلق عليهم أهل المدر والذين يعرفون فيما بينهم بـ «حضرى ـ بلدى» ويسكنون فى المدن والقرى ويعملون ـ على قدر ما يساعد مناخ بلدهم واستعدادهم ـ بالزراعة وتربية أشجار النخيل والعناية بالحدائق والبساتين، ويبذلون جهودهم لتأمين معيشتهم بما ينتجون من محاصيل، كما أنهم يؤمنون معيشتهم من جهة أخرى بالتجارة مع سكان البلاد المجاورة، فيسافرون إلى البلاد التى يرغبون فى الذهاب إليها، ويعرضون خضوعهم للملوك والأمراء والسلاطين الذين يتبعون لهم، كما أنهم يبذلون السعى والجهود لاكتساب المهارات والمعارف والفنون على قدر طاقاتهم ليوسعوا دائرة معيشتهم، وليصلوا إلى درجة من الثروة والغنى واليسار.

أهل الوبر

النوع الثانى من العرب هم العربان والبدو أى «أهل الوبر» وهم عرب البدو

والفيافى والصحارى التى تسكن تحت الخيم، ولما كان أهل الوبر سكان الصحارى عديمى الرغبة فى اكتساب العلوم والفنون فهم يختلفون اختلافا كليا عن أهل المدر فى سبيل تأمين وسائل معيشتهم، فالمساكن التى يسكنونها خالية تمامًا من علامات الجمال، فهى قد أعدت فقط لتقى أجسامهم من شدة حرارة الشمس، ومن تأثير اختلاف الجو وتغيراته ويعيش أغلبهم تحت الخيام التى نسجت من صوف الأغنام أو وبر الجمال أو شعر الماعز أو الخيول.

ويعيش بعضهم فى أكواخ[1] صنعت من سعف النخيل، كما يعيش آخرون فى مساكن بنيت من الحجارة والطين، ومفروشاتهم الحصير الذى نسج من سعف النخيل والأكلمة[2] المصنوعة من الصوف، وملبوساتهم عبارة عن قميص طويل ومشلح وكوفية ومداس، وقمصانهم الطويلة من قماش أزرق ومشالحهم من الصوف، وكوفيات بعضهم من الخيوط القطنية وكوفيات الآخرين من الحرير، والنعال التى يطلقون عليها «المداس» تصنع من جلد الجمال أو جلود الحيوانات الأخرى.

وبما أن الرجال والنساء قد تعودوا على أن يلبسوا قمصانًا وجلابيب فى غاية الطول فإنهم لا يعرفون معنى السراويل، ويتركون صبيانهم الذكور عرايا دون ملابس؛ إلا أن الصبايا يتمنطقن بحزام من جلد ذا شراشيب فيسترون عوراتهن ويخفينها، إنهم لا يزيدون فى أكلهم وشربهم عن حاجتهم الضرورية شيئا، لذا ترى طعامهم زهيدا جدًا وكذلك شربهم، وبما أنهم مكبون على تهيئة الأغذية الطبيعية التى تحفظ لهم حياتهم والتى هم إليها فى أشد الحاجة فأغلبهم يربون الجمال والغنم والماعز، ويدبرون معيشة أولادهم وعيالهم بمنتجاتها، كما أن بعضهم يدبرون قوتهم وقوت أولادهم بالرعى والزراعة والفلاحة. والذين يتعايشون بمنتجاتهم من الحيوانات مثل الجمال والغنم والماعز فى حالة ترحل

(١) يطلق أهل الحجاز على هذه الأكواخ اسم «عشة» أما أهل اليمن فيسمونها «عريش»، وإذا كانت هذه الأكواخ من حجر فيسمونها «مخزن».

(٢) تعرف هذه البسط بين البدو باسم «شملة».

دائم، ويسوق هؤلاء مواشيهم إلى الأماكن التى تمتاز بنقاء هوائها ووفرة مائها وكثرة أعشابها، والذين يشتغلون بالزراعة والفلاحة يسكنون القرى والأراضى الصالحة للزراعة. حتى إن عربان قبيلة عنزة التى تسكن فى الأراضى الواقعة فى شمال جزيرة العرب تمضى الصيف فى الشام وبغداد والجزيرة ذات الأراضى المعشوشبة، وتعود فى الشتاء إلى مواطنها الأصلية وتمضى الشتاء فى الوديان ذات العشب الوفير والماء الغزير.

والبدو تنحصر معايشهم فى منتجات الجمال والغنم والماعز فهم يقيمون فى الخيام، ولا يجدون أية صعوبة عندما يرتحلون من مكان إلى آخر. ولما كان هؤلاء يقضون حياتهم دائمًا فى الفيافى والصحارى منعزلين عن الحضارة لم يستطع أى ملك من الملوك أو سلطان من السلاطين الذين يخضعون لهم أن يدخلوهم تحت طاعتهم مثل الأقوام المتمدنة الأخرى.

أما انقياد البدو فى صدر الإسلام وخضوعهم لدولة الإسلام فيعود السبب فيه إلى ما كانت تتمتع به الدولة من السطوة القاهرة والقوة العظيمة.

والواقع يقتضى أن تكون الدولة التى تحكم جزيرة العرب صاحبة قوة قاهرة، وإذا فرضنا أن ولاة البلاد العربانية ذوو قدرة وقوة، ولكنهم يهملون فى الضبط والربط أو يتساهلون فيهما حتى لا يخلفوا لأنفسهم مشاكل تكون سببًا فى أن عامة العربان يرفعون راية العصيان ويخالفون جميع الأوامر والآراء، وينقادون لمن اختاروه من بينهم شيخًا لهم.

إن المشيخة بين العرب على الأقل شىء موروث أخذوه كابرًا عن كابر، ولما كان كل شيخ راغبًا فى حماية مصالحه الخاصة تراه يعمل على أن يستقل، ووفقًا للمثل القائل «الحكم لمن غلب» فالشيوخ الضعاف والصغار يمضون حياتهم تحت حماية الأمراء الأقوياء الشكيمة من العربان.

وإن كانت طبيعة البدوى تتسم بالخشونة والرعونة، إلا أن هذه الخشونة ليست بدرجة تمنعه من الخضوع والانقياد لأوامر السلاطين العظام، ولديهم قابلية ـ بما

يتمتعون به من دراية فطرية وذكاء جبلّى ـ لقبول شرف المدنية بسهولة، وأكبر دليل على ذلك دخول بعض أفراد القبائل تحت طاعة الدولة دون أن ينخدعوا بحيل مشايخهم، وذلك عندما ساقت الدولة العثمانية جنودها سواء أكان إلى عسير واليمن أو نواحى البحرين، وأخذوا ينشرون العدالة فى الأماكن التى تمركزوا فيها، وذلك عندما رأوا ما يتمتع به الذين يعيشون تحت طاعة أوامر الدولة من راحة وطمأنينة واستقرار.

ويتردد بعض البدو فى تصديق سطوة السلاطين القاهرة، ولما كانوا جهلة بما يعنى قوة الملوك وشوكتهم فهم معذورون فى التردد فى هذا الموضوع.

ومن الحالات الخاصة بالبدو ألا يصدقوا ما يسمعونه بآذانهم ولو كان متواترًا مالم يروا بأعينهم، وقد ضرب المثل المشهور الذى يقول «إن إيمان البدو فى عيونهم» تصديقًا لتلك الحالة.

وبما أن قبائل العربان تعيش فى الصحارى وبين الجبال فى حالة ترحال دائم، لذا فإن بعض أفرادها لم يروا بعض مدن جزيرة العرب مرجعهم لشراء ملبوساتهم وحاجياتهم، ناهيك عن بعض المدن من البلاد العثمانية؟.

والبدو يتفوقون من حيث الشجاعة على المدنيين، والشجاعة أمر ضرورى للبدو، والسبب الرئيسى فى ذلك أنهم ليسوا كالحضريين الذين يحتمون بالدولة والحكومة التى يعيشون تحت جناح صيانتها، ويشتغلون بأمور معيشتهم من الكسب فى راحة وأمن، بل إن البدو يعيشون فى الأماكن الموحشة فى عزلة، وفى الصحارى بين التلال والجبال، ويجدون أنفسهم مضطرين للدفاع عن أولادهم وعيالهم وأموالهم وما يملكون ضد أضرار الأعداء، لذا تراهم يسيرون متسلحين دائمًا مستعدين ليلاً ونهارًا، للدفاع عن أنفسهم ضد الحوادث المضرة التى يتوقعونها فى كل لحظة.

وقد تمكنت هذه الفكرة من ذهن أى عربى بدوى بحيث لا يمكن تزحزحها. ومن الأشياء التى تجلب أنظار المنصفين وتنال تقديرهم وتحير العقول تحمل البدو

الجوع والعطش أيامًا كثيرة، وقطعهم المسافات الطويلة بسرعة دون تعب أو كلل، وتعودهم القتال منذ صباهم جعلهم فى الحرب والمعركة شجعانًا من الدرجة الأولى.

ولقد حرص البدو منذ نشأتهم الأولى إلى يومنا هذا ألا يصيب أطوار بدويتهم وتقاليدهم خلل، وما يزالون إلى يومنا هذا يبذلون أقصى ما فى جهدهم للمحافظة على تلك العادات.

وقد شرفت جميع القبائل العربية التى عاشت فى عصر السعادة باعتناق الإسلام، وتركوا صفاتهم الذميمة التى كانوا يَتَخَلَّقُون بها فى عصور الجاهلية، وسلكوا طريق السلامة واشتركوا فى الغزوات الإسلامية، وقطعوا المسافات فى سبيل الجهاد شرقًا وغربًا، وفتحوا كثيرًا من البلاد وسخروها وأملوا أسماءهم وثبتوها وسجلوها على دفاتر الأيام بسيف الجلالة.

فى ذكر الملوك الجبابرة التى كانت تحكم جزيرة العرب قبل ظهور الدين الإسلامى

ملوك عاد الأولى:

كات بلدتى حضرموت، وشحر حاضرة مُلك ملوك عاد الأولى وكانت رعاياهم من القبائل العربية تسكن فى صحارى الأحقاف الواقعة بين البلاد اليمانية وعمان.

وكان تاريخ ظهور هؤلاء الملوك سنة ألفين وخمسمائة بدء الخليقة، وتاريخ انقراضهم سنة ثلاثة آلاف وأربع وأربعين سنة بدء الخليقه، وبلغت مدة سلطنتهم خمسائة وخمس وأربعين سنة. كان الأولى عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، وكان الثوانى والثوالث شديد من شداد بن عاد بن عوص، ويروون أن شداد بن عاد قد ذهب مع جميع أتباعه إلى قصر إرم الذى بناه مثيلاً للجنة فى صحراء عدن، وقبل وصوله إليه هلك مع جميع رعاياه إذ حدثت صيحة سماوية فسوتهم جميعًا بالأرضين.

وقال بعض المفسرين إن الآية الجلية ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ (الفجر: ٧، ٨) نزلت فى حق ذلك القصر.

وذهب المؤرخ ابن خلدون إلى أن تلك الآية لم تنزل فى حق قصر إرم بل فى حق قبيلة أرم، ولكن بناء على الروايات الموثوقة أن القصد الإلهى من تلك الآية موقع سكنى قبيلة أرم، وقد اشتهر ذلك المكان بالنسبة لأرم جد قوم عاد ابن سام بن نوح عليه السلام.

لما كان قوم عاد يعبدون الأصنام أرسل الله ـ سبحانه وتعالى ـ هود بن شالخ

بن أرفخشذ بن سام بن نوح (عليه السلام) نبيًا لهم ليدعوهم إلى طريق الهداية، إلا أن هؤلاء القوم لم يستجيبوا لدعوة هود عليه السلام. وتجرءوا أن يؤذوه بأنواع مختلفة من الإساءات. وفى النهاية ابتلوا بقحط عظيم لانقطاع المطر عنهم، وأصيبت نساؤهم بالعقم، وظهرت عاصفة شديدة قبل الهجرة بـ ٣١٧٢ سنة فى بلادهم فهلكوا جميعًا، وقد نجا المؤمنون منهم إلا أن عددهم كان قليلاً.

قوم ثمود

توفى هود ـ عليه السلام ـ بجوار حضرموت عن عمر ٤٤٠ عامًا وقد كان لقمان وقوم ثمود من طائفة عاد الأولى أيضًا، وكانوا يستوطنون حجر وادى القرى الواقع بين الشام والحجاز.

وقد انحرف قوم ثمود سكان حجر وادى القرى بعد هلاك قوم عاد، وعصوا الله وأخذوا يعبدون الأصنام التى صنعوها بأيديهم، وهكذا طغوا وبغوا فأرسل الله ـ سبحانه وتعالى ـ لهم صالح «عليه السلام» نبيًا لهم.

كان صالح عبيل بن آسف بن شالخ بن عبيل بن كاثر بن ثمود وكان ثمود بن عابر بن إرم بن سام ساكنًا بجوار عدن، وذهب صالح «عليه السلام» بناء على الأمر الإلهى الصادر له إلى قوم ثمود فى مسكنهم من أرض الحجر، وقال لهم إنكم تمضون الصيف فى السهول، كما تمضون أيام الشتاء فى الجبال فى بيوت منحوتة آمنة من كل شىء، ومع ذلك نسيتم الله ـ سبحانه وتعالى ـ ونسيتم نعمه الجليلة وهذا يعد عصيانًا لله ـ تعالى ـ وأثر من آثار الطغيان فاتركوا العصيان والطغيان واشكروا نعم الله ـ تعالى ـ وإلا هلكتم بعذاب شديد ودعا بهذه الطريقة ثمود إلى الدين الحق.

وأسلم بعض قوم ثمود عبدة الأوثان وأصحاب البغى والطغيان، وأنكر الباقى رسالة حضرة صالح «عليه السلام»، وأخذوا يعاتبونه قائلين إنك تريد أن تمنعنا عن دين آبائنا وعما عبدوه!! وأصروا على إيذاء النبى صالح «عليه السلام»

وإزعاجه هو وأتباعه من المسلمين، وأخذوا يعذبونهم ويستهزئون بهم. وفى فترة ما أخرجوا أصنامهم إلى الصحراء، وأرادوا أن يمتحنوها، وطلبوا من الأصنام التى أخرجوها إلى الصحراء بعض الأشياء، وعندما لم يظهر ما طلبوه من الأصنام قالوا لصالح «عليه السلام»: إن كنت نبيًا حقًا فأخرج لنا من هذه الصحراء ناقة حاملة، ولما دعا صالح «عليه السلام» إلى الله خرجت ناقة من الصخرة التى أشاروا إليها بعد أن أنت الصخرة كالنساء اللائى يضعن حملهن، وانشقت وخرجت من داخلها الناقة التى طلبها قوم ثمود، إلا أن قوم ثمود ظلوا على عنادهم ولم يؤمنوا بصالح وما يدعوا إليه.

وفى النهاية طلب صالح من قوم ثمود بدلالة الوحى الإلهى أن ترتوى ناقة صالح من الماء الذى عندهم يومًا، وتَروى حيوانات قوم ثمود من ذلك الماء يومًا آخر، وقد فعل قوم ثمود هذا الطلب. إلا أن قوم ثمود خالفوا هذا الأمر فيما بعد، واجتمع تسعة من رؤسائهم وأقسموا فيما بينهم أن يقتلوا صالحًا وأتباعه من المؤمنين رافضين الهداية، وأخذوا يسيئون إلى صالح والمسلمين وتجرءوا على قتل الناقة، فما كان من الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلا أن أرسل عليهم صيحة قوية، وزلازل شديدة فهلك الذين لم يؤمنوا وقد وقعوا على وجوههم كأشجار خاوية.

وأخذ حضرة صالح أتباعه الذين آمنوا به بعد هلاك ثمود، وذهب بهم إلى فلسطين وهاجر من هناك إلى مكة المكرمة، وارتحل إلى دار النعيم فى تلك البقعة الطاهرة وهو فى الثامنة والخمسين من عمره.

يروى أن الأقوام التى عاشت فى عهد عاد الأولى كانت ذات أجسام ضخمة قوية وتتصف بالظلم والعناد.

ملوك اليمن

انتظر أولاد نوح ـ عليه السلام ـ بعد وقعة الطوفان الهائلة فى أقطار الأرض. واتخذ كل واحد منهم مع أتباعه بقعة من الأرض مأوى لهم. قد سكن من بينهم

عابر و(قحطان) ابن هود (عليه السلام) فى أرض اليمن واستقل بتلك البلاد وأصبح ملكها قبل الهجرة بـ ٣٠٩٥ عامًا.

كان أصل اسم قحطان «يرد» ولما أنقذ الناس فى زمن القحط من المجاعة لقب باسم «قحطان».

وأصبحت منذ ذلك الوقت القطعة اليمانية بلادًا عظيمة مسكونة، وسكانها من سلالة قحطان، وقحطان هذا ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح «عليه السلام» كما سبق ذكر ذلك فى بحث العرب العاربة.

ويطلق على الملوك الذين حكموا فى أرض اليمن الجسيمة على حِمْيَر بن سبأ: «القحطانية» والذين حكموا على حارث الرأس: «الملوك الحميرية»، وأطلق على الذين أتوا بعدهم «حميرية» و «تبابعة».

ومعنى تبع كثير الأتباع والمطاع، وهو لقب خاص بالملوك الذين حكموا ولايات حضرموت وسبأ وحمير.

هناك روايات كثيرة بخصوص ظهور الملوك اليمانية وتاريخهم وانقراضهم ومدة سلطنتهم وعددهم، وبناء على أقوى الروايات فإن الملوك اليمانية ظهروا سنة ثلاثة آلاف وأربع وأربعين، وانقرضوا سنة ستة آلاف واثنتين وتسعين.

وبناء على هذه الرواية تبلغ مدة سلطنة الملوك اليمانية ثلاثة آلاف وثمان وأربعين سنة، إلا أنه لا يوجد تاريخ يعتمد عليه فى معرفة عدد الملوك الذين حكموا فى تلك الفترة.

ولقد وقعت البلاد اليمانية بعد انقراض الملوك الحميرية تحت سيطرة أربعة حكام من الحبشة، وقد ظهر هؤلاء سنة ستة آلاف وثلاث وتسعين، وانقرضوا سنة ستة آلاف ومائة وخمس وستين. وبناء على هذا التقدير فمدة سلطنتهم اثنتين وسبعين سنة.

وبعد ذلك استولى على اليمن مرة أخرى أبو مرة سيف وهو من نسل الملوك

الحميرية بمعاونة كسرى ، إلا أنه قتل بعد استيلائه على اليمن بخمسة عشر عامًا، وعلى رواية بعد أربعة أعوام، وبناء على رواية أخرى قتل من قبل الحبشة[1] وتقول الروايات أنه بعد قتل أبو مرة سيف لم يحكم أحد من نسل الملوك الحميرية اليمن، إلا أنه كان فى ناحية من نواحى اليمن مملكة اتخذت لنفسها واحدًا من نسل حمير ملكًا لها، وحكم هؤلاء الملوك الطوائف، وعلى رواية أن بلاد اليمن ظلت فى يد ملوك الفرس بعد قتل أبو مرة سيف إلى ظهور الإسلام.

والرواية الثانية أرجح على الرواية الأولى، حتى إن الولاة الذين يعينون من قبل الأكاسرة يطلق عليهم مرازبة.

وعدد ملوك المرازبة ثمانية ملوك، وكانت حاضرة ملكهم بلاد اليمن، وكان بدء ظهورهم قبل الهجرة بأربع وأربعين عامًا، وكان زمن انقراض ملكهم بعد الهجرة النبوية بعشر سنوات، وبهذا بلغت مدة ملكهم ثلاثًا وخمسين سنة.

وهذه الرواية صحيحة لأن بازان بن ساسان من الملوك المرازبة وحكم اليمن إلى بداية البعثة النبوية، وبما أنه اهتدى وأسلم فأبقاه النبى ﷺ حاكمًا، ولما توفى فى السنة العاشرة من الهجرة ولى النبى ﷺ ابنه شيرين على بعض البلاد اليمنية، وبهذا الشكل أعلى قدره ومرتبته بين الأهالى.

وكانت حاضرة ملوك حمير والتبابعة صنعاء ومدينة مأرب البعيدة عن صنعاء بمسافة ثلاث مراحل.

كانت مدينة مأرب تقع فى نهاية جبال حضرموت، وكانت فى أماكن غير آهلة بالسكان فى زمانها، وكانت ديار سبأ فى هذه الأراضى الخالية وكان سد مأرب فى هذه الديار كما سيأتى تعريفه فى الاستطراد الآتى.

سد مأرب- العرم- سيل العرم

كان سد مأرب قد بين جبلين عاليين لحماية بلدة مأرب من السيول التى تنزل من الأنهار التى حولها، وكان يطلق على المياه الكثيرة التى تتجمع خلف هذا

(١) ما يطلق عليهم «الحبش» فى التواريخ العربية ليسوا الحبش الحاليين بل هم السودانيون الحاليون.

السد العَرِم بفتح العين وكسر الراء، كما أطلق على السيول العظيمة التى حدثت نتيجة لانهيار سد مأرب سيل العرم.

وبلدة مأرب التى مدحت فى القرآن الكريم ـ ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ (سورة سبأ/ ١٥) ـ كانت بعيدة عن صنعاء بثلاث مراحل، وذات هواء نقى وماء زلال، ومكان جيد وهى أثر من آثار سبأ بن يشجب.

وكان هذا السيل العظيم قد طغى من الجبال التى تقع فى مقدمة هذه البلدة الطيبة واتحد بنهيرات صغيرة كانت تنحدر من الجبال واكتسب ضخامة كأنه بحر.

وكانت بلدة مأرب قد أسست فى الأول من قبل أولاد وأحفاد سبأ بن يشجب السالف الذكر، وكانت قرية صغيرة ولكنها فيما بعد اتسعت وعمرت سواء أكان بأولاد سبأ أو أحفاده وأحفاد أحفاده، والذين تكاثروا بحيث أصبح الوادى الذى يسكنون فيه لا يتسع لهم؛ فانتقل بعض هؤلاء حول هذا الوادى واختاروا منه أماكن جميلة، وأسسوا قرى ومدنًا جميلة، حتى وصل عدد قراها ومدنها إلى أربعة آلاف وسبعمائة كما تخبرنا به التواريخ، وكان أول هذه القرى والمدن التى أنشأها أولاد سبأ وأحفاده فى صنعاء اليمن وآخرها فى حدود الشام وكانت كل قرية بعيدة عن الأخرى ست ساعات ومبنية فى واد مستقيم مسطح بحيث كان الواقف فى قرية يرى القرية الأخرى.

وكان المسافر الذى يسير سيراً متوسطًا يصل إلى القرية الأخرى فى ظرف ست ساعات، وكانت طرقها آمنة من جميع أنواع المخاطر.

وكان الإنسان يستطيع أن يذهب حيثما يريد ليلاً ونهاراً دون خوف، وكانت الطرق خالية من الحشرات المؤذية مثل العقارب والحيات المؤذية، كما أن القرى والمدن خالية من الحشرات مثل: القمل والبرغوث والذباب، و إذا ما وجدت حشرات مثل القمل والبرغوث فوق الذين يأتون من البلاد الأخرى كانت تهلك بمجرد دخولهم إلى بلاد سبأ.

وكانت أطراف الطرق بين المدن والقرى ممتلئة بالحدائق والبساتين، وكل بستان وحديقة مزينة بأنواع الفواكه والأزهار، وكانت هذه الفواكه والأزهار وفيرة كثيرة، بحيث كانت نساء القرى يخرجن للتنزه تحت الأشجار وفوق رءوسهن أسبتة وفى أيديهن خيوط القطن ينسجن وتمتلئ الأسبتة بالفواكه المتساقطة من الأشجار التى يسرن تحتها، ثم يعدن إلى منازلهن وقد تنزهن وحصلن على الفواكه، ومن الطبعى أن يرد للخاطر كيفية سقية هذه الحدائق الواسعة والبساتين الشاسعة فالإجابة على هذا الخاطر أن كثيراً من القنوات والجداول قد شقت حول نهر العرم فسقيت البساتين والحدائق بالمياه التى تجلبها هذه القنوات والجداول.

وبناء على هذا اكتسبت بلدة مأرب جودة فى الماء والهواء، كما أن الخضرة أكسبت البلدة جمالاً ورونقًا فاتسعت البلدة يومًا بعد يوم، وأنشئت بساتين متصلة وحدائق متقاربة حول البلدة والطرقات.

وقد أصاب عقيدة أهالى مأرب الذين نالوا كل هذه النعم الإلهية، وحازوا العناية الإلهية ضعف ووهن إذ قالوا ماذا يحدث لنا؟ وماذا يكون مصيرنا إذا أمطرت السماء بغزارة وفاض نهر العرم وغمرت مياهه حدائقنا وبساتيننا التى بذلنا جهودًا شاقة فى سبيل إنشائها وإنباتها؟ واستولى عليهم القلق والجزع نتيجة لمثل هذه الأفكار، وبناء على هذا فكر سبأ بن يشجب ـ على رواية ـ أو نعمان بن عاد ـ بناء على رواية أخرى ـ فى إقامة سد أمام نهر العرم طوله فرسخ وكذلك عرضه، وفعلاً نفذ الفكرة وأنقذ أهل مأرب من هذا القلق الذى كان يقلق مضجعهم.

اختلف المؤرخون فى تحديد بانى سد مأرب، كما تنقل روايات مختلفة فى تعريف طول السد وعرضه ومتانته وضخامته.

قال الذين ذهبوا إلى أن بانيه نعمان بن عاد، أن طول السد وعرضه كان كل واحد منهما اثنى عشرة ألف خطوة وكان له فى ثلاثين مكانًا قوائم، كما قال الذين زعموا أن بانى السد سبأ بن يشجب أنه لما تيقن أن عمره غير كاف لبناء مثل هذا السد الضخم فكر فى إتمام بنائه فى أقرب وقت ممكن؛ لذا أمر سكان سبعين

واد كبير بأن يشتركوا فى بناء السد، إلا أن عمره لم يف أيضًا بالعمل فى البناء. وإن هؤلاء المؤرخين أشاروا إلى أن عدة من الملوك والحكام توارثوا الملك منذ ابتداء العمل فى السد إلى الانتهاء من بنائه.

ولما كان بناء مثل هذا السد الضخم وإقامته لا يتم فى خلال حكم ملك واحد لأن عمر بنى البشر لا يمتد بهذا القدر، فالرواية الثانية ترجح على الروايات الأخرى.

قد بنى السد المذكور بصخور ضخمة ملصقة بالزيت والقار، وقسم إلى فروع وجعل له مساقى فوقية وتحتية وبعض القنوات وأقيم بين جبلين، وأخذت بعض أماكن السد تخرب بمرور الوقت؛ إلا أن الملكة التي تسمى بلقيس ـ والتى ورثت الحكم من ملوك التبابعة فى بلاد سبأ والتى اكتسبت العز والسعادة بالزواج من سليمان بن داود عليهما السلام ـ عمرت وأصلحت السد بصورة جيدة وقوته وفتحت له منافذ كثيرة. وفتحت ثلاثة أبواب وقوت ما حول الأبواب بصورة متينة رصينة.

وكان أهل مأرب يفتتحون كل سنة بابا من تلك الأبواب، أى كانوا يفتحون سنة الباب الأول، والسنة التى بعدها الباب الثانى، والسنة التى بعدها يفتحون الباب الثالث، ويقسمون المياه الجارية من تلك الأبواب إلى جداول مرتبة، وكانوا يسقون المزارع والبساتين كيفما يشاءون.

وزادت بلاد سبأ عمرانًا بعد أن عمرت بلقيس سد مأرب، ورتبت البساتين التى حول الجداول كأنها رسوم مرسومة فوق الأوراق، وأخذ أهالى بلاد سبأ يتنعمون يومًا بعد يوم، وأخذوا يركنون إلى قضاء أيامهم فى الحدائق والبساتين فى فرح وسرور، وأصابهم الكبر والغرور بل تجرءوا على الكفر والطغيان كما جاء فى القرآن الكريم وعصوا ربهم ولما كان واجبًا على هؤلاء أن يقضوا أيامهم ولياليهم فى العبادة والطاعة والخضوع لله لما وهبوا من نعم لم يوهب مثلها لأى

أحد من أهالى البلاد الأخرى، ولكنهم ارتكبوا العكس فانهمكوا فى الشرك واستحقوا بهذا قهر الله ـ سبحانه وتعالى ـ القهار.

وكان من رحمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأهل مأرب وسبأ أن أرسل لهم ثلاثة عشر نبياً متتابعين يدعونهم إلى طريق الهداية؛ ولم يعيروا آذانا ولم يصغوا لنصائح هؤلاء الأنبياء ووصاياهم، إذا قالوا لهم: «ياسكان مأرب التى تشبه جنات الفردوس! احرصوا على شكر الله والثناء عليه وأنتم تأكلون وتشربون من أنعم الله التى بذلها لكم الله سبحانه وتعالى، وبما أن الله سبحانه وتعالى غفور رحيم فسيزيد من نعمتى الدارين عليكم، إذا زدتم فى الشكر لله سبحانه وتعالى!، أما إذا امتنعتم عن اتباع أوامر الله سبحانه وتعالى فسوف ينهار سد العرم ويفرقكم جميعًا فيفنيكم ويهلككم، إلا أنهم قابلوا هذه النصائح والوصايا بالسخرية والاستهزاء، وبينوا أنهم لن يتركوا الأعمال التى تؤدى إلى العار وتستوجب العقاب والخسارة والعذاب، وأظهروا عدم رضاهم عن قرب قراهم ومدنهم بعضها من بعض، وودوا أن تبتعد هذه القرى والمدن بعضها عن بعض وفق ما جاء فى القرآن الكريم ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (سبأ: ١٥-١٩).

ولما قال لهم أنبياؤهم إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سيخرب هذا السد بواسطة الفئران، قالوا لهم إننا سوف نقضى على تلك الفئران التى سيخلقها ـ سبحانه وتعالى ـ لتخريب السد بواسطة الهرر والقطط، وفعلاً أعدوا كثيراً من القطط ـ نتيجة لهذه الفكرة الخاطئة وربطوها بجانب السد.

وفى النهاية نفذ قضاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ القهار ولم تفد جميع مساعى أهل مأرب وجهودهم وما اتخذوه من الاحتياطات ليحولوا دون انهيار السد، فأغرقت مياه السيول التى تجمعت خلف سد مأرب بلاد سبأ ومحتها من الوجود، وذلك منذ أربعمائة عام قبل البعثة المحمدية فى عهد عمرو مزيقيا من حكام اليمن، وتحقق ما تنبّأ وأخبر به الأنبياء المشار إليهم. وضاعت معيشتهم المرفهة وأصبحت أحوالهم قصصا تدور على ألسنة الأنام.

لو كان أهل مأرب اطلعوا على الكارثة التى ستصيبهم لعملوا على الأقل على إنقاذ أرواحهم. إلا أنه فى ليلة من الليالى ظهرت فئران أكبر من القطط دون علم أحد وشقت القطط التى رباها الأهالى للدفاع عن القضاء المفاجئ الذى سيقع فجأة، ونقبت أسس السد المتين وهدمته بعون السيول فى النهاية. وقد تجلت قدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ بصفة المنتقم فغرقت جميع بلاد سبأ بتدفق مياه سيل العرم وهجومها عليها. وتحولت أربعة آلاف وسبعمائة من القرى والمدن فى لمح البصر إلى خرائب وأطلال. ولم يبق فى هذه الحدائق والبساتين إلا خمط وأثل وشىء من سدر قليل. وبعض أشجار ونباتات غير صالحة لأكل محاصيلها.

ملوك الغساسنة

وقد تشتت أهالى بلاد اليمن الجسيمة بعد سيل العرم فى البلاد الأخرى. وقد نزلت قبيلة بنوا أزد من نسل كهلان بن سبأ بجانب الماء الذى يعرف باسم غسان فى نواحى الشام، واشتهرت باسم هذا الماء وقد عمل هؤلاء فى فترة من الفترات على الاستيلاء على البلاد الشامية كلها حيث أسسوا حكومة ملوك الغساسنة.

كما أن بعض أفراد هذه القبيلة هاجر إلى ديار بكر حيث أسسوا المملكة الخاصة بملوك كندة أيضاً وكان ابتداء ظهورهم قبل ظهور نور الإسلام بخمسمائة عام، وكانت دار ملكهم معظم سواد الشام. ووصل عدد ملوكهم إلى واحد وثلاثين ملكاً، ودامت مدة سلطتهم ستمائة عام. وكانوا كلهم تابعين لقياصرة الروم. وقد زادت قوتهم تحت هذه التبعية إلا أن ملكهم أواخر حياتهم تعرض للضعف والوهن، وانقرضت قوتهم ودالت دولتهم فى العام السادس عشر من الهجرة النبوية.

وكان جبلة بن الأيهم ـ وهو من فروع ملوك الغساسنة ـ قد تشرف باعتناق الإسلام فى خلافة عمر الفاروق (رضى الله عنه) وقصد مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وفى أثناء طوافه بالكعبة داس أحد أفراد عربان قبيلة فزارة على طرف ثوبه فغضب جبلة غضباً شديداً، ولكم العربى لكمة قوية وكسر بعض أسنانه. فما كان من المضروب إلا أن تقدم لعدالة وحكم الخليفة طالبًا منه أن يرضى المضروب إما قصاصاً أو يدفع دية. إلا أن جبلة بن الأيهم استهجن الحكم الصادر وعاب حكم الفاروق لأنه ساوى بينه وبين شخص من عامة الشعب. وغضب غضباً شديداً إلا أنه طلب من الخليفة إذناً بالتفكير فى الأمر، وفى الليل عاد إلى دينه القديم الباطل ومات وهو كافر.

المناذرة

آل منذر ـ ملوك المناذرة من أهالى اليمن ومن أبناء كهلان بن سبأ. هؤلاء أيضاً خرجوا إلى مكة المعظمة ومن هنا قصدوا بلاد الحيرة حيث كونوا سلطنة.

وآل مناذرة من أعظم ملوك العرب من حيث قوة دولتهم وعظمتها، وكانت دار ملكهم فى بلدة الحيرة القريبة من الكوفة، لذلك لقبوا بملوك الحيرة كما سموا فترة بـ «اللخميين».

ولا يعرف عدد ملوك المناذرة الذين حكموا البلاد معرفة قطعية، إلا أن مدة سلطنتهم امتدت ستمائة وعشرين عاماً، وكان أول ظهورهم قبل الهجرة النبوية بخمسمائة واثنين وستين عاما، وكان انقراض دولتهم بعد الهجرة النبوية باثنى عشر عاما.

بنو جرهم

ينقسم ملوك الجراهمة الذين حكموا الحجاز إلى قسمين. ويطلق على القسم الأول جرهم الأولى، وعلى القسم الثانية جرهم الثانى، ولما كانت جرهم الأولى معاصرة لقوم عاد فأحوالها الحقيقية مجهولة. أما جرهم الثانية فهم من أبناء قحطان وأحوالهم معروفة لدى أصحاب العقول بدلالة التاريخ.

كان جرهم الثانى أخا يعرب بن قحطان. وبينما كان يعرب ملك ممالك اليمن هاجر الثانى مع ابن عمه قورا آخذا معه أولاده وأتباعه إلى مكة المكرمة، وسكن فى تلك الأماكن المقدسة ثم كون سلطنة، وحكم فترة غير قليلة.

وعدد ملوك جرهم الذين حكموا فى الحجاز أربعة عشر ملكاً، وكانت دار ملكهم مكة المكرمة. وانتقلت حكومة بيت العزة من الجراهمة إلى بنى خزاعة. وخرج أجداد خزاعة الذين استولوا على الحجاز فى رفقة قبيلة أزد من اليمن إلى مكة المعظمة، وتوارثوا حكومة مكة كابراً عن كابر، وبلغوا بقوتهم وقدرتهم إلى درجة الكمال. ولكن قصى بن كلاب من سلالة إسماعيل ـ عليه السلام ـ الطاهرة ورئيس قبيلة قريش وحد بين القبائل القرشية، وبهذا استطاع أن يطرد بنى خزاعة من مكة المكرمة، وقضى على قوتهم وقدرتهم وخرب دولتهم.

وكان قصى بن كلاب من الحكام الذين حكموا من قبيلة قريش مكة المكرمة وهو جد النبي ﷺ الأعلى، وانتقل الحكم بعده إلى أبنائه الذين أداروا حكم مكة إلى ظهور الإسلام. وبعد وفاة سيف الحميرى ـ أى بعد انقراض طبقة ملوك العرب العاربة ـ انتقلت قطعة اليمن لإدارة قيصر الروم فى القسطنطينية، وطلب قيصر الروم وأتباعه الحبش آن يحملوا على اليمن بجيوشهم، وهكذا انتقل حكم اليمن إلى الحبش وبعد ما استولى الأحباش بعون قيصر الروم بالقسطنطينية على اليمن، وحضر موت طمعوا فى الاستيلاء على بلاد الحجاز وساقوا جيشاً كبيراً فى زمان جد النبى ﷺ عبد المطلب بن هاشم إلى مكة المعظمة، إلا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أبادهم بواسطة طير أبابيل.

ولم يبق لملوك العرب بعد سيف الحميرى نفوذ فى جزيرة العرب. وإن كان للبدو الذين ينتقلون فى الصحارى والجبال أمراء من أبناء قحطان وحمير إلا أن حكم هؤلاء الأمراء لم يكن يتعدى حدود أفراد قبائلهم. مثل شيوخ القبائل البدوية الذين يحكمون الآن.

وحكم الأمراء أخلاف ملوك المناذرة (الحيرة) فى شرق شمال جزيرة العرب، وملوك الغساسنة فى نواحى العراق فى جهة الشام.

ولما كان آل جفنة (الغساسنة) يتعينون من قبل قياصرة الروم، والحيرة المناذرة يعينون من قبل أكاسرة العجم بشروط معينة فقد كانوا بمثابة ولاة لهم. لذا كانوا يعزلون ويبدلون وفق إرادتهم.

وأشرقت أنوار سلطان الكون والممالك فى فترة انقرض فيها ملوك العرب العاربة ومحى اسمهم من الوجود.

(١) ما يطلق عليهم «الحبش» فى التواريخ العربية ليسوا الحبش الحاليين بل هم السودانيون الحاليون.

الوجهة الثانية

فى ذكر الخلفاء والملوك المسلمين

الذين ظهروا فى جزيرة العرب بعد ظهور الإسلام

أحوال رسول الملك المتعال إجمالاً

الخلفاء الراشدون

الملوك الأموية

سلطنة العباسيين

الفاطميون

الدولة الأيوبية

الخلفاء العباسيون فى مصر والملوك التركمانية

الملوك الشراكسة

السادة الكرام

كيفية تأسيس ولاية مكة وصورة تشكيلها

فى ذكر الخلفاء والملوك المسلمين الذين ظهروا فى جزيرة العرب بعد ظهور الإسلام وأحوال رسول الملك المتعال إجمالاً

ولد النبى ﷺ الذى بعث رسولاً رحمة للعالمين بعد ميلاد عيسى ـ عليه السلام ـ بخمسمائة وتسعة وستين عامًا، وعلى قول بعده بخمسمائة وسبعين عامًا فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول، السابع عشر من شهر أبريل، وبعث شفيع العالمين نبيّاً فى العام الحادى والأربعين من عمره الشريف.

وهاجر النبى ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فى العام الثالث عشر من نبوته، ولبى دعوة ربه بعد الهجرة بأحد عشر عاماً. واتخذت هجرة النبى ﷺ التى توافق عام ستمائة اثنين وعشرين من الميلاد، والسادس عشر من شهر يوليو مبدأ تاريخ هجرى من قبل المؤرخين.

وتبلغ مدة نبوته ورسالته ثلاثة وعشرين عاما، ويبلغ عمره ثلاث وستين سنة، وآمن فى خلال هذه الفترة من الزمن أغلب أفراد القبائل العربية فى الحجاز واليمن ونجد والعراق والأماكن الأخرى من جزيرة العرب بالتدريج، وهكذا سعد سكان جزيرة العرب أكثرهم بنيل فيض الأنوار الإسلامية وأحرزوا سعادتى الدنيا والآخرة. ولم يبق فى دائرة الكفر والظلام فى جزيرة العرب إلا بضعة من أفراد القبائل ذوى الحظ العاثر.

وكانت بعض القبائل قد ارتدت عن دائرة الإسلام المنجية عقب وفاة النبى ﷺ، ورجعوا إلى جهالتهم الأصلية. إلا أن كل هؤلاء دخلوا مرة أخرى إلى دائرة الإسلام المنجية فى خلافة أبى بكر الصديق.

الخلفاء الراشدون

قد صدق الجميع على خلافة أبى بكر الصديق (رضى الله عنه): فى السنة

الحادية عشرة من الهجرة النبوية. وبلغت مدة خلافة الخليفة المكرم سنتين وثلاثة أشهر وتسعة أيام كما بلغ عمره ثلاث وستين سنة.

عمر الفاروق (رضى الله عنه): بدأت خلافة عمر بن الخطاب فى السنة الثالثة عشرة من التاريخ الهجرى، وبلغت مدة خلافته عشر سنوات وستة أشهر وأربعة أيام، ونالت ذاته العالية مرتبة الشهادة فى السنة الثالثة والعشرين وتوفى وعمره ثلاث وستون سنة.

عثمان ذو النورين (رضى الله عنه): تولى الخلافة فى السنة الثالثة والعشرين من الهجرة، واستشهد فى السنة الخامسة والثلاثين منها، فكانت مدة خلافته اثنتى عشرة سنة وبلغ عمره اثنتين وثمانين سنة.

الإمام على (كرم الله وجهه ورضى الله عنه): كان ابتداء خلافته فى السنة الخامسة والثلاثين من الهجرة، وكان استشهاده فى السنة الأربعين، وبهذا تبلغ مدة خلافته أربع سنوات وتسعة أشهر، وبلغ عمره الشريف ثلاثًا وستين عاماً.

وكان سكان جزيرة العرب تحت حكم الخلفاء الراشدين العدول فى حالة خضوع وطاعة وانقياد للدولة.

وبعد أن استشهد الإمام على (كرم الله وجهه) تولى الخلافة ابنه الإمام الحسن (رضى الله عنه) ستة أشهر، وبعد ذلك تنازل عن الخلافة وترك السلطنة لمعاوية بن أبى سفيان أول خلفاء بنى أمية وآثر الانزواء والعزلة وتوفى وقد بلغ عمره الشريف ستة وأربعين سنة.

الملوك الأموية

ظهر الملوك الأمويون فى السنة الحادية والأربعين من الهجرة، وانقرضت دولتهم سنة اثنتين وثلاثين بعد المائة، وكانت مدة حكمهم واحداً وتسعين عاماً، وبلغ عدد ملوكهم فى هذه الفترة ثلاثة عشر شخصا. وكانت دمشق عاصمة ملكهم.

وكان سكان جزيرة العرب خاضعين للأمويين منذ بداية ملكهم إلى انتهائه ومنقادين لهم، وكان (عبد الله بن الزبير) قد دفع راية العصيان عليهم وحكم مكة المكرمة ما يقرب من تسع سنوات.

وتقول الروايات بينما كان أخو معاوية بن أبى سفيان يزيد بن أبى سفيان واليا على الشام من قبل الفاروق الأعظم تنازل عن الولاية سنة عشرين من الهجرة لأخيه معاوية دون أن يستأذن من مقام الخلافة، ولما عرف سيدنا عمر الأمر قبل ولاية معاوية بن أبى سفيان، حتى لا تؤدى الأمور إلى حدوث المشاكل بسبب أمر يسير.

وأبقى معاوية بن أبى سفيان فى وظيفته خلال خلافة عثمان (رضى الله عنه)، وكان ذا قرابة من الخليفة المذكور، وعقب استشهاد عثمان بن عفان قام معاوية بطلب الثأر من قاتلى الخليفة، وحرض أهالى الشام وحلب ومصر ضد الإمام على (رضى الله عنه)، وهكذا أشعل دائرة الخصام ضد الخليفة.

وإن كان منصب الخلافة الجليل انتقل بعد استشهاد الإمام على بن أبى طالب لابنه الإمام الحسن ـ رضى الله عنه ـ إلا أن معاوية بن أبى سفيان ابتدر بإزالة حقوق الإمام الحسن فى الخلافة، وأخذ يتهيأ للقتال للحصول على الخلافة. ولما رأى الإمام الحسن ذلك تنازل عن الخلافة لمعاوية حتى لا يريق دماء المسلمين دون سبب.

وبعد وفاة معاوية بويع ابنه يزيد بالخلافة، ولم يؤبه بأقوال الإمام الحسين وعبد الله بن الزبير اللذين كانا يدعيان عدم صلاحية يزيد لاعتلاء مقام الخلافة، وعند ذلك هاجر ابن الزبير إلى مكة المكرمة، والإمام الحسن إلى الكوفة بناء على الدعوة المقدمة من أهاليها.

وقد رضى أهل مكة أن يختاروا ابن الزبير خليفة لهم وبايعوه، إلا أن الإمام الحسين استشهد فى كربلاء، ولقى ربه مع أغلب أفراد أسرته فى تلك الأراضى الموحشة، وكان هذا الخبر الأليم مانعاً لأهالى الحرمين من بيعة يزيد، ولأجل

ذلك ساق يزيد، كثيراً من الجيوش لمحاربة عبد الله بن الزبير وأتباعه، وبينما كان هؤلاء الجنود يحاربون عبد الله بن الزبير محاصرين مكة المكرمة جاء خبر وفاة يزيد، فبايع جميع أهالى الحرمين عبد الله بن الزبير فاستقلت بلاد جزيرة العرب، وأصبحت كلها تحت سيطرة عبد الله بن الزبير فى سنة ٦٤ هجرية.

وبعد سنتين خرج رجل فى العراق من قبيلة بنى ثقيف يدعى مختار بن عبد الله الثقفى طالبا الثأر من أجل الإمام الحسين، فانضم له جمع وافر من الجنود، وتجرأ على الاستيلاء على الكوفة فبايعه كثير من أهالى تلك المدينة.

وأخذ المختار بن عبد الله الثقفى ثأر الإمام الحسين من قاتليه كما يخبرنا التاريخ، وقتل ما يقرب من سبعين ألف إنسان، إلا أنه انحرف وأخذ يدعى النبوة. وبناء على هذا عين عبد الله بن الزبير أخاه مصعبًا حاكما للعراق، وأمده بكثير من الجنود وأرسله ليحارب المختار الثقفى.

ولما كان المختار الثقفى قد أظهر عصيانه ومخالفته جهراً قتل فى أثناء دفاعه سنة ٦٧ الهجرية.

وأرسل عبد الملك بن مروان من الملوك الأموية بعد خمس سنوات الحجاج الأظلم الذى فاق فى الجور والظلم متجبرى وطغاة الأسلاف، ومعه أربعون ألف جندى لمحاربة عبد الله بن الزبير فى مكة المكرمة، وبعد معارك كثيرة بينهما استطاع الحجاج أن يسترد جزيرة العرب من يد ابن الزبير، وأن ينيل ذلك الشهم مرتبة الشهادة العالية فى سنة ٧٣ الهجرية.

وفى عهد مروان بن محمد الأموى رفع بعض الخوارج فى الأطراف والأكناف راية التمرد والعصيان حتى إن عبيد الله بن يحيى من حضرموت استولى على البلاد الحجازية واليمن، وحكم فيهما سنة وأربعة أشهر وذلك فى سنة ١٢٠هـ.

ولما كان مروان فريداً فى ميدانى الشجاعة والنصر فقد طرد جميع الخوارج الذين رفعوا راية الفتنة من أملاكه، وخاصة عبد الله بن يحيى طرده من اليمن وبلاد الحجاز، إلا أنه بمرور الأيام فقد مروان أسباب قوته وصولته، فانهارت

الدولة الأموية وجاءت نوبة انتقال الخلافة إلى بنى العباس إذ ظهر أبو مسلم الخراسانى فى قرية من قرى خراسان فى سنة مائة وتسع وعشرين بدعوى أخذ ثأر الإمام الحسين قرة عين الرسول وابن البتول، وأخذ يدعو بالقوة الذين يتمسكون بتبعية الدولة الأموية لبيعة أول الخلفاء العباسيين أبى العباس السفاح، وقتل من المعارضين ما لا يحصى من الخلق، وهكذا خدم بنى العباس خدمة عظيمة سنة ١٣٢هـ.

سلطنة العباسيين

بدأ حكم العباسيين فى أول الأمر فى بلاد العراق ثم سار إلى بلاد مصر العظيمة. وكانت بداية ظهوره كما ذكر آنفاً سنة مائة واثنتين وثلاثين، وانقرضت دولتهم فى سنة ستمائة وست وخمسين الهجرية.

وبناء على هذا الحساب تبلغ مدة حكمهم خمسمائة وأربع وعشرين سنة، ومدة مائة وعشرين سنة من هذه الفترة كانت فترة القوة والشوكة والنصر ولكن بقية المدة وهى أربعمائة وأربع سنوات كانت فترة انحطاط وتناقص تدريجى والسير نحو الانقراض.

يبلغ عدد الملوك الذين شغلوا مقام الخلافة منهم سبعة وثلاثين خليفة، وكان مقر دار الخلافة مدينة بغداد التى تشبه الجنة.

واستطاع خلفاء بنى العباس فى بدء ظهورهم أن يخضعوا معظم البلاد الإسلامية لسيطرتهم. وقد استولوا على جزيرة العرب كلها وأخضعوا سكانها لنفوذهم، وظهرت طائفة القرامطة الباغية فى سنة مائتين وست وتسعين وكسرت سطوة دولة بنى العباس وصولتهم، وأصابت مبانى سلطنتهم بالضعف والفتور والوهن، وبعد ذلك بقليل انتزعت معظم سواد الشام وما حواليه من يد العباسيين.

الفاطميون

وبعد أن استولى القرامطة على الشام وانتزعتها من يد العباسيين طمعت فى الاستيلاء على مصر، ولما بلغ حاكم مصر هذا الخبر المفزع خاف أشد الخوف،

وعرف أنه لن يستطيع أن يصد القرامطة بجنود المصريين فعرض على المعز لدين الله الخليفة الفاطمى الرابع أن يعينهُ ببضعة مئات من الجنود، وأومأ له أنه سيفتح له أبواب مصر وكان هذا ما يتمناه المعز لدين الله، إذ جهز قوة كبيرة أرسلها إلى مصر تحت قيادة جوهر الصقلى فى سنة ٣٥٨هـ.

وعندما وصل جوهر إلى مصر وجد القرامطة متهيئين للحرب والضرب فحاربهم وأبادهم عن آخرهم، وضم البلاد المصرية إلى ملك الفاطميين.

وفى سنة(٣٥٩)هـ عرض ما تم فعله على المعز لدين الله وبناء على الأمر الذى تلقاه منه بنى مدينة القاهرة، وأسس الجامع الأزهر ولما تم بناء القاهرة أسرع بإخبار المعز لدين الله الذى وفد إلى مصر بأولاده وأحفاده وجميع أقاربه من المهدية، ولما وصل إلى (الجيزة) عبر من فوق الجسر العابر على النيل والذى بناه من أجل روح جوهر، ونزل فى القصر الذى بنى له خصيصاً فى مدينة القاهرة التى اتخذها عاصمة له فى سنة ٣٦٢هـ.

وكان المعز لدين الله شيعى المذهب ويعتقد فى أحكام النجوم. وظل حاكما على مصر ما يقرب من سنتين وسبعة أشهر، ثم ارتحل إلى دار الآخرة فى سنة ٣٦٤ الهجرية.

ولما كانت مدينة القاهرة قد بنيت بأمر من المعز لدين الله أطلق على تلك المدينة فى ذلك الوقت «المعزية»، وبلغ عدد الملوك الفاطميين الذين حكموا مصر عشرة ملوك.

حل الملوك الفاطميون على مصر سنة ٣٦٢هـ وتركوا الحكم ستة خمسمائة وسبع وستين. وتبلغ مدة سلطنتهم مائتين وست سنوات وذكرت أسماء ملوك الفاطميين فوق منابر الحرمين الشريفين مدة مائة وعشر سنوات كما أن الخطب قد ألقيت باسم الخلفاء العباسيين ما يقرب من ثمان وثمانين سنة.

الدولة الأيوبية

وانتقلت سلطنة مصر فى عام خمسمائة وسبعة وستين إلى الأيوبيين واستمر

حكمهم لمصر لسنة ٦٤٧هـ وكان عدد الملوك الأيوبيين الذين حكموا مصر عشرة وامتدت سلطنتهم إلى ثمانين عاما.

واتخذ هؤلاء الملوك مثل ملوك الفاطميين مصر دار النصر مقرا لسلطنتهم، واستولوا على سواد الشام وحلب، ولكنهم لم يحصروا ذكر أسمائهم على أنفسهم فى الخطب التى كانت تلقى على منابر الحرمين الشريفين مثل الفاطميين، بل أشركوا أسماء خلفاء العباسيين بجانب أسمائهم، وهكذا أظهروا لهم احترامهم ولكنهم تجنبوا إشراكهم فى الأمور السياسية.

الخلفاء العباسيون فى مصر والملوك التركمانية

عندما استولى التتار على دار السلام بغداد وخربوا قصور خلفاء العباسيين وشتتوهم سافر أحمد بن محمد الظاهر بأمر الله العباسى إلى مصر، وبعد ثلاث سنوات من إقامته فى مصر بايعه ملك مصر الظاهر بيبرس بالخلافة تبركا فى سنة ٦٥٩.

وقد تولى الخلافة المعنوية فى مصر سبعة عشر شخصاً من أولاد وأحفاد أحمد بن محمد الظاهر بأمر الله، ولكن تصريف الأمور كان فى يد ملوك مصر.

وقد انتهت الخلافة المعنوية لسلالة أحمد بن محمد الظاهر بأمر الله بفتح السلطان سليم خان مصر، والاستيلاء عليها فى سنة ٩٢٢هـ، وبناء على هذا الحساب بلغت مدة خلافتهم فى مصر مائتين وثلاث وستين سنة.

وقد عمل الملوك التركمانية والشركسية على رفع شأن الخلفاء فخصصوا وظائف لهم، وذكروا أسماءهم فى الخطب بجانب أسمائهم وحفروا أسماءهم بجانب أسمائهم فى المسكوكات.

وغلب فيما بعد ملوك الديالمة والسلاجقة أغلب هؤلاء الملوك، وأخذوا من أيديهم زمام السلطنة والخلافة.

كما أن الخلفاء الذين هاجروا إلى مصر مستقلين كخلفاء الدولة العباسية فى بغداد ولكنهم، أمضوا حياتهم تحت حكم الملوك المصرية وتحكمهم.

الملوك التركمانية

ظهر الملوك التركمانيون فى أوائل سنة ستمائة وتسع وأربعين وانقرض ملكهم سنة سبعمائة وأربع وستين ويبلغ عددهم خمسة وعشرين ملكاً، وكانت عاصمة ملكهم القاهرة.

استولى هولاكو على بغداد وقتل الخليفة المعتصم وقضى على الدولة العباسية فى عهد الظاهر بيبرس رابع الملوك التركمانية فهاجر أحمد بن محمد الظاهر بأمر الله العباسى الذى سبق ذكره إلى مصر، فصدق الظاهر بيبرس خلافته وبايعه بكل احترام وأجرى بعض الترتيبات بخصوص وظيفته.

الملوك الشراكسة

ابتداء ظهور الملوك الشراكسة سنة سبعمائة وأربع وثمانين، وزمن انقراض دولتهم سنة تسعمائة واثنين وعشرين الهجرية. وقد حكم منهم أربعة وعشرون ملكاً فى اثنتين وثلاثين سنة، وبما أنهم كانوا مملوكين عتقاء سموا المماليك الشراكسة.

وكان الملوك الشراكسة مثل الملوك التركمانيين يبايعون الخلفاء العباسيين الذين هاجروا إلى مصر، ويعاملونهم معاملة طيبة ويحترمونهم.

وإن كانت بلاد الحجاز واليمن ألحقت بمصر فى عهد الملوك التركمانية والشركسية، إلا أن الخلفاء العباسيين الذين يحكمون فعلا فى العراق والذين يحكمون فى مصر معنوياً وصورياً لم ينجوا من أذى بعض الخارجين فى جزيرة العرب فى عهودهم كما سيأتى ذكره فيما بعد.

السادة الكرام

ولما كان شرف السادة الكرام ومنزلتهم ثابتة ومعترف بها من قبل سكنة جزيرة العرب، كما كانوا محترمين من قبل أمراء التركمان والشراكسة، ولأجل ذلك أقدم كثيرون من هؤلاء السادة سواء أكانوا السادة الحُسَيْنِيَّة أو أشراف الحَسَنِيّة على الاستيلاء على الجزيرة العربية طالبين استقلالها، إلا أنهم لم يصلوا إلى غاياتهم لقوة الخلفاء العباسيين وسطوة الملوك المصريين.

وقد ظهرت فى أماكن أخرى من البلاد الإسلامية حكومات متعددة أنشأها السادة والأشراف، واستمرت دولهم مدة مديدة ويرون أن نسب حاكم حكومة فاس يتصل بالسلالة الطاهرة.

كيفية تأسيس ولاية مكة وصورة تشكيلها

عندما فتح النبى ﷺ مكة المعظمة استدعى من أصحابه الكرام «عتاب بن أسيد» بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ـ رضى الله عنه ـ وأحال له ولاية مكة المكرمة قائلا: «يا عتاب: هل تعرف أننى أعينك واليا على من؟ وأنصبك واليا عليهم؟ إننى بايعتك والياً على خاصة أهل الله!!!»

وكان قصد النبى ﷺ العالى أن يولى ويلمح لعتاب أن أهل مكة يستحقون الاحترام والرعاية.

وظل عتاب بن أسيد إلى السنة الثالثة عشرة من الهجرة واليا على مكة المفخمة دون انقطاع، وفى خلال السنة المذكورة ارتحل الصديق الأعظم إلى دار السرور والبقاء. وتبعه عتاب بن أسيد، وأديرت أمور مكة المعظمة بعده فى خلال خلافة عمر الفاروق وعثمان ذى النورين وعلى بن أبى طالب بواسطة موظف معين من قبلهم.

وفيما بعد أخذ عبد الله بن الزبير على عاتقه إدارة حكومة مكة المكرمة، وبعد ارتحاله تعهد بإدارة أمور مكة موظفون من قبل الدولة الأموية، كما أن داود ابن عم عبد الله السفاح تعهد بإدارة شئون مكة فى عهد العباسيين. ولما كانت المدينة المنورة تابعة لولاية مكة إلى ٢٥١ سنة ظهور إسماعيل بن الأخيضر بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب (رضى الله عنهما) رافعاً علم العصيان، والولاة سيذكر أسماؤهم فى الجدول الذى سيأتى فيما بعد، وفى خلال السنة المذكورة ألغى منصب الولاية وتولى إدارة البلدة المسعودة السادة والأشراف مستقلين بمكة المكرمة وأخذ الأمير الذى يدير حكومة مكة لقب أمير مكة.

الجدول الذى يشمل أسماء الذين تولوا ولاية مكة المكرمة:

عتاب بن أسيد (٨ - ١٣).

نافع بن عبد الحارث الخزاعى (١٣-٣٥).

عبد الله الحضرمى (٣٥-٣٧).

قثم بن العباس (٣٧-٤٢).

خالد بن العاص بن هاشم (٤٢-٦٠).

عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق (٦٠- ٦١).

وليد بن عتبة بن أبى سفيان (٦١- ٦٤).

عبد الله بن الزبير (٦٤- ٧٣).

حجاج بن يوسف الثقفى (٧٣- ٧٥).

أبان بن عثمان بن عفان (٧٥-٨٢).

عمر بن عبد العزيز (٨٧- ٨٩).

خالد بن عبد الله القسرى (٨٩- ٩٦).

عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد (٩٦- ٩٧).

داود بن طلحة الحضرمى (٩٧- ٩٨).

عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد (٩٨- ١٠٣).

عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى (١٠٣- ١٠٤).

عبد الواحد النضرى (١٠٤- ١٠٧).

إبراهيم بن هشام بن إسماعيل (١٠٧-١١٤).

محمد بن هشام المخزومى (١١٤-١٢٦)

يوسف بن محمد بن يوسف الثقفى (١٢٦- ١٢٧).

عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز (١٢٧- ١٢٩).

عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك (١٢٩- ١٣٠).

محمد بن عبد الملك بن مروان (١٣٠- ١٣٣).

داود بن على بن عبد الله بن العباس (١٣٣- ١٣٤).

يزيد بن عبد الله بن عبد الواحد (١٣٤- ١٣٨).

عباس بن عبد الله بن سعيد (١٣٨ - ١٣٩).

زياد بن عبد الله الحارثى (١٣٩- ١٤٣).

هيثم بن معاوية العتكى (١٤٣- ١٤٤).

سرى بن عبد الله بن الحارث بن عباس (١٤٤- ١٤٦)

عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس (١٤٦- ١٤٩).

محمد بن إبراهيم الإمام (١٤٩- ١٥٠).

إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس (١٥٠- ١٥١).

جعفر بن سليمان (١٥١- ١٥٥).

عبد الصمد بن على (١٥٥- ١٥٨).

محمد بن إبراهيم الإمام (١٥٨- ١٦١).

إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس (١٦١- ١٦٤).

جعفر بن سليمان (١٦٤- ١٨٤).

عبد الله بن القثم بن عباس (١٨٤- ١٨٧).

حماد البربرى (١٨٠- ١٨٧).

فضل بن عباس بن محمد بن على (١٨٧).

عباس بن محمد بن ابراهيم

سليمان بن جعفر بن سليمان

موسى بن عيسى بن موسى

عبد الله بن محمد بن إبراهيم

عبد الله بن القثم بن عباس

عبد الله بن القثم

عبد الله بن محمد بن عمران

عبد الله بن محمد بن إبراهيم

عباس بن موسى بن عيسى

على بن موسى بن عيسى

محمد بن عبد الله العثمانى

أحمد بن إسماعيل بن على (١٩٤).

داود بن عيسى بن موس بن محمد بن على (١٩٤- ٢٠٤).

عبيد الله بن الحسين بن عبيد بن العباس بن على بن أبى طالب (٢٠٤-٢٠٩).

صالح بن العباس بن محمد بن على (٢٠٩- ٢٢١)

محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على (٢٢١- ٢٣٧).

على بن عيسى بن جعفر بن المنصور (٢٣٧-٢٣٩)

عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى (٢٣٩- ٢٤٢).

عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام الزينى (٢٤٥- ٢٤٩).

محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام الزينى (٢٤٢-٢٤٥).

عبد الصمد بن موسى بن محمد (٢٤٩- ٢٥٠).

جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى شاشان ابن الحسن بن على بن أبى طالب (٢٥٠- ٢٥١).

كان ظهور إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فى سنة ٢٥١.

لازمة:

ولما كانت المدينة المنورة تابعة لولاية مكة المكرمة إلى أن استقل إسماعيل بن يوسف الأخيضر، فكان ولاة مكة المعظمة يقيمون فيها ويفوضون تدبير أمور حكومة المدينة إلى شخص آخر نيابة عنهم، كما كانوا يتخذون ـ أحياناً ـ المدينة المنورة مركز ولاية، ويديرون أمور حكومة مكة المكرمة بواسطة وكيل لهم.

بناءً على تلك الأصول فإن أسماء الذين تولوا منصب الولاية فى المدينة المنورة مكتوبة فى الجدول الآتى:

الجدول الذى يشمل أسماء الذين تولوا منصب الولاية فى المدينة المنورة

* تولى فى عهد هشام بن عبد الملك وهو من سنة ١٠٧ إلى ١٢٥ عبد الواحد بن عبد الله النصرى، إبراهيم بن هشام المخزومى، محمد بن هشام المخزومى، نافع بن علقمة الكنانى.
* عهد يزيد بن وليد من سنة ١٢٥ إلى سنة ١٢٦: يوسف بن محمد الثقفى.
* عهد وليد بن يزيد من سنة ١٢٦-١٢٦.
* عهد مروان بن محمد بن مروان من سنة ١٢٦ إلى سنة ١٣٢: عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك أبو حمزة الخارجى[1]، عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى، وليد بن عروة السعيدى، محمد بن عبد الملك بن مروان.

(١) كان أبو حمزة الخارجى قد استولى على مكة بالقوة فى ولاية عبد الواحد بن سليمان، كان مروان بن محمد أرسل الحملة التى ساقها ضد أبى حمزة فى قيادة عبد الملك بن محمد، ولما انتصر عبد الملك على أبى حمزة وقتله، عين مروان بن محمد بن عبد الملك والياً على مكة مكافأة له على خدمته.

عهد أبى العباس السفاح[1] من سنة ١٣٢ إلى سنة ١٣٦ داود بن على ابن عبد الله بن عباس، عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن يزيد بن خطاب.

* عهد منصور بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس من سنة ١٣٦ إلى سنة ١٥٨ - عباس بن عبد الله بن معبد، زياد بن عبد الله الحارثى، هيثم بن معاوية العتكى الخراسانى، سرى بن عبد الله بن الحارث بن العباس، محمد بن الحسن بن معاوية بن جعفر بن أبى طالب[2].

سرى بن عبد الله بن الحارث بن عباس، عبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس، محمد بن إبراهيم الإمام ابن محمد بن عبد الله بن عباس.

* عهد محمد المهدى بن المنصور من سنة ١٥٨ إلى ١٦٨: إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، جعفر بن على بن عباس، عبيد الله بن قثم بن العباس، محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس.

---

(١) هنا يبدأ عهد الخلفاء العباسيين.

(٢) أبو العباس السفاح هو محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما.

(٣) نصب محمد بن حسن بن معاوية والياً من قبل محمد بن عبد الله المحصن بن حسن المثنى بن حسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه والمعروف باسم النفس الزكية.
قام النفس الزكية فى سنة ١٤٥ فى المدينة طالباً الخلافة، وبايعه العلماء الذين فى طبقة الإمام أبى حنيفة والإمام مالك من الأئمة الأربعة وكذلك هذان الإمامان، وكان قد أرسل محمد بن حسن السالف الذكر مع قاسم بن إسحاق الذى عينه والياً على اليمن إلى مكة المكرمة. فأراد والى مكة سرى بن عبد الله أن يدافع عن ولايته فى شعب أذاخر، إلا أنه انهزم وهرب، فاستولى محمد بن حسن على ولاية مكة، ولكنه لما عرف أن جيشا قد أرسل من بغداد تحت قيادة داود بن عيسى بن موسى بن على بن عبد الله بن عباس لمحاربته فأخذ أمرًا بالعودة إلى المدينة، قبل وصوله فى طريقه إلى المدينة بمرحلة قد سمع بشهاة النفس الزكية فهرب إلى جهة ما فعاد سرى بن عبد الله وتولى الولاية إلى سنة ١٤٦.

* عهد موسى الهادى بن المهدى من سنة ١٦٨ إلى سنة ١٧٠: حسين[١] بن على بن الحسن المثنى بن حسن السبط بن على بن أبى طالب.

* عهد هارون الرشيد بن محمد المهدى من سنة ١٧٠ إلى ١٩١: أحمد بن إسماعيل بن على بن عبد الله بن عباس[٢]، حماد البربرى، سليمان بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس، عباس بن موسى بن عبد الله بن عباس، عباس بن محمد بن إبراهيم الإمام، عبد الله بن قثم بن عباس، على بن موسى بن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، فضل بن عباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، محمد بن عبد الله ابن سعد بن مغيرة بن عمر بن عثمان بن عفان، موسى بن عيسى بن موسى ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس.

* عهد محمد الأمين بن هارون الرشيد من سنة ١٩١ إلى ١٩٨: داود بن عيسى[٣] بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس.

* عهد مأمون بن هارون الرشيد من سنة ١٩٨ إلى ٢١٨: داود بن عيسى بن موسى، حسين بن حسن بن على الأصغر بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب[٤]، على بن محمد بن جعفر الصادق. عيسى بن يزيد

(١) خرج الحسن بن على بن حسن المثنى فى سنة ١٦٩ مطالباً بالخلافة، وذهب مع الذين بايعوه خليفة إلى مكة المكرمة، ولما وصل الخبر إلى موسى الهادى فبعث إلى محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس يأمره بالدفاع، وكان محمد بن سليمان هذا فى قافلة الحجاج فى تلك السنة، فتقابل محمد بن سليمان بحسين بن على وهو محرم يوم التروية فى مكان يسمى «فخ» فقتله مع مائة من أنصاره، و«فخ» اسم مكان بالقرب من زاهر. ويروى أن النبى ﷺ صلّى فى هذا المكان صلاة جنازة، وقال إن فى هذا المكان سيستشهد أحد من أهل بيتى مع فريق من المسلمين.

(٢) وإن كان هؤلاء الولاة قد تعينوا فى عهد هارون الرشيد إلا أن ترتيب تعيينهم ليس صحيحاً.

(٣) أسند إلى داود بن عيسى ولاية المدينة أيضاً، فبعث عيسى ابنه سليمان إلى المدينة نائباً عنه ولكن أهل المدينة كتبوا قصيدة بينوا فيها رجحان المدينة على مكة. ومن هنا اقتضى الأمر وجوده فى المدينة، فرد على أهل المدينة سكان مكة بقصيدة أخرى حيث بينوا رجحان مكة على المدينة، وفى النهاية كتب أحد بنى عجل قصيدة ثالثة أسكتت الطرفين.

(٤) لما تولى مأمون بن هارون الرشيد الخلافة أبقى داود بن عيسى على ولاية مكة، ولكنه فى النهاية خاف من غلبة حسين بن حسن الأفطس ففصل ولاية المدينة عن ولاية مكة المكرمة. لأن «سرى بن منصور الشيبانى» دعا الناس فى العراق أهل البيت وحرص المأمون على توسيع دائرة الاتفاق فعين حسين بن حسن الأفطس والياً على مكة. فخرج حسين الأفطس من المدينة متوجها إلى مكة المكرمة بناء على =

الجلودى، محمد بن عيسى بن يزيد الجلودى، يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومى، إبراهيم بن موسى الكاظم، هارون بن المسيب حمدون بن على بن عيسى، عبد الله بن حسن بن عبد الله بن عباس بن على بن أبى طالب[1]، صالح بن عباس بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس، سليمان بن عبد الله ابن سليمان بن على بن عبد الله، محمد بن سليمان بن عبد الله بن سليمان بن على بن عبد الله، حسن بن سهيل[2] بن عبيد الله بن عبد الله بن حسن بن جعفر بن الحسين بن على بن أبى طالب.

* عهد المعتصم بن هارون الرشيد من سنة ٢١٨ إلى سنة ٢٢٨: صالح بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، أشاش التركى[3]، محمد بن داود بن عيسى.

* عهد الواثق بن المعتصم من سنة ٢٢٨ إلى سنة ٢٣٢: محمد بن داود بن عيسى.

* عهد المتوكل بن المعتصم من سنة ٢٣٢ إلى ٢٤٧: على بن عيسى بن جعفر

= رسالة أخذها من سرى بن منصور ولما وصل إلى مكان يطلق عليه «سرف»، سمع أن داود بن عيسى ترك مكة المكرمة فأسرع بالدخول إلى مكة، وقصد مع الحجاج إلى عرفات. ثم عاد بعد أن قضى فريضة الحج، ولكن لما شاع خبر قتل سرى بن منصور فى سنة (٢٠٠) أراد أن يبايع محمد بن جعفر بالخلافة من شدة خوفه، ولما رفض محمد ذلك بايع ابنه على بن محمد، وأكره الناس على بيعته، ولكن إدارة مكة كانت فى يده. وبعدما مرت عدة أشهر جاء من بغداد عيسى بن يزيد الجلودى وحارب فخلع على بن محمد من الخلافة، واتجه مع عيسى بن يزيد الجلودى إلى العراق. وكان الجلودى قد ترك ابنه محمد بن عيسى بن يزيد، وعلى رواية أخرى محمد بن حنظلة المخزومى وكيلاً عنه، وفى سنة مائتين واثنتين جاء من اليمن شخص يسمى إبراهيم بن موسى الكاظم، واحتل مكة عنوة وقتل يزيد بن حنظلة، وبناء على رواية الإمام الأزرقى أن يزيد بن حنظلة كان وكيلا من قبل حمدون بن على.

(١) فى زمن ولاية عبد الله هذا ألحقت المدينة بمكة المكرمة.

(٢) وإن أصبح حسن بن سهيل واليا على مكة إلا أنه أجرى مهمته بالوكالة.

(٣) كان أشاش التركى ضابطا عسكرياً من عبيد الشراكسة، وأراد أن يحج فى تلك السنة وأخذ من المعتصم براءة تقضى بأن يكون والياً لكل مدينة يدخلها، ولما دخل إلى مكة جعل محمد بن داود وكيلا عنه، إلا أن اسم أشاش ظل يذكر فى الخطب.

بن أبى جعفر المنصور، عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى، محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام، محمد بن المستنصر[1] بن المتوكل بالله إبتاح الغلام[2].

* عهد المستعين بن المعتصم بن هارون الرشيد من ٢٤٨ إلى ٢٥٢: عبد الصمد ابن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام، جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، إسماعيل بن يوسف الأخيضر بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن حسن المثنى[3].

إخطار ـ كانت حكومة المدينة المنورة تابعة لولاية مكة المكرمة إلى وقت استقلال إسماعيل بن يوسف الأخيضر بالبلدين.

إن كانت المدينتان فصلتا عن بعضهما لأسباب قهرية إلا أنهما فى معظم الوقت كانتا ولاية واحدة، وكان الولاة المعينون لإدارتهما يتخذون أحياناً مكة المكرمة مركزاً ويديرون شئون المدينة بواسطة وكيل لهم أو يتخذون المدينة المنورة مركزاً لهم ويديرون شئون مكة بواسطة وكيل لهم.

والولاة الذين دبروا شئون الولاية وفق الأصول المذكورة من المدينة المنورة قد ذكر أسماؤهم فى الجدول الآتى:

سهل بن حنيف الأنصارى

أبو أيوب الأنصارى

مروان بن الحكم

سعيد بن العاص

(١) وإن أصبح محمد بن المستنصر والياً على مكة إلا أنه لم يقم بمهمته بنفسه بل أدار شئون الولاية بإرسال وكيل عنه.

(٢) كان إيتاح من غلمان المعتصم ومن أمرائه ذوى النفوذ قد ظل والياً على مكة إلى وفاة المتوكل.

(٣) استولى إسماعيل بن يوسف الأخيضر على مكة بالقوة فى خلال ولاية جعفر بن فضل. وكان جعفر قد أخذ الزينات الذهبية التى فى مقام إبراهيم وأنفقها فى سبيل الدفاع عن مكة إلا أنه انهزم وفر؛ فاستولى إسماعيل بن يوسف على مكة وبعده على المدينة ومات سنة ٢٥٢ من علة «الجدرى».

مروان بن العاص

وليد بن عتبة بن أبى سفيان

عمرو بن سعيد بن العاص

وليد بن عتبة

عثمان بن محمد بن أبى سفيان

عبد الله بن الزبير

مصعب بن الزبير

جابر بن الأسود

أبان بن عثمان

هشام بن إسماعيل

محمد بن هشام

يوسف بن محمد

عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز

محمد بن عبد الملك

داود بن على

يزيد بن عبد الله

زياد بن عبيد الله

محمد بن خالد

رباح بن عثمان

عبد الله بن الربيع

جعفر بن سليمان

عبد الملك بن صالح

محمد بن عبد الله

موسى بن عيسى

محمد بن إبراهيم

عبيد الله بن مصعب

بكار بن عبد الله

محمد بن على

أبو البخترى

وهب بن منبه

داود بن يحيى

عبيد الله بن الحسين

عمر بن عبد العزيز

عثمان بن صادق

أبو بكر بن محمد بن عمرو

عبد الرحمن بن ضحاك

عبد الواحد النضرى

إبراهيم بن هشام

خالد بن عبد الملك

طلحة بن عبد الله

طارق بن عمرو

حجاج بن يوسف

حسن بن زيد

عبد الصمد بن على

محمد بن عبد الله

زفر بن عبد الله

إبراهيم بن يحيى

إسحاق بن عيسى

عمر بن عبد العزيز

إسحاق بن سليمان

صالح بن العباس

محمد بن داود

عيسى بن جعفر

عبد الله بن محمد

عبد الصمد بن موسى

محمد بن سليمان

عبد الصمد بن موسى

جعفر بن الفضل

ظهور إسماعيل بن يوسف الأخيضر سنة ٢٥٢ .

أمراء الحرمين

انقسمت خطة الحجاز السعيدة بعد عهد الخلفاء الراشدين إلى إمارتين كبيرتين أطلقت على إحداهما (إمارة مكة المكرمة) وأطلقت على الأخرى (إمارة المدينة المنورة)، وظلت إدارة هاتين الإمارتين بعد معارك جمة وحروب كثيرة فى أيدى السلالة الطاهرة التى تنتهى إلى السبطين المكرمين (رضى الله عنهما).

ويظن بعض الذين لم يحسنوا الاطلاع على التاريخ أن إمارة مكة المكرمة ظلت منحصرة فى أشراف الحسنية، فى حين ظلت إمارة المدينة المنورة فى أيدى السادة الحسينية إلا أنه من الثابت بدلالة التواريخ الموجودة أن هؤلاء الأمراء تبادلوا الحكم فى هاتين الإمارتين.

أمراء مكة

ينقسم الأشراف الكرام الذين تولوا إمارة مكة المكرمة إلى أربع طبقات، وقد سمى الأشخاص الذين يشكلون هذه الطبقات بأمراء مكة. وإن كان بين أمراء مكة الحسينية أيضا، ولكن أغلب هؤلاء الحسينية من الذين أقام أجدادهم قبل أن تتحول مكة المكرمة إلى إمارة فى ينبع والبلاد التهامية والنجدية.

١- **طبقة سادات بنى حسن:** يطلق على الذين يشكلون الطبقة الأولى من الطبقات الأربع «بنو أخيضر» وقد ظهر بنو أخيضر الذين حكموا ٩٩سنة فى سنة مائتين وخمسين الهجرية. وانقرضوا فى أواخر سنة ثلاثمائة وخمسين الهجرية وحتى سنة ٢٥١ كانت حكومة مكة المكرمة فى يد ولاة الخلفاء الراشدين وملوك بنى أمية وخلفاء بنى العباس. وقد ظهر بنو أخيضر فى تلك السنة المذكورة، واستولوا على بلاد اليمامة بادروا إلى حكمها.

بنو أخيضر : اتخذ أشراف بنى أخيضر بلاد اليمامة ومقر حكومة لهم أولا ثم مكة المكرمة. وعدد الأمراء الذين تولوا الحكم منهم ثلاثة عشر شريفاً، حكم ثلاثة منهم فى اليمامة فقط، والباقون حكموا فى اليمامة وأرض الحجاز.

وأول ممن ظهر من سادات بنى أخيضر هو إسماعيل بن يوسف الأخيضر بن إبراهيمم بن عبد الله بن موسى الجون الحسنى.

ويحكى أن إسماعيل بن يوسف الأخيضر وجد بمكة، وبايع النفس الزكية محمد بن عبد الله المحصن الذى خرج فى أواخر حكومة بنى أمية، وأن المنصور العباسى وجد أثناء هذه البيعة، ومدح واقعة البيعة بقصيدة طويلة وإن هذا البيت كان ضمن هذه المطولة:

بيعتكم تحظى بطاعتنا إن الـ ـخلافة فيكم يا بنى حسن

لما استولى إسماعيل بن يوسف الأخيضر على البلاد اليمانية كان جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن يوسف بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (رضى الله عنه) والياً على مكة من قبل المستعين بن المعتصم العباسى. وانتزع الألواح الذهبية التى وضعها الخليفة المتوكل على مقام إبراهيم، وضرب بها سكة ليدافع بها عن مكة لآخر لحظة، إلا أنه انهزم وبعدما استولى إسماعيل بن يوسف على أطراف مكة المكرمة أيضا قصد إلى المدينة المنورة وهو مريض، وارتحل إلى عالم البقاء فى سنة ٢٥٢ الهجرية.

وانتقلت بلاد اليمامة بعد وفاة إسماعيل بن يوسف الأخيضر لأخيه الشريف أبى عبد الله محمد بن يوسف الأخيضر، وبعد وفاته لأخيه الآخر الشريف أبو جعفر بن يوسف الأخيضر، وبعد ارتحاله انتقلت إلى الشريف حسن بن يوسف الأخيضر أخيه الآخر.

بعدما استولى الشريف حسن على بلاد اليمامة صرف جهده لتوسيع حدود حكومته، وفى النهاية شكل إمارة مكة المكرمة واستقل بها.

وانتقلت حكومة أم القرى بعد وفاة الشريف حسن إلى عمه وإلى أخيه يوسف الأخيضر، ولما مات محمد بن يوسف الأخيضر انتقلت الحكومة إلى ابنه الشريف يوسف بن محمد بن يوسف الأخيضر، ومن بعده إلى أخيه الشريف أبى عبد الله إبراهيم بن محمد، ومن بعده إلى أبى عبد الله إلى الشريف

محمد بن محمد بن يوسف الأخيضر، وبعد وفاة محمد بن محمد الشريف حسن بن يوسف الأخيضر وبعده إلى أخيه، ومن بعد إلى الشريف محمد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن يوسف الأخيضر، وبعد وفاة الشريف محمد إلى الشريف صالح بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف الأخيضر. وهؤلاء هم الذين سعدوا إذ فازوا بإدارة مكة المكرمة.

وكان أولاد وأحفاد الشريف صالح بن إسماعيل فى داخل ممالك السودان، وفى فترة ما هاجروا إلى مدينة «غانا» القريبة من المحيط الأطلسى وكونوا هناك دولة وحكموا فيها.

٢- الطبقة الثانية من الأشراف الحسنية:

والأشراف الكرام الذين يكونون هذه الطبقة هم الأشراف الكرام الذين يطلق عليهم المؤرخون الموسويين أو بنى موسى.

وأول من تولى منهم الإمارة هو الشريف موسى الثانى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحصن بن حسن المثنى بن حسن السبط بن على بن أبى طالب (رضى الله عنهم) وعدد أفراد الموسويين الذين حكموا البلاد الحجازية أحد عشر أميراً.

وظهر الشريف موسى الثانى الذى كان أولهم سنة ٣٥٠، والذين تولوا إمارة الحجاز من بعده استمروا إلى سنة ٤٥٣ إذ انتهت إمارتهم فى خلال تلك السنة.

وبعد وفاة الشريف موسى الثانى بن عبد الله تولى الإمارة ابنه الشريف داود بن موسى الثانى، ومن بعده الشريف محمد الأكبر بن موسى الثانى، وبعد وفاة محمد الأكبر الشريف حسين بن محمد الأكبر، ومن بعده الشريف محمد الثائر بن محمد الأكبر، وبعد وفاة محمد الثائر الشريف أبو هاشم محمد بن محمد الثائر، وبعد ارتحال أبى هاشم الشريف أبو جعفر محمد بن الحسين بن محمد الأكبر واستقل الشريف أبو جعفر محمد بالإمارة فى عهد الملوك الفاطميين

وحكم مكة المكرمة ومواقع أخرى من أرض تهامة ما يقرب من عشرين عاماً.

وبالقرب من أواسط مدة إمارة الشريف أبى جعفر كان ملوك العصر يعينون من قبلهم أميراً خاصاً بهم فى مكة المكرمة، وقد زاد الشريف أبو جعفر من قوته وشوكته، واستقل وبعد هذا الاستقلال انتقلت حكومة مكة المكرمة بالفعل للشرفاء الكرام.

وهناك روايات متعارضة فى بيان سبب استقلال أبى جعفر وتاريخه إلا أنه بناء على أقوى الروايات فإن أبا جعفر استقل عندما كانت مصر تحت إدارة الإخشيديين، وكان كافور الإخشيدى لم يمت بعد، كما أن الملوك الفاطميين لم يكونوا قد تولوا بعد على مصر ويدعى البعض أن وفاة كافور كانت سنة ٣٥٦ هـ وكان استقلال أبى جعفر سنة ٣٥٨.

وكان سبب استقلال المشار إليه الفتنة التى حدثت بين بنى حسن وبنى حسين (رضى الله عنهما)، وعند حدوث هذه الفتنة عاد أبو جعفر من المدينة المنورة إلى مكة المعظمة، وأعلن الاستقلال، وعندما انتقلت حكومة مصر إلى الفاطميين أبقى المعز لدين الله العبيدى على إمارة أبى جعفر وصدق استقلاله.

وتولى الإمارة بعد وفاة الشريف أبى جعفر أبو محمد جعفر بن محمد بن حسين بن محمد الأكبر، وبعده الشريف عيسى بن أبى جعفر محمد، وبعده الشريف أبو الفتوح حسين بن محمد الثائر، وبعد وفاته الشريف تاج المعالى بن أبى حسين بن محمد الثائر.

أرسل حاكم مصر العزيز بالله العبيدى عندما كان ابن أبى جعفر الشريف عيسى أميراً علوياً إلى مكة من قبله. وقد ضغط هذا الشخص على أهالى الحرمين ضغطاً شديداً، وأجبر الأئمة على ذكر اسم العزيز بالله فى الخطب. وبعد وفاة العزيز بالله بعث ابنه الحاكم بأمر الله خطبة عجيبة إلى الشريف أبى الفتوح السالف ذكره، وأمره بأن تقرأ هذه الخطبة على منبر المسجد الحرام، ولما كان فى الخطبة المذكورة بعض الألفاظ الجارحة للأصحاب الكرام وبعض زوجات

النبى ـ رضى الله عنهن ـ وعبارات غير لائقة بهم هجم الأهالى على الخطيب الذى نجا بجلده هارباً، وبعد هذه الحادثة منع الناس من الحديث فى مكة عن مذهب العبيديين.

ولما كان الشريف أبو الفتوح من أشجع أبناء موسى وأكثرهم جرأة رد خطبة الحاكم بأمر الله مبينا زيفها، وخرج عن طاعة العبيديين وبايعه أهالى الحرمين بالخلافة لأن الخطبة التى وردت من الحاكم بأمر الله كانت مليئة بسب الأصحاب الكرام ولعنهم.

وكانت رسالة خاصة للشريف أبى الفتوح مرفقة بالخطبة حيث يلح الحاكم بأمر الله على أن يعمل الشريف على إقناع الأهالى بما جاء فى هذه الخطبة، وعقب ذلك ذهب الشريف أبو الفتوح إلى نواحى الشام، وأعلن استقلاله وخاض حروباً كثيرة وفى سنة (٤٠٣) وعاد إلى مكة وانتقل إلى رحمة ربه بعد فترة وجيزة، ومدة إمارته ٤٣ سنة.

ولما سارع أفراد القبائل العربية بالاعتراف بخلافة الشريف أبى الفتوح، وهو فى طريقه إلى الشام فهم الحاكم بأمر الله وأخافه الأمر وأخذ يستعد للحرب، ولما كان أبو الفتوح لا يريد أن يريق دماء المسلمين عبثاً بعث بأبى حسان مفرح إلى الحاكم بأمر الله يعلمه أنه لا يدعى الخلافة، فسر الحاكم بأمر الله بهذا الخبر وأسرع بالتصديق بإمارته.

كان تاج المعالى بن أبى الفتوح قد وحد بين إمارتى المدينة المنورة ومكة المكرمة. وكانت كنيته «أبا عبد الله» ولقبه (شكر) ومات بلا ولد فى سنة ٤٦١، وعلى قول سنة ٤٦٤، وعلى قول ثالث سنة ٤٥٣. وأراد أحد غلمانه أن يكون أميراً. وفى أثناء سفر أبى الفتوح إلى الشام استولى أبو طالب داود بن عبد الرحمن بن القاسم بن الفاتك عبد الله بن داود بن سليمان بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن حسن المثنى بن حسن السبط بن على (رضى الله عنه) على مكة، وانتصر على ذلك العبد وانتزع منه زمام الإمارة، إلا أن إمارة مكة المكرمة الجليلة انتقلت إلى «بنى هاشم» بعد ذلك الحادث بسبع سنوات.

وإن من نال مقام الإمارة من بنى أبى الطيب هو محمد بن أبى القاسم بن عبد الرحمن بن جعفر، وجلس على كرسى الحكم سنة ٤٥٣.

إلا أن ملك اليمن على بن محمد الصليحى استولى على قطر الحجاز، وانتزع إمارة مكة المفخمة من أيدى بنى الطيب. وإن كان يروى بعض المؤرخين أن على ابن محمد الصليحى أودع مقام الإمارة ليد «محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن هاشم» وعاد إلى بلاده.

إلا أن تاج المعالى بن أبى الفتوح مات تاركاً حمزة بن وهاس بن أبى الطيب داود السليمانى من بنى سليمان أميراً، وبعد أن حارب هذا موسى ما يقرب من سبع سنوات، انتقل زمام الإمارة إلى يد محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن هاشم وبعد ارتحاله إلى يد أولاده.

وليس من بنى سليمان من ارتقى كرسى الإمارة غير حمزة بن وهاس بن أبى طالب. وإن كانوا ينقلون أن محمد بن الفاتك وأخويه قد شغلوا كرسى الإمارة، ولما كان من المحقق أن حمزة بن وهاس خاتمة الطبقة الثانية يقتضى عدم صحة هذه الرواية.

بناء على رواية الإمام الفاسى فإن محمد بن جعفر أحد أفراد الأمراء الذين يطلق عليهم (الهواشم) وضبط نسبه على أنه «أبو هاشم محمد بن جعفر بن عبد الله بن أبى هاشم محمد بن الحسين بن محمد الثائر[1] بن موسى الجون بن عبد الله المحصن بن حسن المثنى بن حسن السبط (رضى الله عنه)، وظل أبو هاشم ما يقرب من ثلاثين عاماً يشغل منصب الإمارة وأطلق على الذين تولوا مقام الإمارة بعده «الهواشم».

وبنو سليمان الذين كانوا خاتمة هذه الطبقة ليسوا بنى سليمان الذين حكموا بين التلمسان والمغرب الأوسط.

والأشراف الذين حكموا فى تلك البقاع أولاد «سليمان بن عبد الله المحصن

(١) ووجه إطلاق لقب الثائر عليه قيامه بأخذ الثأر والأنتقام من أهل المدينة فى عهد المعتز بن المتوكل العباسى.

بن حسن المثنى بن حسن السبط بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ إذ انتقل عمهم إدريس إلى المغرب وأبوهم سليمان من البصرة إلى هرات وأصبح حاكم تلك المنطقة بعد أن استقل وذلك فى خلافة بنى عباس. ولما توفى إدريس استولى أخوه على المغرب والتلمسان حيث أدار دفة الحكم مدة مديدة.

٣- **الطبقة الثالثة**: يطلق على السادة الأشراف الذين يكونون الطبقة الثالثة من الطبقات الأربع «الهواشم»

وأشراف طبقة «الهواشم» الذين عرفوا بـ«بنى فليتة» ظهروا فى خلال سنة ٤٦١، أو فى خلال ٤٦٤ بناء على قول آخر، أو سنة ٤٥٣ بناء على رواية ثالثة، وانقرضت حكومتهم سنة ٥٩٨ أو سنة ٦٠١ بناء على قول ثان، أو سنة ٥٩٠ بناء على قول ثالث، بلغت مدة إمارتهم ١٣٧ سنة، وحكم منهم فى خلال هذه الفترة ثلاثة عشر أميراً.

وأسقط أبو هاشم محمد بن جعفر ـ أول سادات الهواشم فى أثناء إمارته ذكر اسم ملك مصر من الخطب وأمر بذكر خليفة بغداد، وبناء على ذلك لم يرسل ملك مصر ما كان يرسله من الهبات إلى أهالى الحرمين. فما كان من الشريف محمد إلا أن انتزع ما فى داخل بيت الله من القناديل الذهبية والفضية المعلقة وما على أبواب بيت الله من الألواح الذهبية، وأنفق ثمنها فى دفع حاجته إلى المال واستمر فى ذكر اسم خليفة بغداد فى الخطب، وأبعد من الأذان جملة «حى على خير العمل» واشتهر اسمه، كما أنه أنفق ما أرسله خليفة بغداد ويبلغ ثلاثين ألف دينار فى تعزيز بنيان حكومته، وبذل جهوداً كبيرة فى التغلب على فرقة بنى سليمان المخالفة إلا أنه لم يوفق فى ذلك ففر إلى ينبع، وبناء على ذلك خلصت حكومة مكة لحمزة بن وهاس السالف الذكر، وفى النهاية أعد فرقة من الجنود الشجعان، وعاد وطرد أنصار حمزة بن وهاس واستقل، وفى خلال سنة ٤٨٤ ارتحل إلى دار البقاء.

وتولى إمارة البلاد الحجازية بعد وفاة الشريف محمد بن جعفر ابنه الشريف

قاسم بن أبى الهاشم محمد، وبعد وفاته ابنه الشريف فليتة بن قاسم بن أبى الهاشم محمد بن جعفر.

استولى «أصهيد بن سارتكين» على مكة المعظمة فى خلال إمارة الشريف قاسم بن محمد وأخذ فى التضييق على أهالى الحرمين إلى سنة ٤٨٧ إلا أن الشريف قاسم بن محمد طرد أصهيد فى سنة ٤٨٨ وحكم حتى سنة ٥١٨، وورث كرسى الإمارة بعد وفاته ابنه فليتة بن قاسم.

ومات الشريف فليتة الذى عرف بكنية «أبو فليتة» سنة ٥٢٧، فجلس مكانه ابنه الشريف هاشم بن فليتة. وأصبح مكان هاشم بن فليتة الذى توفى سنة ٥٤٩ وعلى قول ٥٥١، أميراً عمدة الدين الأمير شجاع قاسم بن فليتة. وهزم عمدة الدين فى النزاع الذى حدث بينه وبين عمه قطب الدين عيسى فسلم إليه زمام الإمارة، وبعد فترة قصيرة انتصر على عمه ولكنه قتل فى النهاية وآلت حكومة إمارة مكة إلى قطب الدين عيسى.

وطرد الشريف مالك أخاه قطب الدين سنة ٥٦٥، وأصبح أميراً مدة نصف يوم إلا أنه فر منهزماً فى وقعة ٥٦٧، فحقق قطب الدين عيسى الاستقلال فى منصب الإمارة وانتقل الأمر بعده إلى الشريف داود بن عيسى، وبعد سنة إلى أخيه الشريف مكثر بن عيسى، وبعده لأمير المدينة المنورة «قاسم بن مهنا الحسينى»، وبعد ثلاثة أشهر إلى الشريف داود بن عيسى للمرة الثانية، وبعد ذلك للمرة الثانية للشريف مكثر بن عيسى، ووجهت الإمارة بعد ذلك فى سنة ٥٩٨ للشريف محمد بن مكثر بن عيسى، وانتقلت حكومة البلد الأمين المقدسة بعد الشريف محمد بن مكثر إلى بنى قتادة وخط خط النهاية لطبقة «أشراف الهواشم».

وكان يؤخذ من الحجاج الذين يردون من موقع «عيذاب» أو ميناء جدة سبع قطع ذهبية من كل واحد منهم وكانت الإمارة تدير أمورها بهذه الضريبة.

خصص ملك مصر صلاح الدين الأيوبى فى إمارة الشريف مكثر ثمانية آلاف إردب قمحاً وألفى قطعة ذهب مصرى على أن توزع على موظفى دوائر الإمارة وأرسل مقدماً ما يكفى سنة وأمر بألا تؤخذ بعد ذلك ضرائب من الحجاج فأمر الشريف مكثر بألا يؤخذ الضرائب منهم كما أمر بأن يذكر فى الخطب اسم ذلك الملك ويدعى له.

٤- **الطبقة الرابعة:** يشكل الطبقة الرابعة من أمراء مكة الشريف أبو عزيز قتادة بن إدريس الحسينى وسلسلة نسبه.

إن أولاد أخى أبى عزيز قتادة الشريف من سادات وأمراء بلاد ينبع والشريف قتادة أبو عزيز من أبطال هذه السلسلة وقد عرف بعلو الهمة والشجاعة. وعندما أصبح أمير قلعة ينبع أحضر العربان الذين تحت إدارته ومشايخهم، وحارب مع أولاد عبد الله المحصن وانتزع منهم بلاد ينبع وأراضى صفرا. وهجم بغتة على مكة فى سنة ٥٩٨، وعلى قول سنة ٦٠١، يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب، وانتزع من السادة الهواشم مكة المعظمة وأرض الحجاز وهدد القبائل العربية بعساكر الترك ومد حدود ملكه إلى قطعة اليمن وهكذا أخضع سكان الحجاز قاطبة لإدارته وأدخلهم تحت طاعته.

ومن الأسباب الرئيسية التى ساعدت على استيلاء أبى عزيز قتادة على مكة المعظمة وجود الشريف محمد بن مكثر فى يوم حملة أبى عزيز قتادة على مكة المكرمة فى وادى التنعيم، لأن أهالى مكة يخرجون كل سنة فى السابع عشر من رجب إلى وادى التنعيم إحياء لسنة عبد الله بن الزبير لأجل العمرة، ويظلون فى هذا الوادى عدة أيام حيث يتنزهون. ومازالت هذه العادة باقية إلى الآن.

وعندما كان محمد بن مكثر فى التنعيم جاء أبو عزيز قتادة من أعلى مكة وأعلن إمارته وحاول الشريف محمد بن مكثر أن يدافع عن مكة إلا أنه فر

منهزماً مغلوباً، وتوفى بعد ذلك بفترة واستطاع الشريف أبو عزيز أن ينتصر على أمير المدينة المنورة الشريف سالم بن قاسم الحسينى وعلى أهل ثقيف عقب ذلك، وسار بعد ذلك إلى جهة اليمن ووفق فى الاستيلاء على ملك الأماكن فقلب حكومة بنى فليتة رأساً على عقب، ووسع دائرة إدارة إمارته كما سبق تعريفه وحكم مستقلاً استقلالا كاملا مدة ستة عشر عاماً، وتوفى فى أواخر سنة ٩١٧، فجاء مكانه ابنه الشريف حسن فخلصت إمارة مكة المعظمة لأولاد هذا وأحفاده.

والشريف عون الرفيق باشا الذى مازال يدير إمارة مكة المعظمة حالياً هو من أعاظم فروع أبى عزيز قتادة.

وجميع الأشراف الذين على وجه البسيطة ينتمون إلى سلالة (الإمام الحسن) كما أن جميع السادة العظام ينتمون إلى سلالة «الإمام الحسين» بن على (رضى الله عنهم)، وليس هناك شك فى أن السادات أولاد وأحفاد «الحسين»، كما أن أولاد الأشراف الأمجاد وأحفادهم من «الحسن».

ويقال الآن «أشراف بنى الحسين وسادات بنى الحسن» إلا أن هذا التعبير غير صحيح كما سبق بيانه فى محله.

حكاية

لما كان الناصر لدين الله العباسى يحب أبا عزيز قتادة حباً جماً طلب منه أن يشرف بغداد. فتحرك أبو عزيز متجهاً إلى بغداد تلبية لدعوة الخليفة، فاستقبله أهالى الكوفة وبجانبهم الأسود، فعاد من رحلته قائلا: «لا أستطيع أن أذهب إلى مكان حيث ذل الأسد بهذه الصورة» انتهى.

ولد أبو عزيز قتادة سنة ٥٢٦، وتوفى سنة ٦١٧ عن تسعين عاماً. وكان قتادة فى غاية الإنصاف، شجاعا بطلا فوق التصور، لأجل ذلك لم يستطع أهل الفساد أن يرفعوا رءوسهم بالفتنة، فعاش أهل الحرمين فى عهده آمنين مطمئنين.

وبعد وفاة أبى عزيز قتادة انتقلت إمارة مكة المكرمة إلى الشريف حسن بن أبى عزيز قتادة. إلا أن مسعود بن محمد ملك اليمن حمل على حسن بن قتادة، بناء على الأمر الذى تلقاه من أبيه محمد ملك مصر، وبعد قتال تغلب على حسن واستولى على مكة، وعاد إلى بلاده بعد أن عين شخصاً يسمى «نور الدين عمر بن رسول» والياً على مكة، وإن كان الشريف حسن تقاتل مع نور الدين على بن رسول فى وادى الحديبية سنة ٦١٠، إلا أنه انهزم وذهب إلى الشام وبعده إلى بغداد حيث توفى سنة ٦٢٦.

والملك مسعود الذى انتزع إمارة مكة من حسن بن قتادة هو يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر أيوب المشهور بلقب «أقسيس».

وعندما شاع موت حسن بن قتادة نصب الملك مسعود شخصاً يسمى «صارم الدين ياقوت المسعودى» والياً على مكة، ولما مات فى نفس السنة تجرأ نور الدين على بن عمر بن رسول السالف الذكر على الاستيلاء على اليمن وأخذ البيعة لنفسه.

وعندما مات الملك مسعود عين والده الملك الكامل والياً على مكة شخصاً يسمى «طفتكين التركى» من مصر وأرسله إليها إلا أن الشريف راجح بن قتادة طرد طفتكين التركى من مكة بواسطة الجنود الذين أتوا من قبل ملك اليمن نور الدين.

وحرص الملوك المصريون واليمانيون ـ بالجهل ـ على أن يذكر أسماؤهم فوق منابر مكة المعظمة، فالتزم المصريون جانب طفتين التركى واليمانيون جانب الشريف راجح بن قتادة، فأجلسوا الشريف راجح على كرسى الإمارة سبع مرات وأبعدوه سبع مرات، وكذلك طفتكين التركى سبع مرات فى خلال سنة ٦٢٧ إلى ٦٣٧.

وحج ملك مصر الصالح بن كامل فى سنة ٦٣٧ شخصياً، وعين مكان الشريف راجح أمير المدينة الشريف شيخه ابن قاسم الحسينى للقضاء على النزاع

إلا أن ملك اليمن أعاد الشريف راجح فى سنة ٦٣٩، وفى النهاية عزله ونصب مكانه الشريف أبو سعيد حسن بن على بن قتادة، وبناء عليه قام الشريف راجح بصد أبى سعيد واستمد العون من أبناء خاله الذين يسكنون فى المدينة. فتقابل أبو نمى ابن أبى سعيد الذى فى ينبع مع فرقة الشريف راجح فانتصر عليها وأصبح شريكا لأبيه فى الإمارة.

وفى سنة ٦٥١ أصبح الشريف حماز بن حسن بن قتادة، وفى سنة ٦٥٢ الشريف راجح بن قتادة، وفى سنة ٦٥٣ الشريف غانم بن راجح، وبعد عدة أشهر أصبح الشريف أبو نمى بن أبى سعيد حسن بن على بن قتادة وعمه الشريف إدريس أمراء واجبى التوقير.

وإن كان الشريف أبو نمى قد شارك عمه الشريف إدريس فى الإمارة إلى سنة ٦٦٧، إلا أنه انفرد بالإمارة فى نفس السنة وانفرد الشريف إدريس بالإمارة فى سنة ٦٦٧، وبعدها بسنة انفرد الشريف أبو نمى مرة أخرى بالإمارة وبعد ذلك بأربعين يوماً أصبح الأمير هو الشريف غانم مع أمير المدينة المنورة الشريف حماز بن شيخه الحسينى، وتولى الإمارة فى سنة ٦٧٠ الشريف أبو نمى، وفى سنة ٦٧٣ إخوته، وبعدهم الشريف أبو نمى مرة أخرى، وفى سنة ٦٧٧ حماز بن شيخه الحسينى، وبعده الشريف أبو نمى وفى صفر الخير من سنة ٧٠٠ الشريف حميضة بن أبى نمى مع الشريف رميثة بن أبى نمى أصبحوا أمراء لإمارة بلد الله.

ولما صعد الشريف أبو نمى مقام الإمارة بعد أن انتصر على أخويه تقاتل فى نفس السنة مع القافلة المصرية فى منى، وقتل أكثر الجنود الذين كانوا يحافظون على القافلة مع قائدهم، لذا جهزت الحكومة المصرية قوة كبيرة ضد الشريف أبى نمى.

إلا أنه بعد توسط العلماء وما بعث به أبو نمى من الهدايا الحجازية مع رسالة يعتذر فيها لم ترسل القوة العسكرية التى أعدت، وأبقى أبو نمى على منصب الإمارة، وقد بلغت مدة إمارة أبى نمى منفرداً ومشاركاً غيره خمسين عاماً، وتوفى بناء على قول سنة ٧٠٣.

كان الشريف حميضة مع أخيه الشريف رميثة إلى حلول موسم الحج، ولما جاء فى تلك السنة أمير «الكرك» ووالیه بيبرس اشتكى الشريف عطيفة وأبو الغيث أخاهما الشريف حميضة والشريف رميثة للأمير بيبرس فعزلهما، وعين مكانهما الشريف عطيفة والشريف أبا الغيث، وأخذ معه الشريفين حميضة ورميثة إلى مصر، إلا أن منصب الإمارة أسند بعد ذلك مرة أخرى إلى حميضة ورميثة، ثم لأخويهما، ثم إلى حميضة ورميثة، وأسندت الإمارة فى سنة ٧١٣ للشريف أبى الغيث بن أبى نمى.

ولم يتحمل الشريف حميضة والشريف رميثة خطورة الجنود الذين أتوا بأبى الغيث من مصر، وهربا إلى جهة اليمن. وقام الشريف حميضة ضد أبى الغيث سنة ٧١٤، وقبض عليه وهو فى سريره وأعدمه، واستقل بمنصب الإمارة إلا أن أخاه رميثة انتصر عليه سنة ٧١٥، فهرب إلى العراق واستنجد بالسلطان خدابند، وعاد سنة ٧١٨، وجعل الخطباء يذكرون فى مكة فى خطبهم اسم ملك العراق أبى سعيد خدابند.

عزلت الحكومة المصرية فى سنة ٧١٩ الشريف حميضة وعين مكانه أخوه رميثة. واستدعى الشريف رميثة بعد ذلك إلى مصر مؤخرا وأسند منصب الإمارة إلى الشريف عطيفة، وفى سنة ٧٢٢ أشرك الشريف رميثة والشريف عطيفة فى الإمارة، إلا أن الشريف رميثة استقل فى سنة ٧٣٤، وفى سنة ٧٣٥ شارك الشريف عطيفه أخوه رميثة، وفى النهاية انفرد الشريف عطيفة بالإمارة، واستدعى فى سنة ٧٣٧ الإثنان معاً إلى مصر وأسند منصب الإمارة إلى الشريف رميثة، وأوقف الشريف عطيفه فى مصر.

خلاصة القول أن الأخوة الأربعة الذين ذكرت أسماؤهم أداروا أمور الإمارة أربعة وثلاثين عاما مشتركين، إلا أن حروباً شديدة كانت تحدث فيما بينهم وكان يصلح بينهم بإرسال الجيوش من قبل الحكومة المصرية أحيانا أو من قبل الملك خدابند أحياناً، وفى النهاية توفوا كلهم واحدا تلو آخر غير الشريف رميثة الذى

حكم منفرداً، إلا أن الحكومة المصرية عزلت الشريف رميثة سنة ٧٤٦ وعينت مكانه ابنه عجلان بن رميثة وبعد سنتين عين ثقبة بن رميثة أيضاً، وبناء على ذلك حكم هذان الأخوان مشتركين.

عندما عاد الشريف عجلان من مصر سنة ٧٤٦ قام أهل مكة باحتفالات عظيمة، ومات أبوه رميثة خلال هذه الأفراح العظيمة.

قد علا الشريف رميثة مقام الإمارة سبع مرات، وحكم مشاركة مع أخيه حميضة عشر سنوات ومع أخيه عطيفة خمس سنوات، كما حكم منفرداً ما يقرب من خمسة عشر عاماً، فبلغت مدة إمارته ثمانين عاماً.

وقد شارك أخوة الشريف عجلان بن رميثة أخاهم فى الإمارة سنة ٧٤٧ وعلى قول آخر فى سنة ٧٤٨. وهم الشريف ثقبة والشريف سند والشريف مغامس شاركوا أخاهم الشريف عجلان فى الإمارة وبعد فترة انفرد الشريف عجلان بالإمارة وعزل إخوته. وبعد فترة انفرد بالإمارة الشريف ثقبة وذلك فى سنة ٧٥١، وأشرك بعد فترة الشريف عجلان فى إمارة ثقبة، وعزل الشريف عجلان سنة ٧٥٧، وعين مكانه ثقبة بن رميثة وبعد فترة عزل الشريف ثقبه، وأسند منصب الإمارة إلى الشريف عجلان وهو مستقل، وفى سنة ٧٥٨ أشرك الشريف ثقبة مع الشريف عجلان. وفى سنة ٧٦٠ عزل كلاهما، وعين مكانهما الشريف سند بن رميثة مع محمد بن عطيفة بن أبى نمى.

وأحضر الشريف عجلان مع ابنه إلى مصر عقب القتال الدامى الذى وقع بين أشراف مكة والجنود المصرية سنة ٧٦١ حيث سجنا.

عندما جلس على عرش مصر الملك المنصور محمد بن المظفر وجه منصب إمارة مكة الجليلة إلى عجلان بن رميثة، وبناء على طلبه أشرك له فى الإمارة أخاه ثقبة بن رميثة.

كان فى ذلك الوقت الأمير ثقبة مريضاً فى وادى «مر» وارتحل منه فى سنة ٧٦٢، وأشرك فى إدارة أمور الإمارة الشريف أحمد بن الشريف عجلان،

وأسقط اسم سند من الخطب ومات ثقبة بن رميثة فى ذلك الوقت، وفوض الشريف عجلان ابنه أحمد بن عجلان فى القيام بأمور الإمارة الخاصة به، فاستقلت إمارة مكة الجليلة وانتقلت لأحمد بن عجلان بن رميثة فقط.

واتخذ ملك مصر فى سنة ٧٦٦ إرسال (١٦) ألف درهم وألف إردب قمحاً عادة، وألا يؤخذ بناء على ذلك الضرائب التى كانت تؤخذ من الحجاج. وبما أن عجلان بن رميثة مات سنة ٧٧٧ عن عمر يناهز سبعين عاماً أعلن ابنه أحمد بن عجلان فى سنة ٧٧٨ مشاركة ابنه محمد بن أحمد فى الإمارة، وبعد عشر سنوات توفى إلى رحمة الله ومات محمد بن أحمد بعد وفاة والده بمائة يوم مقتولا.

هناك عدة روايات فى حق قاتل الشريف محمد، بناء على أحد الأقوال أنه قتل من قبل أحد الأشخاص المجهولين، وبناء على رواية ثانية قتله أحد المصريين، إذ كان فى سجن أحمد بن عجلان كثير من الشرفاء مثل الشريف محمد عم الشريف محمد بن أحمد، وأخواله الشريف أحمد والشريف حسن بن ثقبة، وابن خاله الشريف على بن أحمد بن ثقبة.

طرحت الحكومة المصرية إطلاق سراح هؤلاء المسجونين، إلا أن الشريف أحمد بن عجلان لم يوافق على ذلك فأسلم الشريف محمد بن أحمد بن عجلان شئون هؤلاء الشرفاء عقب وفاة والده، وقد تأثر ملك مصر من عمل الشريف محمد الطائش هذا، فعين عنان بن مغامس بن رميثة أميراً مكان محمد بن أحمد، وكان مغامس هذا قد فر من أحمد بن عجلان إلى مصر، وأرسله مع أمير حج مصر إلى مكة المكرمة، وكان محمد بن أحمد استقبل المحمل المصرى كالعادة. وفى ذلك الوقت ضربه أحد الخونة الباطنية من مصر وقتله، فألبس الشريف عنان خلعة الإمارة وأعلن أميراً. ودخل عنان بن مغامس فى سنة ٧٨٨ مع الموكب المصرى إلى المدينة المقدسة، وإن كان أنصار محمد بن عجلان حاولوا أن يدافعوا عن الشريف عنان فلم يستطيعوا ذلك، وفر كل واحد منهم إلى جهة ما.

فتقدم الشريف عنان بن مغامس بكل حرية ودبدبة إلى دائرة الإمارة وأشرك فى الإمارة ابن عمه أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رميثة.

وعزل عنان بن مغامس بعد سنة ونقل مكانه على بن عجلان بن رميثة. وبعد سنة أشرك عنان بن مغامس على بن عجلان فى الإمارة، وعزل سنة ٧٩٠، ونصب بعد ذلك بأربع سنوات مرة أخرى، وبما أن على بن عجلان قتل سنة ٧٩٧، جاء مكانه محمد بن عجلان، وعين فى سنة ٨٩٨ حسن بن عجلان، وفى سنة ٨٠٩ بركات بن حسن بن عجلان، وفى سنة ٨١١ الشريف أحمد بن حسن بن عجلان أشركوا فى إمارة أبيهم حسن بن عجلان فى إدارة شئون الإمارة.

الشريف حسن بن عجلان

عندما استقل هذا الشريف بالإمارة قبض على قاتلى أخيه على بن عجلان، وكذلك على أصحاب الفتن التى أدت إلى أخيه على بن عجلان، وكذلك على أصحاب الفتن التى أدت إلى هذا الفساد، وقضى عليهم جميعا.

وبعد هذا التوفيق فى القضاء على المفسدين زاد من شرفه ومهابته كما زاد من شجاعته، لذا كسب الحرب التى أعلنها ضد معارضيه بعد فترة وأعلن استقلاله. وكانت حرب حسن هذه ضروسًا دامية، حتى إن معارضيه لم يستطيعوا أن ينالوا العفو وهم يستقبلونه رافعين المصاحف الشريفة! لو كانت الحرب استمرت لحظة أكثر من الزمن لما بقى من المخالفين فرد يتنفس.

وإن تحقق استقلال الشريف حسن بعد القتال بثلاثة أيام إذ ترك بقية السيوف من الفرقة المخالفة فى مكة المعظمة متوجهين إلى اليمن، إلا أن الشريف حسن قد عزل من الإمارة سنة ٨١٨، وأرسل مكانه الشريف رميثة بن محمد بن عجلان.

وما كان من الشريف حسن إلا أنه بعث ابنه بركات إلى مصر، فوعدته الحكومة المصرية بإبقاء والده حسن فى منصب الإمارة، وأشرك الشريف بركات

فى سنة ٨٢٠ فى إمارة أبيه، وأبعد عن شركة الإمارة سنة ٨٢١، وعين مكانه الشريف أحمد.

ورجا الشريف حسن وإبراهيم بن حسن بالمشاركة، وصدقت الحكومة المصرية على مشاركة ابنيه على أن تكون إدارة الأمور فى يده.

واهتم إبراهيم بهذا واغتم وغادر مكة إلى اليمن، إلا أنه عاد فيما بعد و رجا أن يذكر اسمه أيضاً فى الخطب، فأسعف برجائه ونفذ طلبه.

بعد أن تأكدت إمارة الشريف حسن على الصورة التى ذكرت، تعهد الشريف حسن بعد ذلك بسنتين أن يدفع سنوياً للحكومة المصرية عشرة آلاف قطعة ذهبية، وذلك فى سنة (٨٢٥)، على أن يكون ما يدره ميناء جدة من الضرائب لإمارة مكة، وأعشار السفن الهندية للحكومة المصرية. وقبلت هذه الاتفاقية من قبل الحكومة المصرية على أن تكون سارية لمدة سبع سنوات ووقع عليها. إلا أنه عزل سنة ٨٢٧، وأعيد إلى منصبه سنة ٨٢٨، وتولى فى السادس عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٨٢٩.

كان الشريف حسن بن عجلان رجلا خيراً صبوراً، وبنى رباطاً خاصاً بالرجال وآخر خاصا بالنساء فى المدينة المنورة، كما أنه عمر وأصلح المستشفيات الموجودة فى زمانه كما عمر الأربطة القديمة وأحياها، وأرضى المساكين الغرباء وظل جالساً على كرسى الإمارة ما يقرب من ستة عشر عاماً.

الشريف بركات بن حسن بن عجلان:

استدعى الشريف بركات بن حسن بن عجلان إلى مصر سنة ٨٢٩ حيث ألبس خلعة الإمارة، وعزل سنة ٨٤٥ وعلى قول سنة ٨٤٦، وعين مكانه الشريف على بن حسن بن عجلان، وأراد الشريف بركات ألا يتخلى عن زمام الإمارة وألا يدخل على بن عجلان فى مكة المعظمة، إلا أنه فر منهزما وعزل الشريف على بن عجلان فى شوال من نفس السنة وأرسل مكانه الشريف أبو القاسم حسن بن عجلان.

ونال منصب الإمارة سنة ٨٤٩ الشريف بركات والشريف أبو القاسم بن حسين إلى سنة ٨٥١، وبعد ذلك بقليل الشريف بركات مرة أخرى.

وفى سنة ٨٦٠ ابن الشريف بركات محمد بن بركات، وأرسل الشريف محمد بن بركات فى سنة ٨٧٧ قاضى العراق إلى مصر مقبوضا عليه.

لأن ملك العراق حسن الطويل جهز محملا وأرسله إلى مكة بقصد الاستيلاء على الحرمين، وبعث مع هذا المحمل عدداً كافياً من الجنود تحت إمرة أمير للحج يطلق عليه اسم «رستم».

وزود رستم هذا بتعليمات خفية كما أرفق بالمحمل قاضياً ليخدع الحجاج والأهالى، وكان المحمل قد زين برايات متعددة وأعلام متنوعة، وأعطيت هذه الأعلام والرايات لبعض رافعى الرايات لاستخدامها فى وقت اللزوم.

فهم الشريف محمد ما يفكر فيه أمير قافلة العراق العدوانى بطريقة ما، فقبض عليه وعلى القاضى الذى كان معه وأرسلهما إلى مصر وقد حاز هذا العمل رضا الحكومة المصرية وسرورها، فقدرت هذه الخدمة الجليلة التى قدمها الشريف محمد، فكافأته بأن أرسلت له سيفاً وجواداً أصيلاً ومنشوراً.

وكان سرج الجواد الذى أرسل وجميع جهات السيف مزينة بمجوهرات مختلفة ومرصعة بأحجار غالية، وكان مسطوراً فى المنشور بالصراحة: أن ضبط وربط بلاد الشام واليمن ينبع والأقطار الحجازية خاص بالشريف محمد بن بركات، وبناء على هذا أخضعت جميع الأقطار الحجازية وعربانها للحكومة المصرية وذلك بإرسال الشجعان إلى هذه البلاد، وانتشر صيت عدالته وصداها إلى آفاق البلاد. وتوفى سنة ٩٠٣ فانتقلت إمارة مكة المعظمة فى هذه السنة إلى ابنه بركات بن محمد الذى شاركه فى الإمارة سنة ٨٧٨.

وبعد وفاة محمد بن بركات بأربعة أعوام وفى سنة ٩٠٧ أصبح ابنه هزاع بن محمد بن بركات شريكا لأخيه بركات بن محمد فى الإمارة، ولما توفى هذا فى خلال ذلك العام تولى مكانه أخيه أحمد بن بركات الذى اشتهر بين الأهالى بلقب «أحمد جازانى». وفى سنة ٩٠٨ توفى هذا الأخير أيضاً.

وإن كان الشريف أحمد الجازانى قام ضد أخيه بركات بن محمد وأعلن استقلاله بالإمارة عند ورود القافلة المصرية، إلا أنه قتل فى العاشر من شهر رجب يوم الجمعة فى نفس السنة فى أثناء الطواف وعين مكانه أخاه حميضة بن محمد بن بركات، ولما تغلب بركات بن محمد على حميضة فى يوم التروية من نفس العام؛ أعطيت براءة الإمارة للشريف بركات بن محمد على أن يشاركه فى الإمارة على بن بركات بن محمد قايتباى بن محمد. وتوفى على بن بركات سنة ٩١٣ كما توفى محمد[١] بن بركات الذى عين مكانه بعد فترة، كما توفى الشريف قايتباى أيضاً سنة ٩١٨، فظل الشريف بركات بن محمد فى مقام الإمارة منفرداً، وبعث بابنه أبى نمى إلى مصر راجياً بأن يسند مقام الإمارة لأبى نمى مستقلاً. وقبل السلطان الغورى رجاء الشريف بركات وأعطى إدارة حكومة أرض الحجاز وينبع للشريف أبى نمى، وأعطاه البراءة التى كتبت بهذا الخصوص وألبسه الخلعة المزينة بالذهب، وأعاده إلى مكة المعظمة.

الشريف أبو نمى:

ولما كان الشريف أبو نمى عاقلاً، مدبراً وقادراً على الحرب والضرب فقد ارتفع شأنه بين الأهالى فى أثناء إمارته؛ لنجاة الحجاج والأهالى والتجار من أن يلحق بهم الأذى والضرر.

وصادف فتح مصر لزمن إمارته، فذهب إلى مصر وقابل السلطان سليم خان فى قصر الروضة الجميلة على النيل، وعرض عليه خضوعه وبيعته وقدم له بعض التبركات المسعودة ومفتاح الكعبة المعظم. فأحسن له السلطان سليم بأن جعله أميراً على إمارة الأقطار الحجازية حتى حدود اليمن، ومحاصيل جدة المعمورة كما أعطى له ولأبيه خلعة فاخرة وسيفين مرصعين وأعاده إلى بلده.

وإن كان أكثر المؤرخين نقلوا هذه الحادثة فى صورة مبسوطة إلا أنها مخالفة لما رواه مؤرخو مكة. يقول مؤرخو مكة: «فكر السلطان المغفور له أن يبعث قوة

(١) ولد الشريف محمد فى مصر، لذا سماه أبوه بركات بن محمد «محمد الشافعى».

من الجنود ليستولى على مكة المعظمة والبلاد الحجازية فى سنة ٩٢٣، فعلم صالح الدين ابن أبى السعود[١] بن ظهيرة قاضى مكة الذى كان مسجوناً بمصر الأمر، فعرض على السلطان أن الشريف بركات سيخضع للسلطان بلا مخالفة، وسيعرض عليه طاعته وأنه لا داعى لسوق الجيوش إلى مكة المكرمة، إذا ما أذن له السلطان بكتابة رسالة إلى أمير مكة، وبناء على الإذن الصادر له من الإرادة السنية كتب إلى الشريف بركات رسالة يوضح له فيها الأمور. ولما وصلت الرسالة إلى الشريف المشار إليه لم يتردد فى إرسال ابنه أبى نمى برسالة تهنئة خاصة للسلطان إلى مصر. فسر السلطان سليم بوصول أبى نمى إلى مصر، فأيد بقاء والده أميراً على مكة المكرمة ومشاركته له فى الإمارة، وأعاده إلى مكة المكرمة وفى صحبته أعيان مكة الذين كان قبض عليهم السلطان الغورى قديما».

استطراد

إن تسليم أبى نمى الأمانات المقدسة ومفتاح الكعبة إلى السلطان سليم دون أن يطلبها، وتصديقه على خلافة السلطان لأكبر دليل وبرهان على صحة الرؤيا الصالحة التى رآها حاجب السلطان حسن أغا وأولت رؤياه أن السلطان مأمور من قبل النبى ﷺ بالحملة على البلاد العربية.

كان السلطان سليم خان ـ جعل الله مثواه الجنة ـ يتحرك وفق ما تراه نفسه من رؤى، أوما يراه من رؤى مَنْ يثق فيهم من حاشيته، ولكنه كان يطلع على الرؤيا التى يراها أىٌّ مِنْ حاشيته قبل العرض عليه.

الرؤيا

بينما كان الحاجب السلطانى نائماً فى الحجرة الخاصة به بجانب باب الحرم السلطانى ذات ليلة رأى فيما يراه النائم أن الباب المذكور يدق، فقال من الذى

(١) سبب حبس صلاح الدين عدم تسديد عشرة آلاف دينار مصرى كانت قد فرضت على حكومة مكة ظلماً بغير حق من قبل الحكومة المصرية.

يدق الباب؟ ورأى أن جناح الباب ومصراعه قد فتح بحيث يسمح برؤية من فى خارجه فعطف نظره بدقة على مسلحين يشبهون أهل البلاد العربية، وعلى يد كل واحد منهم راية فتعجب من هذا الأمر.

فتقرب الحاجب وهو مندهش من الباب فخاطبه أحد الأربعة الذين اقتربوا منه قائلاً: هؤلاء العساكر الذين رأيتهم هم أصحاب النبى ﷺ، إن النبى ﷺ أرسلنا إلى سليم خان وفوضه بخدمة الحرمين، هذا الشخص هو الصديق الأعظم وهذا هو عمر الفاروق والذى بجانبى هو عثمان بن عفان. أما أنا فعلى بن أبى طالب هيا أخبر بذلك السلطان!! قالوا هذا وغابوا عن الأنظار».

وظل الحاجب حتى الصباح متحيراً مندهشاً، وبعد أداء صلاة الصبح حكى رؤياه لحسن جان الذى ذهب بدوره إلى السلطان وقال له «يا مولاى السلطان !! إن عبدك حسن هذا لم ير الرؤيا، ولكن عبدك الحاجب حسن رأى الرؤيا» وحكى على مسامع السلطان الرؤية بالتفصيل.

لأن السلطان كان قد أمر حسن جان أن يقص له الرؤيا التى رآها فى تلك الليلة عدة مرات. وقال حسن جان وهو يروى الحكاية عندما بدأ يقص له الرؤيا: «أخذ وجه السلطان يحمر وفى النهاية بكى، وفى ختام الرؤيا خاطب حسن جان قائلاً: «يا حسن! ألم أكن أقول لك؟ إننا لا نتحرك إلى جهة ما دون أن نكون مأمورين!! كان آبائى وأجدادى من أصحاب الكرامة، إننا لا نشبههم» وبهذا القول غمط حق نفسه متواضعاً ثم أمر بتجهيز حملة مصر رحمه الله رحمة واسعة» انتهى.

مات الشريف بركات عن واحد وسبعين عاماً فى سنة ٩٣١، كما أن ابنه أبا نمى مات أيضاً عن ثمانين عاماً فى سنة ٩٩٢، وجلس على كرسى الإمارة بعد أبى نمى حسن بن أبى نمى.

وكانت مدة إمارة الشريف بركات ثلاثًا وخمسين سنة وحكم بمفرده أحياناً، وحكم أحياناً بالمشاركة مع ابنه. ومدة ابن أبى نمى اثنين وسبعين عاما، وشارك أباه مدة اثنى عشر عاما فى الإمارة.

كما اشترك ابن أبى نمى أحمد مع أبى نمى والده ما يقرب من أربع عشرة سنة فى الإمارة، ولكن لما مات أحمد سنة ٩٦١ عين مكانه أخوه حسن بن أبى نمى.

وكانَ السلطان سليمان بن السلطان سليم خان قد استصوب مشاركة الشريف أحمد والده فى الإمارة. لأن سليمان باشا أخذ معه أحمد بن أبى نمى بناء على رغبة أبيه إلى باب السعادة وهو عائد من حملة اليمن، وقد أجلسه السلطان المغفور له من شدة سروره به على يمينه وأشركه فى الإمارة مع أبيه.

قد تولى حسن بن أبى نمى الإمارة ما يقرب من خمسين عاماً ومات فى سنة ١٠١٠، وهو فى التاسعة والسبعين من عمره فى حرب نجد، وعين مكانه حسن بن أبى نمى بن بركات.

وكان الشريف حسن بن أبى نمى قد أشرك أولا ابنه حسين بن حسن بن أبى نمى، ومن بعده مسعود بن حسن بن أبى نمى فى الإمارة، ولما مات الاثنان واحداً تلو الآخر عين ابنه أبا طالب بن حسن بن أبى نمى، ولما مات هو أيضا سنة ١٠١٢ شارك أخوه أبو العون إدريس بن حسن فى تدبير أمور الإدارة.

لما كان الشريف أبو طالب يشارك أباه فى الإمارة كان السلطان محمد خان أرسل لحسن بن أبى نمى سيفاً ذا قبضة مرصعة.

وعندما وصل هذا السيف المرصع إلى مكة المعظمة اجتمع الأعيان والأشراف والضباط مع جنودهم ومشايخ القبائل فى حرم المسجد الحرام الشريف، وألبس الشريف حسن بين بئر زمزم والملتزم ابنه أبا طالب خلعة فاخرة بيده، وأمر بذكر اسم ابنه أبى طالب على المنابر بعد ذكر اسم السلطان.

لما أصبح إدريس بن حسن بن أبى نمى نائباً عن والده أشرك فى الإمارة أخاه فهيد بن حسن مع ابن أخيه محسن بن حسن بن أبى نمى باتفاق آراء الأشراف، ولما مات الشريف فهيد سنة ١٠٢٠ فى باب السعادة[1]. والشريف إدريس أيضاً

(١) والذى يدل على تاريخ وفاة الشريف فهيد بن حسن المصراع الآتى «تمات بالروم فهيد الحسن».

سنة ١٠٣٤، وهو فى الستين من عمره فى جبل شمر، فأعلن محسن بن حسين بن حسن استقلاله بالإمارة[١].

ولما مات الشريف محسن بن حسين سنة ١٠٣٨ وأحمد بن عبد المطلب الذى عين مكانه سنة ١٠٣٩ خلف مسعود بن إدريس الشريف أحمد سنة ١٠٤٠، وخلف عبد الله بن حسن بن أبى نمى مسعود، وجد الشريف عون الرفيق باشا الذى تولى الإمارة الآن فى سنة ١٠٤١ وانتقلت إمارة مكة المكرمة لمحمد بن عبد الله بن حسن بن أبى نمى.

وقد انهار البيت المعظم فى عهد الأمير مسعود بسبب سيل عظيم حدث فى زمن إمارة عبد الله بن حسن.

لما كان الشريف عبد الله قد اكتسى خلعة الإمارة كداهية عين مكانه بعد الحج ابنه محمد، وأشرك فى الإمارة زيد بن محسن منسحباً ومنزوياً فى ركن من الأركان، إلا أن اسمه ظل يذكر فى الخطب تبركاً.

حدثت وقعة جلالى فى عهد إمارة محمد بن عبد الله، وأعلنت إمارة الشريف نامى بن عبد المطلب.

خلاصة واقعة جلالى: خرجت جنود اليمن على طاعة قانصو باشا وهجموا على قنفدة، وأعلنوا هناك إمارة السيد نامى ثم هجموا على مكة، وقتلوا الشريف محمد بن عبد الله الذى أراد أن يدافع عن مكة من جهة الجنوب، وإن كان زيد بن محسن استمر فى الدفاع إلا أنه فهم عدم جدوى الدفاع بعد أن قتل مشاهير الأشراف مثل: أحمد بن حراز، حسين بن موسى، سعيد بن راشد وجرح هزاع بن محمد الحارث، وقتل مائتى رجل من أهل مكة.

فانسحب مع من نجا من القتل إلى وادى (مر الظهران). فدخل الجلاليون

(١) مات الشريف إدريس بن حسن فى مكان يسمى «ياطب» فى جبل شمر ومن المصادفات الغريبة عندما تحسب لفظة «ياطب» تدل على مدة إمارة المتوفى المشار إليه.

مكة وأعلنوا إمارة السيد نامى وشراكة عبد العزيز بن إدريس بن حسن فى إدارة مكة. وبعد ذلك ذهبوا إلى جدة ونهبوا أموال التجار والأهالى، ثم عادوا إلى مكة المكرمة ونهبوا منازل الأشراف، إلا أن الجنود الذين أرسلوا من مصر بَرًّا وبحراً قتلوا كثيراً من الجلاليين، وأعدموهم وأنهو فتنة الجلاليين وأعادوا زيد بن محسن إلى مقام الإمارة.

وبناء على ما يرويه مؤلف «تنقيح التواريخ» عندما كان الشريف سعد بن زيد أمير مكة، قام الشريف حمود بانتزاع الإمارة، وصرف مساعيه لإيقاع الفتن والفساد وتسلط على مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة، وأخذ يكيد على أبناء السبيل ويؤذيهم حتى تجرأ أن يقاتل والى جدة حسن باشا عدة مرات، وبناء على ذلك تغيرت أفكار الشريف سعد وطمع فى أموال التجار والصرة التى ترسل من إستانبول لفقراء الحرمين، وطلب من إمام اليمن أن يرسل له مقداراً كافياً من الجنود ليستولى على ميناء جدة، وأخذ يثير الفتن والفساد حتى إنه حرص على أن يطلق رصاصاً على حسن باشا والى جدة فى أثناء رميه الجمار، وهكذا فسد نظام البلاد وقطع أشقياء القبائل طرق الحرمين ومواردهما، ونهبوا قافلة الشام واغتنموها.

ولما عرض ما قام به الشريف سعد من انتهاكات على العتبة السلطانية رأى السلطان أن يعين والى الشام حسين باشا، وهو أخو سياوش باشا قائداً وأميراً للحج المصرى، وأوزبك بك قائداً للجيوش التى هيئت من مصر، وأن يتوجه إلى مكة المعظمة، فعندما وصل حسين باشا بقافلة الشام إلى مكة اهتم بالقضاء على الفتنة فعزل الشريف سعد، وعين مكانه الشريف بركات السالف الذكر وذلك نزولاً على رغبة عموم الأشراف والسادات ورضاهم.

حرص الشريف زيد بن محسن ما يقرب من خمس وثلاثين سنة على حسن إدارة البلاد الحجازية واليمن بالعدل والحق وتوفى سنة ١٠٧٧. وعين مكانه سعد بن زيد، وشاركه فى الإمارة سنة ١٠٧٩ أخويه الشريف حمود بن زيد

والشريف أحمد بن زيد، وفى سنة ١٠٨٢ أتى مكان الشريف سعد بن زيد الشريف بركات ابن محمد بن إبراهيم.

وتوفى الشريف بركات سنة ١٠٩٣، وعين مكانه ابنه الشريف سعيد بن بركات، وفى سنة ١٠٩٥ الشريف أحمد بن زيد، وفى سنة ١٠٩٩ الشريف سعيد بن سعد بن زيد وعقبه الشريف أحمد بن غالب بن محمد بن مسعود بن حسن بن أبى نمى، وفى سنة ١١٠١ الشريف حسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى، وفى سنة ١١٠٣، إمارته الأولى ستة أشهر، وفى إمارته الثانية ثلاثة أشهر، وفى إمارته الثالثة خمس سنوات وثلاثة أشهر، وبعد موت الشريف سعد بن زيد كلف أكبر أشراف مكة سنا وهو الشريف عبد المحسن بن أحمد، إلا أنه لم يقبلها ورأى أن تعيين عبد الله بن سعيد أنسب من تعيينه أميراً.

وللما استصوب هذا الرأى لدى الأشراف أتى إلى مقام الإمارة الشريف عبد الله وعين سنة ١١٣٠، برأى الشريف عبد المحسن وقراره الشريف على بن سعيد.

وعين أخو الشريف عبد المحسن الشريف مبارك بن أحمد بن زيد فى أوائل الشهر الثامن من إمارة الشريف على بن سعيد ثم شرف الشريف يحيي بن بركات بإلباسه خلعة الإمارة الفاخرة، وعزل الشريف يحيى فى سنة ١١٣٢ وأتى خلفه الشريف مبارك بن أحمد.

وبناء على وفاة الشريف عبد المحسن وهزيمة الشريف يحيى فى الحرب التى أعلنها ضد الشريف مبارك لسعاية بعض الأشراف، وفى سنة ١١٢٣ عين للإمارة الثانية الشريف مبارك، وعزل ولابنه بركات ابن يحيى سنة ١١٣٥، وفى سنة ١١٣٦ للمرة الثالثة لمبارك بن أحمد، وبعد مرور خمسة أشهر للمرة الثانية لعبد الله بن سعيد، وفى سنة ١١٤٣ لمحمد بن عبد الله، وفى سنة ١١٤٦ للمرة الثانية لمسعود بن سعيد، وفى سنة ١١٦٥ لمساعد بن سعيد، وفى سنة ١١٧٢ جعفر بن سعيد، وفى سنة ١١٧٣ للمرة الثانية لمساعد بن سعيد، وفى سنة

١١٨٤ لعبد الله بن سعيد، وبعد مرور زمن قليل لأحمد بن سعيد، وفى خلال نفس السنة لعبد الله بن حسين بن يحيى وفى نفس السنة للمرة الثانية لأحمد بن سعيد، وفى سنة ١١٨٦ لسرور بن مساعد.

لما تولى سرور بن مساعد الإمارة كان فى الثامنة عشرة من عمره وحاربه عمه أحمد بن سعيد لينتزع من يده زمام الإمارة، محرضاً ومشجعاً بعض القبائل العربية سبع عشرة مَرّة على حرب دامية، وانتصر فى بعض حروبه إلا أنه قبض عليه فى المعركة الخامسة عشرة فمات فى سجن جدة فى العشرين من ربيع الثانى سنة ١١٩٥.

وخلف الشريف سرور الذى توفى سنة ١٢٠٢ أخوه الشريف عبد المعين، ولكن بعد نصف يوم، وعلى رواية: بعد عدة أيام، لبس خلعة الإمارة أخوه الشريف غالب، وفى سنة ١٢٢٨ الشريف يحيى بن سرور، وفى سنة ١٢٤٢ الشريف محمد بن عبد المعين بن عون[١]، وفى سنة ١٢٦٦ عبد المطلب بن غالب، وفى سنة ١٢٧٢ الشريف محمد بن عبد المعين بن عون للمرة الثانية، وفى سنة ١٢٧٤ عبد الله باشا بن محمد بن عبد المعين بن عون، وفى سنة ١٢٩٤ حسين باشا بن محمد بن عبد المعين بن عون، وفى سنة ١٢٩٨ عبد المطلب بن غالب للمرة الثانية، وفى سنة ١٢٩٩ الشريف عون الرفيق باشا بن محمد بن عبد المعين بن عون.

ومازال مقام الإمارة يباهى الآن بوجود عون الرفيق باشا الهاشمى.

هذا جدول يحتوى على أسماء الأشراف الذين سعدوا بتولى إمارة مكة المكرمة وقد حكم بعضهم منفرداً والآخرون بالاشتراك مع الآخرين.

الطبقة الأولى[٢]

إسماعيل بن يوسف الأخيضر بن إبراهيم بن موسى الجون

(١) رأى والى جدة أحمد باشا تعيين الشريف عبد المطلب مكان الشريف يحيى، وأنبأ بالأمر باب السعادة، وأعلن فى عقب ذلك بالاتفاق مع علماء مكة إمارة الشريف عبد المطلب، ولكن دار السعادة رأت إمارة الشريف محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبى نمى أنسب للإمارة لذا أخرت إمارة الشريف عبد المطلب.

(٢) أمراء هذه الطبقة ظهروا فى سنة ٢٥١، وانقرض حكمهم سنة ٣٥٠ الهجرية، ومدة حكمهم تسع وتسعون سنة.

الشريف أبو عبد الله محمد بن يوسف الأخيضر

الشريف أبو جعفر أحمد بن يوسف الأخيضر

الشريف حسن بن يوسف الأخيضر[1]

الشريف محمد بن يوسف الأخيضر

الشريف إبراهيم بن أبى عبد الله محمد بن يوسف الأخيضر

الشريف حسن بن يوسف بن محمد بن يوسف الأخيضر.

الشريف أحمد بن يوسف بن يوسف الأخيضر.

الشريف محمد بن أحمد بن يوسف الأخيضر.

الشريف محمد بن جعفر بن يوسف الأخيضر

الشريف صالح بن إسماعيل بن يوسف الأخيضر

الطبقة الثانية[2]

الشريف حمزة بن عباس بن داود بن عبد الله

الشريف موسى الثانى بن عبد الله

الشريف داود بن موسى بن عبد الله

الشريف محمد الأكبر بن عبد الله

الشريف حسين بن محمد الأكبر بن عبد الله

الشريف محمد الثائر بن محمد الأكبر بن عبد الله

الشريف أبو هاشم محمد بن الثائر بن عبد الله

الشريف أبو جعفر محمد بن حسين بن محمد الأكبر[3]

الشريف أبو محمد جعفر بن محمد بن حسين بن محمد الأكبر

---

(١) ظهر إسماعيل بن يوسف الأخيضر فى بلاد اليمامة، إلا أن أخاه استولى على القطر الحجازى كاملا وهو الشريف حسن.

(٢) قد تأسست الطبقة الثانية سنة ٣٥٠ وانقرضت سنة ٤٥٣، وحكمت بلاد الحجاز ١٠٣ سنة.

(٣) وإن وجد بجانب إدارة الإمارة موظف من قبل ملوك الأسلاف يعمل إلى جانب الأمير إلى أواسط إمارة أبى جعفر إلا أن أباجعفر استقل بإمارة مكة وبقيت إمارة مكة الجليلة من بعده فى أيدى الأشراف الكرام.

الشريف عيسى بن أبى جعفر محمد بن محمد الأكبر

الشريف أبو الفتوح حسين بن محمد الأكبر

الشريف تاج المعالى أبو عبد الله شكر بن أبى الفتوح

الشريف حمزة بن عباس بن داود بن عبد الله المحصن بن حسن المثنى بن الإمام حسن السبط

الطبقة الثالثة[1]

الشريف أبو هاشم محمد بن جعفر

الشريف قاسم بن أبى هاشم محمد بن جعفر

الشريف فليتة بن جعفر

الشريف الأمير الشجاع قاس بن قليتة بن جعفر

الشريف قطب الدين فليتة بن قاسم بن جعفر

الشريف داود بن عيسى بن فليتة بن قاسم

الشريف مكثر بن مهنا بن عيسى بن فليتة

الشريف داود بن عيسى بن فليتة

الشريف مكثر بن عيسى بن فليتة

الشريف محمد بن مكثر بن عيسى بن فليتة

الطبقة الرابعة[2]

الشريف أبو عزيز قتادة

الشريف حسن بن أبى عزيز قتادة

الشريف الملك مسعود بن أفسيس

نور الدين على بن عمر بن رسول

(١) ظهرت الطبقة الثالثة للأشراف سنة ٤٦١ وحكموا إلى سنة ٥٩٨ الهجرية أى دام حكمهم ١٣٧ سنة.

(٢) تبدأ هذه الطبقة من سنة ٥٩٨.

طغتكين التركى[1]

الشريف راجح بن قتادة[2]

الشريف شيخة بن قاسم الحسينى[3]

الشريف أبو سعيد حسن بن على

الشريف أبو نمى بن أبى سعيد حسن

الشريف جماز بن حسن بن قتادة

الشريف راجح بن أبى عزيز قتادة

الشريف غانم بن راجح بن قتادة

الشريف أبو نمى بن أبى سعيد حسن

الشريف إدريس بن على بن قتادة

الشريف أبو نمى بن أبى سعيد

الشريف إدريس بن على بن قتادة

الشريف أبو نمى بن أبى سعيد حسن

الشريف غانم بن راجح بن قتادة

الشريف جماز بن شيخة الحسينى

الشريف أبو نمى بن أبى سعيد حسن

الشريف جماز بن شيخة الحسينى

الشريف أبو نمى بن أبى سعيد حسن

الشريف حميضة بن أبى نمى

الشريف رميثة بن أبى نمى

(١) أصبح طغتكين أميرا على راجح بن قتادة سبع مرات.

(٢) أصبح الشريف راجح سبع مرات أميرا على طغتكين التركى.

(٣) كان الشريف شيخة أمير المدينة المنورة.

الشريف عطيفة بن أبى نمى

الشريف أبو الغيث بن أبى نمى

الشريف حميضة بن أبى نمى

الشريف رميثة بن أبى نمى

الشريف عطيفة بن أبى نمى

الشريف رميثة بن أبى نمى

الشريف عجلان بن رميثة

الشريف ثقبة بن رميثة

الشريف سند بن رميثة

الشريف محمد بن عطيفة

الشريف عجلان بن رميثة

الشريف ثقبة بن رميثة

الشريف أحمد بن عجلان بن رميثة

الشريف محمد بن أحمد بن عجلان

الشريف عنان بن مغامس بن رميثة

الشريف أحمد بن ثقبة بن رميثة

الشريف عقيل بن مبارك بن رميثة

الشريف على بن عجلان بن رميثة

الشريف عنان بن مغامس بن رميثة

الشريف محمد بن عجلان بن رميثة

الشريف حسن بن عجلان بن رميثة

الشريف بركات بن حسن بن عجلان

الشريف أحمد بن حسن بن عجلان

الشريف رميثة بن محمد بن عجلان

الشريف حسن بن عجلان بن رميثة

الشريف بركات بن حسن بن رميثة

الشريف أحمد بن حسن بن عجلان بن رميثة

الشريف على بن حسن بن عجلان

الشريف أبو القاسم حسن بن عجلان

الشريف بركات بن حسن بن عجلان

الشريف محمد بن بركات بن حسن

الشريف أبو القاسم بن حسن بن عجلان

الشريف بركات بن حسن بن عجلان

الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان

الشريف بركات بن محمد بن بركات

الشريف هزاع بن محمد بن بركات

الشريف أحمد الجازانى بن محمد بن بركات

الشريف حميضة بن محمد بن بركات

الشريف على بن بركات بن محمد بن بركات

الشريف قايتباى بن محمد بن بركات

الشريف بركات بن محمد بن بركات

الشريف محمد بن بركات[1]

الشريف أبو نمى بن بركات بن محمد

الشريف حسن بن أبى نمى بن بركات بن محمد

الشريف أحمد بن أبى نمى بن بركات

(١) بما أن محمد بن بركات ولد فى مصر سمى محمد الشافعى.

الشريف أبو طالب بن حسن بن أبى نمى

الشريف حسين بن حسن بن أبى نمى

الشريف مسعود بن حسن بن أبى نمى

الشريف أبو العون إدريس بن حسن بن أبى نمى

الشريف فهيد بن حسن بن أبى نمى

الشريف محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى

الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبى نمى

الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن أبى نمى

الشريف عبد الله بن حسن بن أبى نمى

الشريف محمد بن عبد الله بن حسن بن أبى نمى[1]

الأمير زيد بن محسن

الشريف سعيد بن سعد بن زيد

الشريف أحمد بن غالب بن محمد

الشريف محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى

الشريف شعيب بن سعد بن زيد

الشريف سعد بن زيد بن محسن

الشريف عبد الله بن هاشم بن محمد

الشريف سعد بن زيد بن محسن

الشريف سعيد بن سعد بن زيد

الشريف عبد المحسن بن أحمد بن غالب

الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى

الشريف سعيد بن سعد بن زيد بن محسن

الشريف عبد الكريم بن محمد

(١) انهار البيت المعظم فى إمارة محمد بن عبد الله هذا.

الشريف سعيد بن سعد

الشريف عبد الله بن سعيد بن سعد

الشريف يحيى بن بركات

الشريف مبارك بن أحمد بن زيد

الشريف يحيى بن بركات

الشريف بركات بن يحيى بن بركات

الشريف مبارك بن أحمد بن زيد

الشريف عبد الله بن سعيد

الشريف سعد بن زيد بن محسن

الشريف حمود بن زيد بن محسن

الشريف أحمد بن زيد بن إبراهيم

الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم

الشريف سعيد بن بركات بن محمد

الشريف أحمد بن زيد بن محسن

الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد

الشريف مسعود بن سعيد

الشريف مساعد بن سعيد

الشريف جعفر بن سعيد

الشريف مساعد بن سعيد

الشريف عبد الله بن سعيد

الشريف أحمد بن سعيد

الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى

الشريف أحمد بن سعيد

الشريف سرور بن مساعد

الشريف عبد المعين بن مساعد
الشريف عبد المعين بن مساعد
الشريف غالب بن مساعد
الشريف يحيى بن سرور بن مساعد
الشريف محمد بن عبد المعين بن عون
الشريف عبد الله باشا بن محمد بن عبد المعين
الشريف حسين باشا بن محمد بن عبد المعين
الشريف عبد المطلب بن غالب بن مساعد
الشريف عون الرفيق باشا بن محمد بن عبد المعين

أمراء المدينة

لما كانت إمارة مكة المكرمة فى يد الأشراف الحسنية كانت إمارة المدينة المنورة تحت إدارة السادة الحسينية، وكانوا ينتخبون من مركز الخلافة ويعينون لمنصب الإمارة. كان حسن المثنى ابن الإمام حسن السبط فى عهد بنى أمية يتولى إدارة أوقاف المدينة المنورة[1] وقد بايع عبد الرحمن بن أشعث حسن المثنى فى البلاد العراقية غيابياً، وحرص على إدخال أهالى العراق فى بيعة حسن المثنى ولكنه قتل مسموماً، وعين مكانه زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين على بن الإمام حسين بن على (رضى الله عنهما)، وأسند إليه فى عهد المنصور العباسى إمارة المدينة المنورة بمشتملاتها.

عاش حضرة زيد قرابة مائة عام ولما استشهد، أسندت إمارة المدينة المنورة لمسلم بن عقيل من نسل أخى على بن أبى طالب عقيل وهو مسلم بن عقيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب، واستشهد مسلم سنة ٣٣٤ كما أسندت الإمارة إلى أبى القاسم بن مسلم بن أحمد بن مسلم بن عقيل، وبعد وفاته لعبد الله بن حسن بن عبد الله بن عباس بن على بن أبى طالب (رضى الله عنه).

(١) ومازال نَسل المشار إليه جالساً على كرسى الإمارة إلى الآن فى سنة ١٣٠٦.

ولما كان عبد الله بن حسن من أفاضل العلماء أخذ على عاتقه قضاء الحرمين المحترمين بجانب الإمارة، وقام بهاتين المهمتين خير قيام، وألبست بعده خلعة إمارة المدينة المنورة لإسحاق بن محمد بن يوسف بن جعفر الطيار (رضى الله عنه) الذى وفق فى طرح وبناء سور المدينة المنورة.

وأصبح مكان إسحاق بن محمد الشريف حسن بن طاهر بن مسلم بن عبد الله بن طاهر بن يحيى بن جعفر الحجة ابن عبد الله بن حسين بن على بن أبى طالب (رضى الله عنهما).

وأصبح أميرا مكانه هانى بن أبى على طاهر بن مسلم، ومن بعده الشريف أبو عمارة مهنا بن أبى هاشم داود ابن قاسم بن عبد الله بن طاهر بن يحيى بن جعفر الحجة الحسينى أميراً، واستقلت إمارة المدينة المنورة فى عهد حسن بن طاهر وفوضت الإمارة للسادة الحسينية.

كان جد عبد الله بن طاهر الجليل القدر الأمجد مسلم بن عبد الله جديراً بأن يطلق عليه فريد عصره فى ميدان الولاية فى زمنه قد جعل حفيده ابن طاهر وكلاء ملوك الفاطميين يصدقون على إمارته، وجعل الخطباء يذكرون اسمه فى الخطب على منبر مسجد السعادة، ولما وسع دائرة إمارته أشرك ابن عمه الشريف أبى على طاهر فى الإمارة وأسند إليه منصب أمير الجيش.

وعندما توفى أبو على ادعى ابناه هانى ومهنا، استحقاقهما منصب والدهما وتنافسا معاً من أجل ذلك وزاحما على دائرة الإمارة. وقد تأثر حسن بن طاهر من هذه المزاحمات والجرأة عليه، وغضب منهما وسافر إلى خراسان ليستعين بالسلطان محمود سبكتكين، ولكنه ارتحل عن الدنيا هناك فأخذ الأخوان يسوقان ضد بعضهما العساكر وتحاربا مرات وفى النهاية انتصر (مهنا) بن أبى على وأصبح أميراً.

وانتقلت الإمارة بعد مهنا لأخيه هانى، ومن بعده لأبى عمارة مهنا بن أبى هاشم داود بن قاسم الحسينى، وبعده للشريف (حسين بن مخيط) بن أحمد بن

حسين أبى هاشم داود، وبعد سبع سنوات للشريف (شهاب الدين) حسين بن أبى عمارة المهنا ومن بعده لابنه الشريف (مهنا الأعرج) ابن شهاب الدين.

بما أن حسين بن مخيط كان من الزهد والورع بمكان استمرت مدة إمارته سبع سنوات حتى أطلق على أبناء ابنه مهنا الأعرج وأحفاده (المهنائية). وتولى الإمارة بعد مهنا الأعرج (حسين بن مهنا)، ومن بعده أخوه (عبد الله مهنا) بن مهنا الأعرج. وبعده أخوه الآخر أبو فليتة قاسم بن مهنا الأعرج[1].

لما كان لأبى فليتة قدر عظيم بين الأهالى ولما كان فى نفس الوقت شجاعاً مهيباً ومتسامحاً اكتسب صداقة ملك مصر صلاح الدين الأيوبى، ومحبته واشترك فى حروب سنة ٥٨٤ كلها مع صلاح الدين وأظهر بعض البطولات.

وكسيت خلعة إمارة المدينة المنورة بعد وفاة أبى قتادة قاسم لابنه هاشم بن قاسم أبى فليبة، وبعد وفاته لابن أخيه الشريف (عز الدين الجماز) بن قاسم بن مهنا ومن بعده لشيخة[2] ابن هاشم بن قاسم بن مهنا، وبعده لأبى سند جماز[3] بن شيخة.

ذهب هاشم بن قاسم إلى الشام مستنجداً بملك الشام عقب هجمات أمير مكة أبى عزيز قتادة بن إدريس وعاد مستصحباً ما جهزه ملك الشام من الجنود. ولما توفى قبل وصوله إلى المدينة المنورة تحارب ابنه (عز الدين) مع الجنود الذين ساقهم أبو عزيز إلى جوار قرية صفراء، وهزم فريق قتادة هزيمة منكرة حتى استغرب منها المكيون أنفسهم، وسبب لهم خسائر فادحة ثم حاصر قلعة ينبع التى التجأ إليها أبو عزيز قتادة، وأخذ يضيق عليه، وبعد فترة وقع على اتفاق الصلح الذى عرضه أبو عزيز وعاد إلى المدينة المنورة.

عندما خرب هولاكو بغداد كان زمام إمارة المدينة المنورة فى يد عز الدين

(١) وحد الشريف قاسم بن مهنا سنة ٥٧١ فى إمارة المدينة مع مكة المكرمة.
(٢) تعين الشريف شيخة بن قاسم فى سنة ٦٣٧ لإمارة مكة المكرمة أيضاً.
(٣) كان الشريف جماز بن شيخة فى سنة ٦٦٩ أميراً لمكة المكرمة.

الجماز السالف الذكر، كما أن إمارة مكة كانت فى يد ابن أبى سعيد بن على الشريف أبى نمى. لما كان حفيد الشريف جماز أبو سند جماز بن شيخه أميراً غضوباً اشتهر بلقب (حرون)، وعين بعد موته أخوه (منيف) بن شيخة أميراً، ومن بعده ابن عمه (مقبل) بن جماز، ومن بعده (كبش) ابن منصور.

وكان لمنصور أربعة أبناء هم كبش وكبيش وفضيل وعطية فقال لكبش منصب الإمارة، ولما رأى إخوته الآخرون أنهم أكثر استحقاقاً للإمارة من أخيهم الكبير، قاموا ينازعونه الإمارة ويزاحمونه مدة طويلة، فانتزع كبيش الإمارة من أخيه الكبير كبش، كما أن فضيل انتزع الإمارة منه، إلا أن (عطية) انتصر على إخوته الثلاثة بعد فترة واستقل بالإمارة، وفى سنة ٧٨٣ جاء أجله وارتحل عن دنيانا فعين مكانه (محمد بن عطية)، وفى سنة ٧٨٨ (عمير بن قاسم) بن جماز، كما عين مكانه (جمال الدين جماز) ابن هبنة بن منصور.

قام بعض المفسدين فى إمارة جمال الدين جماز بإشعال الفتن، فاضطرب الأمن والاستقرار مما أجبر الحكومة المصرية على التدخل بإرسال جنود كافية وفعلا أرسل الملك الناصر فرقة عسكرية، وانتزع الإمارة من يد جمال الدين وأحال إدارة إمارة المدينة المنورة للأمير (حسن بن عجلان) أمير مكة المكرمة. وأسند حسن بن عجلان إمارة المدينة المنورة لثابت بن نضير هبنة بن منصور وإلى أبيه نضير هبنة بن منصور سنة ٨١١ بعد وفاة ثابت.

ولما مات حسن بن عجلان سنة ٨٢٠ أصبح (عزيز بن هنازع) أميراً مستقلا، وفى سنة ٨٢٥ مات عزيز فاحتل مكانه (حسن بن جماز) ومن بعده (إيبان) بن جماز بن هبنة، وبعده (مانع بن على بن عطية بن منصور. وفى سنة ٨٣٩ (وثبان بن مانع)، وبعد موته أخوه (قايتباى بن مانع)، وبعده (سليمان بن مانع)، وبعد ارتحاله (ايسان بن مانع)، وبعده (سليمان بن عزيز) بن هنازع، وبعد وفاته (زهير بن أيسان)، وبعد عزل زهير أخوه (ضيغم) بن زهير وفيما بعد (قسيطل) بن زهير، ومن بعده (زهير) وعين فى سنة ١٠٩٩ تاريخ وفاة زهير

(حسن بن زهير)، وعند وفاةحسن بن زهيرأحيلت إدارة المدينة المنورة لإمارة مكة المكرمة.

الجدول الذى يشتمل على أسماء السادات الذين تولوا إدارة المدينة المنورة.

حسن المثنى ابن السيد الإمام الحسن السبط رضى الله عنه.

زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين على الحسينى.

مسلم بن عقيل بن محمد العقيلى.

أبو القاسم مسلم بن أحمد

إسحاق بن محمد بن يوسف الجعفرى

حسن بن طاهر الحسينى

أبو على طاهر الحسينى

هانى الحسينى

مهنا الحسينى

أبو عمارة بن مخيط الحسينى

حسين بن مخيط الحسينى

شهاب الدين الحسينى

مهنا الأعرج الحسينى

حسين الأعرج الحسينى

أبو عبد الله الأعرج الحسينى

عزيز بن هنازع الجمازى الحسينى

حسن الجمازى الحسينى

إيتان الجمازى الحسينى

مانع الجمازى الحسينى

وثبان الجمازى الحسينى

قايتباى الجمازى الحسينى

سليمان الجمازى الحسينى
أبو فليتة الأعرجى الحسينى
هاشم بن أبى عبد الله الأعرجى الحسينى
عز الدين الأعرجى الحسينى
شيخة الأعرجى الحسينى
أبو سند جماز الأعرجى الحسينى
منيف بن شيخة الأعرجى الحسينى
مقبل بن شيخة الأعرجى الحسينى
كبش بن المنصور الحسينى
كبيش بن المنصور الحسينى
فضيل بن المنصور الحسينى
عطية بن المنصور الحسينى
محمد بن عطية الحسينى
عمر بن قاسم الجمازى الحسينى
جمال الدين الجمازى الحسينى
ثابت بن نضير الجمازى
عجلان بن نضير الجمازى
إيسان الجمازى الحسينى
سليمان الجمازى الحسينى
زهير بن إيسان الجمازى الحسينى
ضيغم بن إيسان الجمازى الحسينى
قسيطل بن إيسان الجمازى الحسينى
زهرى بن إيسان الجمازى
حسن بن زهرى الحسينى

فى ذكر الخارجين فى البلاد اليمنية

بنو زيد وبنو مهدى

بنو طباطبا ـ هؤلاء من السادات العلوية ظهروا فى سنة ٢٨٨ واتخذوا صنعاء وصعدة مقراً لحكومتهم فى اليمن.

اسم أول من ظهر فيهم يحيى بن حسين، خرج مغترا بنسبه الذى يتصل بالإمام على فى الدرجة الثامنة مدعياً الإمارة ولقب بلقب الإمام الهادى.

تغلب فى ابتداء خروجه على الموظفين العباسيين وامتلك المنطقة اليمنية كلها بالحرب. وبعد سنة ساق ضده المكتفى بالله البعاسى قوة كافية واستولى على جميع البلاد التى تحت حكم الهادى ما عدا بلدة صعدة فأقام فيها إلى أن مات، وقد قام ستة من سلالة متوالية بالإمامة لأهالى تلك البلدة ثم انقرضوا سنة ٣٥٤.

بنو زياد ـ بنو زياد الذين استولوا على المنطقة اليمانية ستة أفراد، وكان ابتداء ظهورهم فى سنة مائتين وثلاث ونهايتهم فى سنة أربعمائة وسبع. وبناء على هذا الحساب كانت مدة سلطنتهم مائتين وأربع سنوات. وكانت دار ملكهم مدينة زبيد.

وكان أول من تولى الحكم من بنى زياد محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن زياد وقد خرج فى عهد الخليفة المأمون وقبض عليه بتهمة التمرد وسجن وترك أمر حراسته للوزير فضل بن سهل، وفى هذه الفترة اضطربت الأحوال فى الديار اليمانية، ولزم إرسال شخص يستطيع أن يعيد إليها أمنها واستقرارها، ورأى فضل بن سهل أن أصلح شخص لهذه المهمة هو محمد بن إبراهيم، فأرسل إلى اليمن قائداً للجيوش التى كانت قد هيئت للسفر.

استطاع محمد بن إبراهيم أن يتغلب على الذين أفسدوا استقرار اليمن وأمنه

بالحرب، وأسس مدينة زبيد سنة ٢٠٤ وزاد من قوته العسكرية بما جلب من الجنود، واستولى على إقليم اليمن كله وأصبح حاكماً للبلاد اليمنية إلى أن توفى تاركاً خمسة من أحفاده فقط حكموا بعده.

ولما كان الرابع من بنى زياد قد تولى رياسة الحكومة صغير السن فحكم فى ابتداء حكمه (حسين بن سلامة) وكيلاً عنه إلا أن الحكم قد انتقل إلى يد عبد لحسين بن سلامة يدعى نجاح مرجان. وأطلق بناء على ذلك على بن زياد الذين تفرعوا وحكموا من بنى نجاح النجاحيون، ودار الملك لبنى نجاح كانت مدينة زبيد، وقد ظهروا سنة ٤١٢ وانقرضوا سنة ٥٥٣، وبذلك تكون مدة حكمهم ١٤١ سنة.

حاضرة بنى مهدى ـ أول من ظهر من أفراد بنى مهدى على بن مهدى سنة ٥٥٣، والحكومة التى انتقلت لأحفاده انقرضت وزالت سنة ٥٦٩. ومسقط رأس على بن مهدى قرية (عنبترة) على ساحل زبيد، وبعد سياحته مدة فى الحجاز والعراق عاد على بن مهدى إلى ولايته، وقد تنبّأ بأحوال المستقبل لبلاده وتحققت صحة توقعاته، فاستطاع بهذا أن ينال بيعة خلق زمانه، وبهذه الطريقة استطاع أن يدخل إقليم تهامة، أى أهالى الأراضى التى بين السواحل والجبال، لدائرة احتياله كيفما شاء، ووسع حدود حكومته ثم أطلق على الذين أتوا من تهامة المهاجرين، وعلى سكنة الجبال الأنصار، وجعل كل واحدة من هاتين الفرقتين تحت قيادة نقيب، وانسحب إلى دائرة أخرى حتى لا يختلط بالأهالى وأدار أموره بواسطة هؤلاء النقباء، فنهب القرى والمزارع والصحارى وتصادف خروجه مع زمن عز الدين جماز انقراض بنى نجاح، فاستولى على مدينة زبيد أيضاً أعلن استقلاله سنة ٥٥٤، وانتقل الحكم من بعد وفاته إلى ابنه المهدى، وبعد موته إلى ابنه عبد النبى. واستمر حكمه وحكم أبنائه خمسة عشر عاماً.

فروع الدولة الأيوبية ـ استولى أحد فروع الدولة الأيوبية سنة ٥٦٩ على الخطة اليمانية، وانقرض حكمهم وحكم من أتى بعدهم سنة ٦٢٦. وبناء على هذا التقدير فمدة حكمهم ٥٧سنة، وقد خضع بعض منهم للدولة الأيوبية، ورفض الآخرون الطاعة والانقياد وكان ذلك سبب انقراضهم.

بنو رسول التركمانية: هم من أتباع رسول الأيوبية كان ظهورهم سنة ٦٢٦، وانقراضهم سنة ٨٥٩. وبلغت مدة حكمهم إلى مائتين وثلاث وثلاثين سنة، كما بلغ عدد حكامهم إلى عشرة أشخاص وكان مقر حكومتهم مدينة زبيد.

يدعى المؤرخون أن بنى رسول من أصل يستند إلى الملوك الغسانية، ويرددون الحكاية الآتية فى سبيل إثبات مدعاهم.

الحكاية

كان جبلة بن الأيهم من الملوك الغسانية تشرف باعتناق الإسلام فى عهد عمر الفاروق الذى اتَّسَمَ بالعدالة، ثم ارتد ودخل تحت حماية ملك القسطنطينية وأصر على الكفر.

إلا أن بعض أولاده الذين نشئوا فى القسطنطينية اختاروا أن يتنزهوا ويسيحوا فى البلاد التركمانية، وتآلفوا هناك مع عشيرة بجك وتعلموا لغتهم، ونتيجة لذلك عدوا أنفسهم من أفراد هذه العشيرة.

وذهب واحد منهم وهو محمد بن هارون مع بعض الأقوام الكردية الذين اختلط بهم إلى بغداد، واكتسب صداقة بعض الأمراء من خلفاء العباسيين، وتحيز لهم فأرسل فى فترة ما بمهمة خاصة إلى جهات مصر والشام وسمى رسول.

ووجد هذا الشخص فى أثناء فتن بغداد فى جهة الشام ولما عرف بالأمر قصد مصر وبايع الناصر صلاح الدين من السلاطين الأيوبية ونالت بيعته قبولا واحتراما لديه. وأرسل بمهمة إلى اليمن حيث أعلن استقلاله باليمن بعد فترة.

وحكم خلفاء محمد بن هارون فى إقليم اليمن مستقلين. ووسعوا بلادهم وزادوا من قوتهم حتى أنهم انتصروا على الأئمة الزيدية الذين خرجوا رافعين راية العصيان وشتتوا شملهم.

بنو طاهر ـ ظهر حكام بنى طاهر فى سنة ٨٥٩، وانقرضوا فى خلال سنة ٩٢٢، ولم يستطيعوا أن يثبتوا فى الحكم إلا ٦٣ سنة.

ينتمى بنو طاهر نَسَبًا لعمر بن عبد العزيز من الخلفاء الأمويين.

انتزع عامر بن طاهر حاكمهم الأول بعض أماكن القطعة اليمنية من بنى رسول، وبعض أماكنها من أيادى الأشراف، واستولى فيما بعد على جميع أقاليم اليمن، وانتقل زمام الإدارة بعد وفاته لأخيه، وبعد موته لابن أخيه وبعد موته ليد ابنه. وفى سنة ٩١٧ استولى البرتغاليون على كجرات ودكن من البلاد الهندية، كما استولوا على شواطئ جزيرة العرب الشرقية الجنوبية، كما بنوا على ساحل دكن فى نقطة استراتيجية قلعة حصينة متينة تسمى فوقا، وتمكنوا من مضيق هرمز وأخذوا يؤذون الأهالى من المسلمين الذين يسافرون بحراً أو براً ويضرونهم.

ولما عرف حاكم نجران مظفر وحاكم اليمن عامر بن عبد الوهاب استمدا من ملك مصر السلطان الغورى العون مرسلين له رسائل استغاثة. وما كان من السلطان الغورى إلا أن أرسل الأمير حسين بما جهزه من السفن الموافية والجنود الكافية إلى مضيق هرمز ليدافعوا عن البلاد الإسلامية ضد البرتغاليين. وعندما وصل الأمير حسين إلى جدة، أسرع ببناء قلعة يحتمى بها عند الحاجة وبعد الانتهاء من بناء القلعة توجه نحو مياه كجرات ولما كان المرور من المضيق الذى استولى عليه البرتغاليون من الأول مستحيلاً فعاد إلى جزيرة كمران[1] التى تحت ولاية اليمن وحكمه، وأرسل رسولاً خاصاً إلى حاكم اليمن عامر بن عبد الوهاب يعلمه أنه ظل بدون ذخائر، وبناء عليه يجب أن يرسل له بعض الذخائر.

ولكن عامر بن عبد الوهاب كان غاضباً من الأمير حسين لقضائه وقتاً طويلاً فى جدة عبثاً لبناء القلعة فلم يتنازل حتى بالرد عليه. وأثار غضب عامر بن عبد الوهاب وعدم رده على رسالة الأمير حسين حفيظة الأمير. أخذ يفكر فى انتزاع بلاد اليمن من يد عامر واغتصابها طمعاً فى امتلاكها، وانصرف عن المهمة التى بعث لأجلها من قبل الحكومة المصرية، وساق الجنود الذين تحت إمرته إلى

(١) هذه الجزيرة الآن هى الجزيرة التى يطلق عليها (قمرون).

البلاد اليمانية. واستولى على مدينة زبيد سنة ٩٢٢، ونفر اليمنيون منه بما قام ضد الأهالى من ظلم وبغى.

ولما ألحق السلطان سليم القطعة المصرية بالولايات العثمانية المتسعة فى سنة ٩٢٣، علم بما قام به الأمير حسين من الظلم والبغى ضد أهالى اليمن فبعث برسالة سلطانية إلى أمير مكة الشريف أبى نمى يطلب منه أن يعمل على قتل وإعدام الأمير حسين فما كان من الشريف المشار إليه إلا أن دعا الأمير حسين ليبعث إلى عتبة السلطان سليم ولما جاء أركبه على سفينة فى مياه جدة فلقى حتفه غريقاً.

وعندما أعدم الأمير حسين استولى أحد غلمانه الذى يسمى برسباى على حكومة اليمن بالقوة جامعاً حوله بقية السيوف من حرب مصر، وارتكب كثيراً من الظلم والأذى ضد الأهالى.

وقد أسندت فى سنة ٩٢٣ بعد وفاة الأمير برسباى ولاية اليمن إلى أمير مقربة إسكندر بك بمنشور سلطانى، وأخذ خطباء اليمن يذكرون بعد ذلك فى خطبهم اسم السلطان العثمانى، وفى سنة ٩٢٧ أنهيت خدمات أمراء الشراكسة وحكومتهم.

الأشراف الحسينية ـ كان عبد الله منصور من السادات الحسينية وقد غضب من الخلفاء العباسية وهاجر إلى اليمن حيث أقام مرتاحاً.

ولما أصاب إدارة الإمام فى تلك الفترة ضعف كلى ظاهر بايع الناس الشريف عبد الله منصور سنة (٦٠٠) وهكذا اكتسبت جماعة المشار إليه قوة فاستولى على مدينة صنعاء العظيمة وما حولها وحكم إماماً أربعة عشر عاما، وبعد أن توفى قسم أولاده بلاده إلى قسمين وقاموا بحكمهما كلية.

والذين قاموا بالإمامة إلى وقت قريب كانوا من نسل عبد الله منصور حتى إن أغلب أهالى اليمن وصنعاء اتبعوا المذهب الذى وضعه زيد بن على زين العابدين بن الحسين الشهيد بن على بن أبى طالب رضى الله عنه كما أن حكام اليمن

يسمون بـ الأئمة الزيدية أيضاً وكان الحكام الذين يحكمون القطعة اليمانية يحكمون جهات حضرموت أيضاً.

إن أراضى نجد وعمان فى داخل القطع الخمس لجزيرة العرب، ولم كانت بعيدة عن قطع الحجاز واليمن تفصل بينها صحارى شاسعة، وكانت هذه الصحارى سدا منيعاً تقف دون ضبط هذه البلاد للحكومات التى تحكم الحجاز واليمن، لذا كان الأهالى المقيمون فى هذه الأراضى يفوضون أمورهم لبعض الأمراء والمشايخ خاضعين لهم منقادين. وقد اتخذ سكنة هذه المناطق فى عهد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ فى زمن خلافة بنى أمية والخلفاء العباسيين مذهباً مخالفاً لمذهب أهل السنة والجماعة، وأعلنوا أن البيعة والانقياد غير مشروعة للخلفاء وكفروا أهل السنة والجماعة وحاولوا أن يردوهم إلى مذهبهم بالقوة والحرب.

واتفقوا مع الخوارج الذين يرون الجهاد واجباً لرد المسلمين إلى مذاهبهم وحاربوا أصحاب العقائد الصحيحة، وقاتلوهم فترة طويلة وبذلوا أقصى الجهود لنشر أفكارهم، ناهيك عن ترويج مقاصدهم لكن قوتهم وصولتهم اضمحلت فى ظل سيف الشريعة المسلول. وما زال حكم العقائد الباطلة جارياً بين سكان الممالك المذكورة. وقد ظهر فى وقت ما بعض الخبثاء الذين يسمون القرامطة والذين يذهبون لاعتناق خلاصة الخلاصة لمذاهب السابقين والذين أساءوا إساءة بالغة لأهل السنة والجماعة فى زمنهم وإننى سأذكر فى المقالة الآتية كيفية ظهورهم والمضرات والخسائر التى أورثوها للأمة الإسلامية.

الصورة الثالثة

فى بيان ظهور طائفة القرامطة

لما كانت الروايات كثيرة فى بداية ظهور القرامطة ولما سيذكر ما يلزم ذكره فى مكانه فيما يأتى فلا داعى لتفصيله هنا.

بناء على رواية أن شرارة شر وفتن هؤلاء الخونة اشتعلت فى سنة ٢٦١، وفى زمن المعتمد على الله، وعلى رواية أخرى فى عصر الخليفة المعتضد بالله سنة ٢٨٩، وأخمدت سنة ٣٧٣، أو فى سنة ٣٧٦ أى فى عصر الطائع بالله وعلى قول سنة ٣٨٤ أى فى ابتداء خلافة القادر بالله.

وبناء على هذا التقدير فإن الخبثاء القرامطة استمروا فى إجراء شقاوتهم ثمانين عاماً أو مائة وثلاثة عشرين عاما إلا أنهم لم يستطيعوا أن يقيموا حكومة قوية فى هذه المدة.

أول من ظهر من القرامطة أبو سعيد حسن بن بهرام الجنابى. وكان هذا الخبيث من أهالى قرية جنابة القريبة من أهواز وكان يعمل بالبصرة وزاناً. وذهب فى فترة إلى بلاد البحرين حيث تظاهر بالتقوى والتدين واخترع اعتقادات عجيبة باطلة وخدع الناس وانقاد له بعض الحمقى من العربان والبلهاء وبايعوه.

وكانت غاية أبى سعيد من فعله هذا أن يحلّ ما حرمه الشرع، وأن يخرج بهذه الدسيسة إلى حيز العمل، لأن التمرد الذى فى ضميره لم يكن جائزاً شرعاً، وكان يعرف أن الناس لن يصدقوه ولن يتبعوه.

وفى الواقع أضل بعض القرامطة مثل على بن يعلى الذين لا يبالون بالدين كثيراً، واستولى على مدينة القطيف حرباً أولا ثم هجم على نواحى البحرين ونهب أموال سكانها واغتنمها، وقتل خلقًا كثيرا وهكذا أجرى حكمه الظالم الشقى حسبما يريد.

وأطمع شخصاً يسمى يحيى بن ذكرويه، وأخرجه ليضر الناس وهو يجول

بالبلاد المتجاورة. وكان ابن ذكرويه هذا من أعيان القرامطة، وبناء على تشويق أبى سعيد حسن بن بهرام وتحريضه استطاع أن يدخل بعض القبائل العربية تحت دائرة ضلاله واستولى بهم على حوالى الشام، وزاد من قوته ووسع دائرة حكمه بواسطة الطوائف الباقية المرسلة من قبل حسن بن بهرام.

واستولى على أقاليم نجد، اليمامة، واليمن وتجرأ على أن يقتل آلاف الناس منهم ويسلب أرواحهم وعندما اتحدت هذه الطوائف مع بعضها وكونت قوة عظيمة لم تترك شراً وفساداً وفتنة لم ترتكبها.

هجم القرامطة على حجاج المسلمين فى سنة ٣١٧ بغتة، وذبحوا من قبضوا عليهم من الحجاج. وبعد ذلك هجموا على مكة المكرمة وانتزعوا الحجر الأسود من مكانه وحملوه إلى بلادهم، واحتفظوا به عندهم ٢٢سنة وتجرءوا على هذا سود وجههم فى الدنيا والآخرة (قبحهم الله).

وكان (الجانى أبو طاهر رئيس القرامطة الذين هجموا على مكة المكرمة واقتلعوا الحجر الأسود من مكانه وحملوه إلى ديارهم فى بلاد هجر.

هذا الشقى عندما دخل إلى المسجد الحرام قتل ثلاثين ألفا من الحجاج وكان أغلبهم محرمين. وذبح بعض هؤلاء فى حرم مسجد الحرام والآخرون فى داخل بقعة الكعبة المعظمة.

وعرض أبو طاهر الخائن حينما حمل الحجر الأسود إلى بلده الأمر على عبد الله المهدى من ملوك الفاطميين بالكتابة إليه، وبين له أنه يكفر فى ذكر اسمه فى الخطب، وكان عبد الله المهدى قد قبح هذه الفعلة الشنعاء إذ قال له يا للعجب! إنك قد ارتكبت فى بلد الله الأمين جرائم مختلفة وفضائح، وحملت الحجر الأسود إلى هجر، وهتكت حرمة ستارة بيت الله الذى ظل مكرماً معززاً فى العهد الجاهلى والإسلامى!! ومع هذا تريد أن تذكر اسمى فى الخطب! ألا فليلعنك الله وأعوانك. فلما وبخه عبد الله المهدى وعاتبه بهذه الكيفية ترك أبو طاهر العناد وهم بطاعته.

وكان سبب عرض أبى طاهر طاعته وإخلاصه لعبد الله بن المهدى تصديق أن المشار إليه من الأئمة الجعفرية.

لأن عبد الله بن المهدى كان قد خرج منتسباً إلى محمد بن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق. ولما كان عبد الله المهدى صحيح الاعتقاد رد ما يضمره أبو طاهر وخرجه.

قد وجد فى الملوك الفاطمية من روج فكر أبى طاهر وكان الحاكم بأمر الله المنصور الذى جلس على عرش مصر سنة أربعمائة الهجرية من هؤلاء، وقد وصل غدره وظلمه إلى درجة ادعاء الألوهية، وحرص على أن يوقع فيما كتبه من الأوامر بسم الله الحكم الرحمن الرحيم، وأمر بأن يذكر اسمه فى البلاد التى كانت تحت سلطته، وخاصة فى الحرمين الشريفين فى الخطب. وأينما ذكر اسمه كان الناس يقومون على أرجلهم ويبرزون مراسم تعظيمهم له واحترامهم.

قد تجرأ القرامطة فى السنين (٢٨٧ و ٣١٣) على الإغارة على الكوفة وفى سنة (٢٨٦) على البحرين، وفى سنة (٢٨٩ ، ٢٩٣) على الشام ودمشق، وسنة (٣٠٧) على البصرة، وفى سنة (٣١٥) على الأنبار، وفى سنة (٣١٦) على البلاد المشهورة مثل الرحبة والرقة وهيط، وقتلوا أهاليها وقضوا عليهم واستأصلوا قوافل حجاج العراق فى سنة (٢٩٤، ٣١٢، ٣٦١)، وأغلقوا طرق الحج فى سنة (٣١٤، ٣٥٦، ٣٦٣، ٣٨٤).

ودفع ظل تسلطهم الثقيل من فوق أكتاف الناس فى سنة (٣٧٦)، وعلى قول (٣٨٤) فى خلافة الطائع بالله بسيف الشريعة المنتقم.

هناك اختلاف كبير فى بيان حقيقة عقائد القرامطة الباطلة، وبناء على ما يذكره فريق من المؤرخين فإن أول شخص ظهر فيهم قد تجرأ وادعى النبوة. وحاول أن يقنع الناس بكتاب ألفه أنه من الكتب السماوية، وبناء على رأى فريق آخر من المؤرخين وتدقيقاتهم أن أول من ظهر من القرامطة رجل من الأئمة الإسماعيلية، وادعى أنه مبعوث من قبل الإمام المهدى، وأراد أن يقنع الناس بذلك.

ولا يعرف قطعياً أية رواية من هاتين الروايتين صحيحة، ولكن مما ليس فيه شك أن المذهبين يروجان مذهب الرفض والإلحاد.

وإن كان هؤلاء الخبثاء يقتنعون بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (رضى الله عنه)، ويعلنون أنهم ينتمون للطائفة الإسماعيلية إلا أنهم يحكمون بإحلال المحرمات الشرعية، ويعتقدون أن سفك دماء المسلمين مباح، كما يحكمون بكفر من لا يعتنق المذهب القرمطى.

وكانوا يعدون طاعة الإمام المعصوم من الصلوات المكتوبة، وإعطاء كل شخص خمس ما يمتلكه من الأموال للإمام المعصوم من أركان دينهم، ويعدون وقاية أسرار المذهب من الصوم، ونشر ما يخص المذهب وإشاعته زناً أو نوع من الزنا. وكل هذه الأشياء كانت عقيدة خاصة بطائفة القرامطة.

ومن جملة عقائدهم الباطلة حصر الصوم ليومين فى السنة، وعدم الغسل والاغتسال من الجنابة، وجعل الخمر حلالا، وقول «أشهد أن محمد ابن الحنفية رسول الله» فى الأذان المحمدى، والذهاب إلى القدس الشريف من أجل أداء فريضة الحج.

وإذا أريد الاطلاع على معلومات مفصلة عن أحوال القرامطة فليراجع نسخ ترجمان الحقيقة التى طبعت سنة (١٢٩٦) ونشرت متفرقة.

الاختلاف والتعديلات

التى حدثت فى الأذان المحمدى

أول من أذن فى المدينة المنورة هو بلال الحبشى، وأول من أذن فى مكة المكرمة الصحابى حبيب بن عبد الرحمن ـ رضى الله عنهما ـ كما سبق توضيحه مختصراً فى الصورة الثالثة من الوجهة الخامسة لمرآة المدينة المنورة.

كما جعل عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ رفع الأذان الأول فوق المآذن عادة، وأمر فى أول مرة أن يؤذن عبادة بن الصامت أبو يعلى رضى الله عنه.

وكانت غاية عثمان بن عفان من هذا الأذان هو أن يستعد أصحاب الحرف والتجار لأداء صلاة الجمعة. بناء على ما ينقله محمد بن سعد عن الإمام الشعبى أنه كان للنبى ﷺ ثلاثة مؤذنين، أحدهم بلال الحبشى، والثانى أبو محذورة، والثالث ابن أم مكتوم وعندما يغيب بلال الحبشى يؤدى الأذان أبو محذورة وإذا غاب أبو محذورة[1] كان يقوم بأداء الأذان ابن أم مكتوم.

وكان الأذان فى المدينة المنورة وبعض أسفار النبى ﷺ منحصرا فى بلال الحبشى. ولكن كان يحدث أيضا أن يؤذن الأذان ابن أم مكتوم عمرو بن شريح[2]. ويروى بناء على قول أن اسم عمرو بن قيس هذا كان عبد الله. وكان اسم أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة، وعنكثة قبيلة تنتمى إلى بنى مخزوم.

وكان اسم أبى محذورة أوس (وعلى رواية سمرة) بن معير بن ربيعة بن معير بن عريج بن سعد بن جمح. رجا من النبى ﷺ قراءة الأذان مع بلال الحبشى، وقبل الرجاء من قبل النبى ﷺ فنال شرف قراءة الأذان أحياناً.

وبناء علر رواية الإمام الكلبى أن أبا محذورة كان يرفع الأذان صباحاً فى مكة المكرمة عند وجود النبى ﷺ فيها.

ولما كان النبى ﷺ فى الجعرّانة لتوزيع غنائم حنين عَلَّمَ أبا محذورة الأذان المحمدى ووجه له القيام بالأذان وقراءته فى المسجد الحرام لذا لم يسافر الصحابى الجليل إلى المدينة المنورة وظل فى مكة المكرمة[3].

يروى بعض المؤرخين أن عثمان بن عفان (رضى الله عنه المنان) أذن أيضاً وأن النبى ﷺ كان فى داخل المسجد عندئذ. ولما كان بلال الحبشى لا يزال حيًّا فى عهد الصديق الأعظم قرأ الأذان فى عهده أيضاً، ولكن عندما أصبح عمر بن الخطاب أميراً للمؤمنين لم يقبل تكليفه بقراءة الأذان[4].

(١) بما أن أبا محذورة ظل فى مكة المكرمة فإنه من المحتمل أن يكون هذا النظام خاص بمكة المكرمة.

(٢) شريح بن عامر من أفراد قبيلة ابن لؤى.

(٣) هذه الرواية منقولة عن ابن جريج.

(٤) ناقل هذا الخبر راويه محمد بن سعد.

وأوصى بلال ـ رضى الله عنه ـ عمر بن الخطاب ـ رضى عنه الله الوهاب ـ أن يختار سعد القرظى الذى كان مؤذن الرسول ﷺ فى قباء، واستصوب الخليفة وصية بلال واختار سعد القرظى مؤذناً لمسجد السعادة، وظلت قراءة الأذان فى المسجد النبوى فى آل سعد القرظى إلى أن انقطع نسلهم.

كان فى العصر النبوى فى المدينة المنورة ـ غير المسجد النبوى ـ تسعة مساجد أخرى، ولم يكن لهذه المساجد مؤذنون مختصون كانوا يقيمون الصلاة بأذان بلال[1].

رفع الأذان لأول مرة فى مصر فى جامع عمرو بن العاص لأنه عندما فتح مصر أسس جامعاً قاصداً المحافظة على أداء الصلاة فى جماعة مع الصحابة والتابعين، وذلك سنة رسول الله ﷺ الصالحة.

قال أبو عمرو الكندى وهو يذكر مؤذنى جامع عمرو بن العاص ويعرفهم: «كان أول من أذن فى جامع عمرو بن العاص الكائن فى الفسطاط هو أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد المرادى. وكان هذا الرجل الكريم من الصحابة وكان لقراءة الأذان فى عهد عمر بن الخطاب، ووجد مع الجنود الذين رافقوا عمرو بن العاص فى حملته على مصر، وقام بتأدية الأذان إلى يوم الفتح لعمرو بن العاص.

وعقب فتح مصر أسس عمرو بن العاص مسجده فى الفسطاط، وجعل أبا مسلم رئيسا للمؤذنين وعين له تسعة أنفار من المعاونين وظل أبو مسلم إلى أن مات فى رياسة مؤذنى جامع عمرو، وظلت مهمة أداء الأذان فيما بعد فى ذريته إلى أن انقطعوا عن الدنيا».

وحينما كان يؤذن أبو مسلم فى جامع عمرو يبدأ وينهى الأذان بـ «لا إله إلا الله»، وهذه الرواية منقولة عن أبى الخير. ولما توفى أبو مسلم عين مكانه أخوه شرحبيل بن عامر. حينما كان ابن عامر مؤذناً كان أمير مصر مسلمة بن مخلد.

(١) نقلت هذه الرواية عن الدارقطنى وأبى داود بكير بن عبد الله الأشج.

وقد وسع جامع عمرو بن العاص وأضاف مئذنة وكان خالياً منها، وابن عامر هذا أول من صعد لقراءة الأذان على المئذنة فى مصر.

وقد اعتكف مسلمة بن مخلد فى جامع عمرو بجانب المئذنة إلا أنه انزعج من أصوات نواقيس كنائس الفسطاط فأحضر شرحبيل، وأوصاه بأن يجد لهذا الموضوع حلا. فقال له شرحبيل: «إذن فأنا أبدأ فى قراءة الأذان وأطيله حتى الفجر، وبما أن دق الناقوس فى أثناء قراءة الأذان لن يليق فأصدر أمراً بمنع دق الناقوس فى أثناء الأذان»؛ وأصدر مسلمة بن مخلد أمراً بألا يدق الناقوس ليلا.

وإن كان شرحبيل لم يتخل عن هذه العبادة إلى حين وفاته فى سنة ٦٥ الهجرية، واستمر يؤذن من منتصف الليل إلى الفجر.

إلا أن المساجد والجوامع قد كثرت فى مصر بعد ذلك، وبنى مسلمة بن مخلد لكل مسجد مئذنة ماعدا مسجدى خولان ونجيد وأمر أن يؤذن على هذه المآذن أيضاً.

بعض التغييرات فى الأذان: كان الأذان فى مساجد مصر أذاناً شرعيـًا كما يؤذن فى المدينة المنورة وكما يؤذن الآن إلى أن جاء إلى مصر قائد جيوش المعز لدين الله الفاطمى جوهر الصقلى. وأسس مدينة القاهرة، وصلى جوهر القائد يوم الجمعة الثامن من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ فى جامع ابن طولون، وتولى الخطبة عبد السميع بن عمر العباسى، وأمر أن يقول المؤذنون بـ «حى على الصلاة حى على خير العمل» وصلى عبد السميع فى الركعة الأولى بـ«الجمعة»، وفى الركعة الثانية دون أن يركع. واحتد قاضى عسكر جوهر «على بن وليدى على عبد السميع وقال صاخباً: «يا جماعة المسلمين، قد فسدت صلاتكم، فصلوا أربع ركعات صلاة الظهر». فلم يهتم أحد بهذا الاعتراض والاحتداد، ثم أمر المؤذنون بأن عليهم بعد ذلك أن يقولوا فى كل أذان «حى على خير العمل، وعمم هذا النظام فى جميع المساجد والجوامع.

واحتد جوهر القائد على عبد السميع لأنه لا يبدأ السورة باسم الله جهراً، كما

آنه لا يجهر بالبسملة فى أوائل الخطب فجعله فى أواخر شهر جمادى الأولى إماماً للجامع العتيق، وأمر بأن يقال فى الأذان «حى على خير العمل» وأن يجهر عند الصلاة فى الجوامع بالبسملة، ولكن الحاكم بأمر الله أصدر أمراً بعد إحدى وأربعين سنة بعد أن جمع جميع مؤذنى المساجد والجوامع وقاضى القضاة مالك بن سعد الفارقى بأن يسقط من الأذان جملة «حى على خير العمل»، وأن يقول مؤذنو القصر عقب كل أذان «السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله»، إلا أنه بعد سنة واحدة عادوا يؤذنون قائلين «حى على خير العمل»، وبعد أربع سنوات إلى سنة (٤٠٥) قالوا بدل «حى على خير العمل» ـ «حى على الصلاة» كما أن مؤذنى القصر تلقوا أوامر بأن يقولوا بدل «السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله» ـ «الصلاة رحمك الله».

وكون هذا الأمر الصادر لمؤذنى القصر كان لإحياء سنة قديمة متروكة! لأن حضرة بلال ـ رضى الله عنه ـ كان يقف أحيانًا أمام باب حجرة رسول الله ﷺ ويقول: «السلام عليك يا رسول الله، وأحيانًا السلام عليك بأبى أنت وأمى يا رسول الله حى على الصلاة، حى على الصلاة، السلام عليك يا رسول الله[١]، وأحيانًا يقول السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته»[٢] ولما تولى أبو بكر الصديق الخلافة كان يقف سعد القرظى أمام باب دائرة الخلافة «ويقول السلام عليك يا خليفة رسول الله»، ولما تولى عمر بن الخطاب الخلافة راعى سعد هذا النظام فى أول خلافته، ولما قال عمر بن الخطاب أنتم مؤمنون وأنا أميركم أصبح يقول: «السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته حى على الصلاة حى على الفلاح، يا أمير المؤمنين».

ثم أضاف جملة رحمك الله، بناء على الأمر الصادر له من مقام الخلافة[٣] ولم يترك المؤذنون هذه العادة المستحبة إلى عهود خلفاء بنى أمية والخلفاء

(١) ناقل هذه الرواية وراويها الإمام الواقدى.

(٢) هذه الرواية منقولة من البلاذرى.

(٣) ثمة من يقول بأن إضافة عبارة رحمك الله كان فى عهد خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه.

العباسيين، وكانوا ينادون الخلفاء والأمراء على هذه الصورة وكان هؤلاء يؤدون صلواتهم مع الجماعة[1].

وأراد الملوك الفاطميون أن يتبعوا هذه الطريقة، ولكن بما أنهم لم يتعودوا الصلاة الجماعية أخذ مؤذنوهم عقب صلاة الصبح يسلمون فوق المآذن على الملوك والأمراء وهكذا جعلوهم يقررون ما كان يقوله مؤذنو الأسلاف على أبواب الأمراء والخلفاء فوق المآذن.

وغير السلطان صلاح الدين الأيوبى عادات الفاطميين، فأمر بإلقاء الصلاة والسلام فى المآذن تعظيما لخليفة بغداد. وسرى هذا النظام على جوامع مصر والشام والحجاز. وفى خلال سنة ٧٦٠ الهجرية اتخذت عبارة «الصلاة والسلام عليك يا رسول الله» عقب أذان العشاء ليلة الجمعة، وبعد إحدى وثلاثين سنة عقب أذان الصلوات الخمس كلها.

قد شغلت بتغيير الأذان المحمدى الطائفة الإمامية أيضًا فى بعض الأوقات. وكان ذلك الوقت عندما سجن أبو على بن كتبغا بن الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله، وبما أنه من متعصبة الطائفة الإمامية ففى سنة ٥٢٤ الهجرية عندما تولى الوزارة أراد أن يخالف أصحاب المذهب الإسماعيلى، فأزال من الأذان جملة «حى على خير العمل»، ووضع مكانها جملة محمد وعلى خير البشر، وأنكر هذا مجتهد المذهب الإسماعيلى، وإسماعيل الذى ينتسب إليه الإسماعيلية هو ابن الإمام جعفر الصادق وقتل بعد سنتين، فظهر الحافظ لدين الله وحذف من الأذان جملة «محمد وعلى خير البشر»، وأعاده كما فى السابق جملة «حى على خير العمل». وأول من أذن من الإمامية قائلاً «محمد وعلى خير البشر» شخص يدعى الأمير كابى شكنبة حسين.

ويروى أن هذا الشخص هو على بن محمد بن على بن إسماعيل بن حسن

(١) وقد تخلى الخلفاء العباسيون فيما بعد عن الصلاة فى جماعة.

بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب. ويحكون أنه أذن فوق إحدى مآذن حلب ذات ليلة على هذه الصورة، وفى عصر سيف الدولة الحمدانى، وأصبحت قراءة الأذان فى هذه الصورة عادة لمن يتبعون المذهب الإسماعيلى.

هذه الرواية تنسب إلى الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة، وقد دامت قراءة الأذان بصيغة «حى على خير العمل محمد وعلى خير البشر» إلى قرب عهد نور الدين محمود. وبنى محمود مدرسة الحلاوية وافتتحها فدعا لأجل التبرك، أبا الحسن على بن الحسن بن محمد البلخى الحنفى. وقد استجاب أبو الحسن للدعوة مع فقهاء البلدة ولما حل وقت الصلاة طلب أن يصعد أحد الأشخاص على المئذنة ويؤذن بالصورة المشروعة المعروفة وإذا وجد من يرفض ذلك أن يضرب وأن يهدد من قبل الجماعة.

فصعد أحد الفقهاء المئذنة وأذن على الوجه المطلوب ولم تتغير بعد ذلك اليوم صيغة الأذان. واستمرت صيغة أذان مصر إلى سنة ٥٦٧، أى إلى عهد سلطنة صلاح الدين الأيوبى على الصيغة التى كانت عليها فى عهد الفاطميين. ولما كان صلاح الدين الأيوبى شافعى المذهب، وعلى عقيدة الشيخ أبى الحسن الأشعرى رفع بدعة «حى على خير العمل»، وبعد ذلك كانت صيغة الأذان التى تقرأ فى مصر أو الشام أو البلاد الملحقة بهما نفس صيغة الأذان التى تقرأ فى مكة المعظمة. واستمر هذا النظام إلى تأسيس الأتراك المدارس فى الديار المصرية أى إلى سنة (٧٦١) الهجرية، وبعد ذلك انتشر المذهب الحنفى فالأذان الذى كان يؤذن يوافق أذان الكوفيين، وكذلك أذان الصلوات. والأذان الذى يؤذن فى المدارس الأخرى والجوامع كذلك الصلوات تؤدى وفق أذان المكيين وصلواتهم. وكان المؤذنون فى ليالى الجمع عقب أذان العشاء يصلون ويسلمون على النبى ﷺ وقد اتخذ هذا النظام من طرف محتسب القاهرة صلاح الدين عبد الله البرلسى. وفى سنة ٧٩١ الهجرية اتخذت عادة قراءة الصلاة على النبى ﷺ عقب أذان الصلوات المفروضة الخمسة، وذلك بأمر المحتسب نجم الدين محمد الطبندى وعممت على كل الجوامع.

وجرأة نجم الدين الطبندى على تعميم هذا النظام عمله بقول أحد السكارى. ويحكى أن طائفة من السكارى استحسنت قراءة الصلاة على النبى ﷺ بعد أذان صلاة العشاء فى ليلة الجمعة، فقام واحد منهم وقال: «هل ترغبون أن يصلى على الرسول ﷺ عقب كل أذان؟!» فأجابه رفقاؤه: «نعم وما أحسنها من فكرة!!» واستيقظ الشخص الذى أورد هذا السؤال منشرحا باشًا، وقال «قد رأيت الليلة فى منامى ورؤياى الرسول ﷺ وأبلغنى أن أذهب إلى المحتسب ليأمر المؤذنين أن يصلوا فعلاً فذهب إلى المحتسب وأخبره برؤياه».

وكان محتسب مصر فى ذلك الوقت رجلاً مُسِنًّا يسمى (نجم الدين الطبندى)، وكان فى غاية الجهل والحماقة مذمومًا بين الناس لاتصافه بمذموم الصفات. فاستعجب من قول صاحب الرؤيا أن النبى ﷺ أمره بأن يبلغ المؤذنين أن يقولوا عقب كل أذان فى الصلوات الخمس (الصلاة والسلام عليك يا رسول الله)، وجمع كل المؤذنين وأمرهم أن يصلوا على النبى ﷺ عقب كل أذان بعد الصلوات الخمس[1].

ولم يدر نجم الدين هذا أن النبى ﷺ لن يأمر بعد وفاته بشىء يخالف الشريعة الإسلامية، ولم يتذكر قول الله تعالى ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾ [الشورى: ٢١].

ولم يخطر بباله قول رسول الله ﷺ «إياكم ومحدثات الأمور» وكان هذا الأحمق سببا فى اتخاذ هذه البدعة التى استمرت إلى يومنا هذا. ويظن بعض الجهلاء فى القرى أن الصلاة والسلام على الرسول ﷺ من تتمة الأذان الشريف ويصرون على عدم تركها، حتى إن بعض الجهلاء يسلمون على أرواح من يعتقدون فى صلاحهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) اتخذت قراءة الصلاة والسلام على مآذن البلاد العثمانية فى عهد السلطان مراد خان الأول بن السلطان أورخان غازى.

التسبيح على المآذن:

التسبيح على المآذن ليلاً سنة تعود إلى عهد موسى (عليه السلام) فقد اعتاد نبى الله موسى (عليه السلام) أن يسبح الله بصوت عال من الثلث الأخير من الليل إلى طلوع الفجر بعد أن غرق فرعون وهلك ونجا بنو إسرائيل.

واتخذ بوقين من الفضة حتى يعلن حلول وقت التسبيح وعلم صورة استعمالهما من قومه. وكان ينفخ فى هذه الأبواق فى الثلث الأخير من الليل وعند الرحيل والنزول وأيام الأعياد، وكلما نفخ فى البوق كانت طائفة بنى (لاوى) من أسباط موسى (عليه السلام) تستيقظ من نومها وتقرأ بصوت عال التوراة الشريفة كما كان المؤمنون من بنى إسرائيل يشغلون بالتسبيح والذكر بصوت مرتفع.

وهذا النوع من العبادة استمر إلى عهد يوشع بن نون، ولما أخذ سيدنا داود (عليه السلام) يؤسس بيت المقدس عين بعض الموظفين من بنى لاوى للمحافظة على هذه السنة.

وكان بعض من هؤلاء الموظفين يذكرون الله حول بيت المقدس (بالعود والمزمار والسنتور والدف) حتى طلوع الفجر وكان الآخرون يقرءون فى داخل بيت المقدس (التوراة) و (الزبور).

وعدد هؤلاء الموظفين كثير وتفصيل الموضوع فى كتابى الزبور ولما كان اللاويون يبتدرون للعبادة فى داخل بيت المقدس وخارجه كما سبق ذكره، وكان سكان بيت المقدس حيثما وجدوا يشرعون فى التسبيح والذكر بصوت مرتفع.

وكان على هؤلاء أن يضربوا على الربابة فالعبادة بالربابة كانت خاصة فى داخل بيت المقدس أو خارجه بمؤذنى بنى لاوى الذين عينهم سيدنا داود. ولما كانت أصوات من يتعبدون حول بيت المقدس تصل وتنعكس على القرى المجاورة كان أهاليها يستيقظون ويأخذون فى التسبيح والذكر بأصوات عالية فتنتشر

الأصوات من قرية إلى أخرى، حتى إن جميع أهالى القرى والمدن يذكرون الله من الثلث الأخير من الليل حتى الفجر.

وقد استمر هذا النظام إلى أن خرب بختنصر البيت المقدس، وهدمه ونقل بنى إسرائيل إلى بابل وأجلاهم من البيت المقدس. ولم يتعبد على الطريقة المذكورة طول وجود بنى إسرائيل فى بابل، واستمرت تلك المدة سبعين عامًا.

وبينما عاد بنو إسرائيل من بابل وأخذوا يسعون لتعمير وتجديد بيت المقدس أخذ أحفاد بنى لاوى يتعبدون على الطريقة التى وصفها داود ـ عليه السلام ـ، واستمر ذلك إلى استشهاد يحيى بن زكريا ـ عليه السلام ـ وبعد استشهاد يحيى خرب بيت المقدس، وثار اليهود على عيسى ـ عليه السلام ـ وتركت العبادة فى البلاد الإسرائيلية وفق شرائع بنى إسرائيل وأبطلت عادة القيام ليلاً للتسبيح والذكر.

وأجريت أصول التسبيح فى العهد الإسلامى فى مصر لأول مرة فى زمن مسلمة بن مخلد وإمارته فى سنة ٥٩ الهجرية. وكان مسلمة بن مخلد بن الصامت بن نيار الأنصارى قد بنى لجامع عمرو بن العاص مئذنة كما ذكر آنفًا، واعتاد أن يعتكف فى المسجد بجانب هذه المئذنة؛ ولكنه انزعج من أصوات نواقيس الكنائس التى كانت تدق، واستدعى رئيس مؤذنى ذلك الجامع شرحبيل بن عامر وقال له: «إننى أنزعج من أصوات نواقيس الكنائس صباحًا!! ألا نجد لذلك حلاً؟!» فقال له: «إذا ما وافقت على فكرتى فإن ذلك ممكن، إذ أبدأ فى الأذان من منتصف الليل وأمده إلى طلوع الفجر. فتأمروا ألا تدق النواقيس فى أثناء أذانى»، ووافق مسلمة بن مخلد على هذه الفكرة واتخذ شرحبيل الأذان من منتصف الليل إلى الفجر عادة له، كما أن مسلمة أمر بألا تدق النواقيس فى أثناء الأذان وأخذ يتعبد فى سكينة وخشوع.

وفى سنة ٢٥٤ الهجرية منع أبو العباس أحمد بن طولون إطالة الأذان بهذه الصورة ووضع نظام التكبير والتسبيح فى وقت قريب من الصباح، وعين لذلك

المكبرين الذين كانوا يكبرون ويسبحون على المآذن ويقرءون القصائد الخاصة بالزهد والأشعار. وأبقى ابنه أبو الجيش خمارويه المكبرين فى وظائفهم واستمر فى إعطائهم ما خصصه لهم والده من الأجور.

واستمر هذا النظام إلى سنة ٥٦٨ الهجرية، وفى خلال تلك السنة قرر الملك (صلاح الدين) يوسف بن أيوب بناء على رأى وموافقة (صدر الدين) عبد الملك بن درباس الهدبانى المارانى الشافعى الذى عينه شيخًا للإسلام أن تقرأ فوق المآذن بدل التسبيح والذكر، قصائد تمجد عقائد الأشعرية والأناشيد الدينية.

وفعلاً نفذ ذلك القرار. وأبلغ الأمر إلى مؤذنى جوامع مصر والشام ونبههم بأن يسيروا وفق هذا الأمر وينفذوه.

ولما كان صلاح الدين وشيخ إسلامه صدر الدين على مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى فى العقيدة، دعوا الناس إلى هذه العقيدة وتجرءوا أن يكفروا المخالفين.

وقد اتخذ قرار قراءة الصلاة على المآذن فى يوم الجمع لإعداد الناس لصلاة الجمعة، فى مصر فى خلال سنة ٧٠٦ الهجرية، وبعد ذلك بخمسة وخمسين عامًا نقل هذا النظام إلى دمشق الشام وحلب والبلاد الأخرى، ومازالت هذه العادة جارية فى جميع جوامع العالم الإسلامى إلى الآن.

(سلك الدرر)

الوجهة الثالثة
الأحوال الجغرافية لجزيرة العرب

الموقع الجغرافى

تقع جزيرة العرب فى الجهة الجنوبية الغربية من قارة آسيا، وتسكنها القبائل البدوية العربية منذ القدم وهى شبه جزيرة كبيرة.

يحدها شمالاً بر الشام وصحراء الجزيرة، وشرقًا خليج البصرة، وجنوبًا المحيط الهندى[١] وغربًا البحر الأحمر[٢] ومضيق باب المندب.

وطولها تقريبًا من الطرف الشمالى إلى جنوبها ألفان وخمسمائة كيلو متر تقريبًا[٣]، وعرضها من الجهة الغربية إلى جهتها الشرقية ألف كيلو متر. وتتسع عرضًا فى جهتها الجنوبية ومساحتها ثلاثة ملايين ومائة وستة وخمسين ألف كيلو متر مربع، وسكانها اثنا عشر مليونا.

ويروى أن الأوروبيين الواقفين على فن الجغرافيا قدروا مساحة جزيرة العرب السطحية بأكبر من بلاد فرنسا أربع مرات، وأن سكانها يبلغون اثنى عشر مليونًا.

إن مكانًا يتسع بهذا القدر ويسكنه اثنا عشر مليون نسمة فقط يدل على أن أكثر أماكنه غير مسكونة. يقول مؤلف تقويم البلدان السلطان (عماد الدين الأيوبى) إن الطواف حول الجزيرة العربية بالسير العادى يستغرق سبعة أشهر وأحد عشر يوما. وبناء على هذا التقدير إذا خرج إنسان من صحراء برية الشام، فالحد الأقصى للجزيرة العربية متجهًا إلى المدينة المنورة يصل إلى مينائها ينبع البحر فى ستة وعشرين يومًا، ومن ينبع البحر إلى ميناء رابغ فى ثلاثة أيام، ومن رابغ إلى جدة فى ثلاثة أيام، ومن جدة إلى عدن ومن عدن إلى سواحل المهرة، ومن

(١) يعنى بحر عمان.
(٢) يعنى بحر جدة.
(٣) مقياس كيلو متر يساوى ألف متر.

سواحل المهرة إلى عمان، ومن عمان إلى الأحساء (أى هجر) فى ثلاثين يومًا بين كل واحدة من هذه البلاد. ومن هجر إلى أول عراق العرب فى ١٥ يوما، ومن أول عراق العرب إلى البصرة فى يومين، ومن البصرة إلى الكوفة فى اثنى عشر يومًا، وإذا ما اعتبر كل يوم منها مرحلة واحدة فيكون من حيث المجموع مائتان وواحد وعشرون يومًا، وبحساب الشهور سبعة أشهر وأحد عشر يومًا.

وتعد المرحلة سبعة فراسخ عربية أى ٣٢ كيلو متر، وبناء على هذا تكون مساحة جزيرة العرب الدورية المحيطية ٧٠٧٢ كيلو متر، ويحصل على هذا الحساب بضرب مائتين واحد وعشرين مرحلة فى اثنتين وثلاثين مترًا.

وسطح أراضى هذه الجزيرة مرتفعة عن البحر قليلاً، وبها أماكن منبسطة قابلة للزراعة. والإقليم المعروف بنجد يقع فى منتصف الجزيرة العربية من حيث المسافة الطولية والعرضية، والأراضى المرتفعة المنبسطة تقع فى دائرة صحارى شاسعة.

وصحاريها فى الجانب الشرقى والطرف الغربى منها رملية والصحارى التى فى شمالها حجرية، وفى خارج هذه المواقع الصحراوية دائرة أخرى وأغلب أماكن هذه الدائرة غير منبت، وعبارة عن سلاسل جبال صغيرة.

إن جبال عسير وصنعاء واليمن فى داخل البقعة المتسعة الجسيمة التى تطل على سواحل القطعة اليمانية وبحر عمان هى أماكن صالحة للزراعة.

إن الأراضى التى بين الجبال المنبسطة والشواطئ البحرية رملية ومستوية. قد أحاط البحر الأحمر بالجزيرة المذكورة من جهاتها الثلاث. وثلثا الجزيرة أماكن منبتة وقابلة للزراعة، وثلثها الآخر غير منبتة، وغير آهلة بالسكان. وفى أراضى رملية حجرية ولا يوجد فيها نهر يجرى، لذا فالأماكن الصالحة للزراعة لا تنبت إلا بمياه الأمطار، وعند انقطاع الأمطار بمياه الآبار.

بما أن أكثر مناطق هذه الجزيرة تقع تحت المناطق الحارة فهى شديدة الحرارة، وأكثر أراضيها حجرية جدباء، ولكن بما أن هذه الجزيرة تشرفت بظهور الدين الإسلامى فيها، ودعاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ فالجزيرة العربية أسعد مكان على الكرة الأرضية وأكثرها يمنًا وبركة.

فى ذكر البحار التى تحيط بالجزيرة العربية من جهاتها الثلاث

البحر الأحمر:

البحر الأحمر بحر يعرف بالخليج العربى، وبحر القلزم، وبحر الشعاب والشعب، وبحر جدة. يتصل من جهاته الغربية بـ (مصر والحبشة) والجهة الشرقية ببلاد الحجاز واليمن، ويتصل من جهته الشمالية بالبحر الأبيض المتوسط بواسطة قناة السويس. كما يتصل بالمحيط الهندى من جهته الجنوبية بواسطة باب المندب، ويبلغ طوله ٢٦٠٠ كيلو متر، وعرضه المتوسط ٢٤ كيلو متر. تنقسم جهته الشمالية إلى خليجين ويطلق على الخليج الذى فى جهته الشرقية (خليج العقبة)، ويطلق على الخليج الذى فى جهته الغربية (خليج السويس).

والبحر الأحمر قليل الجزر وإن كان هناك شعب مرجانية فى حالة نمو مثل الأشجار إلا أن هذه الشعب غير مفيدة للسفن مثل الجزر.

وهذه الشعب المرجانية ترتفع فوق سطح البحر مقدار ذراع وبعضها يرتفع من عمق البحر إلى سطحه ولون الشعب المرجانية على السواحل أحمر وأعماقه سوداء ولون الشعب القريبة من سطح البحر أخضر، والسفن التى تسير فى هذا البحر تتعرض لخطر الاصطدام بالشعب المرجانية.

وبما أن الشعب المرجانية فى الأماكن القريبة من الشواطئ فالسفن الصغيرة ذات الشراع والقوارب تسير على الشواطئ مضطرة، فهناك سفن كثيرة تصطدم بالشعب المرجانية وتغرق أو تخرب.

والشعب المرجانية قليلة فى وسط البحر وقد وضع على بعضها منارات

كما أن الذى من غير المنارة منها معروفة لدى رجال البحر، لذا ترى البواخر الكبيرة التى تبحر فى وسط البحر تأمن الاصطدام بالشعب المرجانية وخطرها. وينمو فى هذا البحر الصدف واللؤلؤ، والباغة واليسر وهى أشياء قيمة كما أن أنواع الأسماك المختلفة الكائنة فى هذا البحر نادرة الوجود فى البحار الأخرى.

بحر عمان:

يتصل بحر عمان الذى يعد جزءا من المحيط الهندى الذى يحيط بالشواطئ الجنوبية لجزيرة العرب من باب المندب إلى مضيق هرمز يتصل بالمحيط الهندى بواسطة مضيق هرمز فى خليج البصرة.

ويخرج من هذا البحر: الصدف واللؤلؤ وصمغ العنبر.

خليج البصرة:

يعرف كذلك بخليج فارس، ويقع فى الجنوب الغربى لقارة آسيا وبين بلاد العرب والعجم وطوله تسعمائة كيلو متر وعرضه أربعمائة وخمسون كيلو متر.

ويتصل من جهته الشرقية بواسطة مضيق هرمز ببحر عمان ينصب لهذا الخليج نهر الفرات بعدما يتحد بنهر الشط.

وأكثر موانيه ازدحامًا بالسفن على شواطئ بلاد فارس، (بندر عباس) و (أبو شهر) وعلى السواحل العربية البصرة و (قطيف). وأغلب أنواع الصدف واللؤلؤ فى هذا الخليج.

وتنقسم جزيرة العرب إلى ست قطع ويطلق على الأراضى التى فى الجهة الغربية الشمالية (الحجاز)، والتى فى الجهة الجنوبية الغربية (اليمن)، الجنوبية (حضرموت) وعلى الأراضى التى فى الجنوب الشرقى (عمان)، التى فى الجهة الشرقية (الأحساء، البحرين، هجر)، والأراضى التى فى وسط الجزيرة العربية (نجد).

بلاد الحجاز:

بلاد الحجاز المسعودة أولى الأقسام المذكورة وتقع ـ كما ذكر آنفًا ـ فى الشمال الغربى من الجزيرة العربية وفى السواحل الشرقية للبحر الأحمر والتى تمتد من السويس إلى اليمن. وهذا القسم من الجزيرة يحاط ويحد شمالاً ببادية الشام، وشرقًا بنجد، وجنوبًا باليمن، وغربًا بالبحر الأحمر، وشمالاً وغربًا بالبلاد المصرية ومن جانبها الشمالى الشرقى إلى جانبها الجنوبى الشرقى مسافتها البعدية ألف وخمسمائة كيلو متر.

ويطلق على الجزر التى تقع فى الجهة الشمالية الغربية من الأقطار الحجازية (تيه العرب) و (تيه بنى إسرائيل).

والجانب الجنوبى من أراضى تيه العرب صالح للزراعة وآهل بالسكان ومعمور، إلا أن جهته الشمالية محاطة بالجبال وليس فيها مكان صالح للزراعة والمسكن، لذا فهى مهجورة.

فى تيه بنى إسرائيل جبلان أحدهما جبل سينا (أى طور سينا) والآخر (حوراء).

جبل سيناء:

يصل ارتفاع جبل سيناء إلى ٢٨١٤ متر، وسفحه الذى امتد بين (العقبة) وخليج السويس فى وسط البحر الأحمر.

جبل حوراء:

وجبل حوراء بجانب جبل سينا أيضًا. وارتفاعه ٢٤٧٧ متر.

ويطلق على الأراضى الواقعة فى وسط الحجاز وجنوبه (بادية العرب)، وهذه الأراضى تنقسم إلى منطقتين المنطقة التى توجد فى وسط الأقطار الحجازية تسمى (نفس الحجاز)، والمنطقة التى بين جدة واليمن وعلى ساحل البحر تسمى (تهامة).

وللأقطار الحجازية بلاد معروفة مثل (جدة، ينبع، الطائف، أبو عريش، الطور)، إلا أن أشهر مدينتيها مكة المكرمة والمدينة المنورة، ويطلق على هاتين المدينتين المباركتين (الحرمين الشريفين).

إن الأحوال الجغرافية للمدينتين المذكورتين كان يجب أن تكتب قبل جميع بلاد الجزيرة العربية، ولكن لما كان مجلدات البلدتين المذكورتين قد أعدت إعدادًا خاصًا باسم مرآة مكة ومرآة المدينة فلم نجد هنا ضرورة لتكرارها.

إن القطعة الحجازية المسعودة لا تستطيع أن تنبت المحاصيل الكافية لإدارة سكانها. وإن كان فيها محاصيل (الصمغ النباتى والعنبر) وكانت بعض مواقعها مستوية ومزروعة، إلا أن جهاتها الجبلية كثيرة والخيول التى تربى فى هذه القطعة أجود أجناس الخيول فى العالم.

فى بيان الطبيعة الجغرافية لبلدتى جدة والطائف

جـدة:

من مدن الحجاز المشهورة تقع فى الجهة الغربية لمكة المكرمة، وعلى بعد تسعين كيلو مترًا منها وعلى ساحل بحر السويس فى درجة خط الطول الحادية عشرة وتسع وعشرون دقيقة فى خط العرض الشمالى، وسبع وثلاثين خط الطول الشرقى، وهى أكثر موانى الحجاز ازدحاما بالسفن.

ولما كان الكيلو متر يساوى ٣٢٨١ قدم يلزم أن تكون بلدة جدة على بعد ستة أميال من غرب مكة المعظمة، وتقطع هذه المسافة بسير الجمل فى ثمانى عشرة ساعة أى فى يومين.

صادرات ولاية الحجاز الرئيسية (جلد البقر، البن، الصمغ العربى، العطور المتنوعة، ريش النعام، سن الفيل، صبار، اللؤلؤ، الصدف، البلح، المرجان، الحناء، اليسر، الباغة، العسل) وارداتها حاجيات سكان البلاد الضرورية، وهى التى تستورد من مصر والبصرة وأوربا وأفريقيا وبورصة وسورية وبومباى مثل (الأرز والقمح، الشعير، الدقيق، الزجاج، دهن الورد، الصابون، الأقمشة الصوفية والقطنية، والخشب، سن الفيل، ريش النعام، المسك، الأبسطة والنعال) وكل هذه الأشياء تصدر وتستورد من ميناء جدة، وبناء على ذلك يصل ما يؤخذ من الضرائب فى جمرك جدة خمسة أو ستة ملايين قرش ورسوم الإدخالات.

إن ازدحام ميناء جدة بالعمل جعلها مدينة تجارية عظيمة وكثر مسافروها، ولا

يمكن للإنسان أن يخمن عدد الحجاج والزوار والتجار الذين يأتون فى موسم الحج لعدم اطراده.

ويبلغ عدد سكانها مع مجاورى وتجار مصر والشام والهند واليمن وكلهم مسلمون[1] إلى خمسة وعشرين ألف نسمة.

وبالمقارنة ببلاد سواحل البحر الأحمر فبلدة جدة المعمورة تعد من المدن القديمة. ويحيط جوانبها الأربعة سور بناه أحد ملوك الشراكسة المصريين، وهو الملك الأشرف قنصوه الغورى فى سنة (٩١٢)، وعلى قول آخر بناه سنة (٩١٥).

ولهذا السور ستة أبواب باسم (باب مكة، باب المدينة، باب الشريف، باب الشهداء، باب البحر، باب المغاربة) وله برجان مشهوران يسميان (برج ليلى) و (برج المجنون) ويروون أن ليلى والمجنون مدفونان بجانب البرجين وكل برج يحمل اسم واحد منهما.

وإن لم يُرَ ما يؤيد هذه الرواية فى كتب التاريخ، إلا أن تسمية هذين البرجين بهذين الاسمين مما يؤيد صحة هذه الواقعة.

وباب مكة من الأبواب المذكورة يفتح إلى الشرق، وباب المدينة إلى الشمال وأبواب الشريف واليمن والبحر والمغاربة تفتح إلى جهة البحر.

قد حفظ السور الذى بناه الملك الأشرف مدينة جدة من الأسطول البرتغالى، لأن الأسطول البرتغالى دخل إلى ميناء جدة بعد بناء السور بقليل، وأطلق مدافعه على المدينة ولكن أهالى القلعة أقدموا على الدفاع عن مدينتهم بواسطة المدافع التى عبأها الملك الأشرف فلم يتحمل الأسطول ذلك وانسحب مدحورًا، وأراد البرتغاليون أن ينتقموا لهذه الحادثة فأتوا فى سنة ٩٤٨ بثمانين سفينة، ونزلوا إلى البر من ميناء (أبى الدوائر) بجنود كثيرة، وأخرجوا ذخائر ومهمات إلا أنهم لم يستطيعوا أن يتقدموا خطوة واحدة لهمَّة أمير مكة المعظمة أبى نمى ومحافظ جدة

(١) وفيها ما يقرب من مائتى نصرانى وأكثر هؤلاء تجار الأغذية وموظفى القنصليات.

على بك، ومساعدة الأهالى والعربان فاضطروا للانسحاب، وبما أن جدة بمثابة مفتاح الحرمين المباركين، أرسل فى سنة ١١٣٨ من استانبول الفرقة ثلاثة وسبعين الإنكشارية مع مقدار كاف من حراس الحدود لتأمين القلعة المذكورة من هجمات الأجانب وتسلطهم، وبعد اثنتين وعشرين عامًا وفى سنة ١١٦٠ عمرت ورممت الأماكن التى اقتضى الأمر إصلاحها فى جدة بواسطة والى جدة والحبش تاتار عثمان باشا المشهور.

وفى جدة المعمورة معسكر للجيش، ودائرة موانى، خمسة جوامع وثلاثون مسجدًا، ودائرة حكومية، ودائرة جمرك وسبعة أضرحة، وبرجان وثلاثمائة صهريج وحمام، وألف وثلاثمائة منزل وتسعمائة دكان وأربعون مقهى وأحد عشر مخزنًا، وسبع وأربعون طاحونة تدار بالحيوانات، ومصبغ، وعشرة مطاعم، وفندقان، وثلاثون خانًا لبيع الغاز والنفظ، وأربعة أحواض، وتسعة سبل ومخزن للماء للسفن وست إدارات للشرطة، وقلعة، ودائرة للبلدية.

وأكثر هذه المبانى منتظمة ومبنية بالآجر، وشوارعها منظمة فى خط مستقيم، ودكاكينها مملوءة بأنواع الأقمشة والأمتعة الهندية، والدائرة الحكومية فى باب المدينة وموقعها فى غاية اللطف، وهواؤها بالنسبة للأماكن الأخرى جيد وخفيف.

وكان موظفو الحكومة قبل ذلك يقيمون فى القصر المنسوب لطوسون باشا ابن والى مصر المشهور محمد على باشا والذى اتخذ الآن سجنًا، وقبل أن ينتقل موظفو الحكومة لهذا القصر كانوا يقيمون فى دائرة قاعة الإمارة، الكائنة فى الحى اليمانى، وكانت هذه الدائرة أقدم دائرة حكومية وآل أمرها إلى الخراب الآن.

وكانت مدينة جدة إلى سنة ١٢٨٠ مركز أيالتى جدة والحبش فنقلت الولاية فى تلك السنة إلى مكة المكرمة. وكان الولاة من الأسلاف وإن كانوا يقيمون فى مدينة جدة إلا أنهم كانوا يمضون مواسم الحج فى مكة المكرمة.

وقد أسس وبنى أحد جوامع جدة قرا مصطفى باشا الذى تولى الصدارة سنة ١٠٥٣. وبنى الجامع الآخر فى سنة ١١٣٤ والى جدة والحبشة بكر باشا.

ومازال جامع بكر باشا معموراً إلى اليوم ويشتهر بكثرة جماعته، والجامع المنسوب لقرا مصطفى باشا يعرف الآن باسم (جامع الإمارة)، وقد بنى حمام جدة وأحد خاناتها قارا مصطفى باشا أيضًا وهما من جملة خيراته.

إن أكثر منازل جدة ـ كما سبق توضيحه ـ مبنية نصفها من الطوب وأكثرها ذو طابقين، وقد بنى الطابق الأول وفق الهندسة والطراز الهندى ونوافذها دون زجاج وأطر، لذا فمن الصعب الجلوس فيها نتيجة للغبار المثار فى الطرقات.

وأهالى جدة عامة يحبون العمل وأغلبهم أغنياء، ويشتغلون بجميع أنواع التجارة، قد اكتسب ميناء جدة من حيث التنظيم الشهرة، والأهمية الطبيعية فى عهد سلطاننا حتى أصبح الميناء الأول للبحر الأحمر، والمدينة الأولى كما أنه ملجأ وملاذ السفن التى تسير فى خليج السويس.

وكافة أهاليها غير نصفة من الأوروبيين وغير مسلمين. ويتاجر بعضهم بالهند والمستعمرات الأجنبية الأخرى، وبعضهم[1] بأعالى الحبشة، وسواكن، ومصر وزنجبار وسومطرة، جاوا اليابان، الصين، الأناضول، والروملى، وسوريا، وبلاد المغرب، نجد، اليمن، العراق، البحرين، مسقط، أوربا، روسيا وإيران) لذا لا ينقطع سيل السفن التى تأتى من جميع الجهات.

ولما كانت الصخور المرجانية كثيرة فى الميناء فالدخول فى الميناء يشكل صعوبة وخطورة، لذلك لا يمكن للسفن الأجنبية الدخول فى الميناء بدون الاسترشاد بالأدلاء المحليين، ولا سيما عندما تبدأ المياه تظلم بعد العصر يصبح الدخول فى الميناء مستحيلاً. ويروى أن كثيراً من السفن التى تجرأ ربّانوها المشئومون على الدخول فى الميناء تعرضوا للمخاطر، لأن ميناء جدة يتشكل من الصخور المرجانية

(١) ومن بين هؤلاء: «محمد يوسف باناجى، محمود خونجى، عبد القادر حاجوم، موسى البغدادى» من الذين لهم معاملة تجارية بلندن، كما أن بيت البنان وسيد عمر سقاف من الذين اشتهروا فى تجارة جدة.

الطبيعية وإن كانت وسائل الأمن والسلامة متسعة بالنسبة للسفن إلا أن مضيقى (المسمارية) و (الشاب الكبير) كثيرًا الخطورة.

ولما كان داخل الميناء عميقًا قدر ثلاثة أذرع إلى سبعة أذرع تدخله السفن الكبيرة وتتجمع فيه خمسون وستون سفينة وثلاث وأربع بواخر بريدية، وثلاث وأربعة سفن شراعية فى صورة دائمة. ويمكن أن يصنع فى نفس ميناء جدة سفينة ذات ثمانين أو تسعين طنًا.

يشتغل قسم من أهالى جدة بصناعة (المسابيح والصياغة وصناعة الصدف، والبقالة، والصباغة، وصيد السمك) وقسم آخر يصطادون المرجان واليسر والصدف واللؤلؤ، ويتاجرون بهذه الأشياء. وقسم منهم يعملون بتسيير القوارب والسفن.

ومن بينهم من ذهبوا إلى المحيط الهندى ورجعوا وأحيانًا ذهبوا إلى موانى الصين، وربانوها تعودوا السفر إلى زنجبار وسنغافورة.

ومن أهل البلد من يمتلكون سفنًا شراعية ذات حمولة ستمائة طن إلى ألف طن، وهناك أكثر من مائتين ممن يمتلكون سنابق، وهذه السفن تنتقل بين موانى (سواكن، مصوع، الوجبة، ينبع البحر، حديدة، زيلع، مسلط، مكلا، البصرة، وشحر).

تهب فى ميناء جدة رياح البحر الرطبة والرياح الشرقية والجنوبية والغربية والشمالية، ويطلق على الرياح الغربية الشمالية عند الأهالى (بحرى)، وعلى الرياح الجنوبية الشرقية (أزيب).

ورياح (البحر)، رطبة ورياح الشرق حارة، ويروون أن لهذه الرطوبة فوائد. كما أن رياح السموم التى تحمل الحرارة غير ضارة.

وتبلغ درجة الحرارة عندما تبلغ أشدها إلى واحد وأربعين درجة سانتفراد إلا أن رطوبة البحر تحمل البرودة فى الليالى.

وتنتشر فى الخريف والشتاء علة الحمى فى جدة إلا أنه بعد أن أجريت مياه

عين (حميدة) فى داخل المدينة فإن هذا المرض قل بنسبة سبعين إلى تسعين فى المائة كما ترويه المصادر الموثوقة.

الصخور المرجانية التى تشكل ميناء جدة:

الصخور المرجانية التى تكون ميناء جدة ثلاثة أقسام.

١- القسم الأول ـ الصخور المرجانية المتصلة بالشاطئ، وعندما يظهر الجزء الأعظم فى البحر تظهر كأنها يابسة.

٢- القسم الثانى ـ الصخور المرجانية القريبة من سطح البحر ومركز ظهورها قاع البحر.

٣- القسم الثالث ـ البعيدة عن سطح البحر يعنى عكس القسم الثانى. ووضع هذه الصخور المرجانية أفقى غير متسلسل وكل واحدة من هذه الصخور موازية فى الخلقة مع الأخرى، وتحدث من ذلك خطوط كثيرة ومن اجتماع الخطوط المائية تحدث تيارات مائية، والصخور المرجانية التى من القسم الأول كلما تنحدر القمة يخف ارتفاعها نحو اليابسة، ويحدث ميول خفيفة ويتشكل من هذه الميول تلال صغيرة.

والصخور المرجانية التى تنمو فى داخل البحر ثلاثة أنواع من حيث الخلقة:

١- النوع الأول ـ الصخور المرجانية القريبة من سطح البحر ومهما بذل من الجهود لتحطيم وكسر هذه الصخور واستخدم فى كسرها أى نوع من الآلات والأجهزة لا يمكن ذلك.

٢- النوع الثانى ـ الصخور المرجانية التى تنبت فى قاع البحر وتنمو مثل الأشجار والنباتات، ولما كانت هذه الصخور من حيث الخلقة قابلة للكسر فإنها تنكسر بسرعة وسهولة.

٣- النوع الثالث ـ التكونات المرجانية التى لم تتجمد بعد ومازالت طرية كالطين.

الجزر والمد :

يحدث فى ميناء جدة نوعان من الجزر والمد يطلق على أحدهما (الجزر الأعظم)، وعلى الآخر (الجزر الأصغر).

الجزر الأعظم:

هو الجزر الذى يحدث فى أوائل مايو، ويمتد إلى شهر أكتوبر والذى يظل ستة أشهر.

وتظهر الصخور المرجانية المتصلة باليابسة، والتى تمتد داخل البحر حيث تنخفض المياه قدر متر ونصف متر فى هذا الموسم، إلا أنه لما تبدأ المياه تزيد تدريجيًا من أول نوفمبر إلى آخر أبريل فإنها تغطى الصخور المرجانية.

الجزر الأصغر:

هو الجزر الذى يحدث كل يوم إذ تزيد المياه كل يوم قدر خمسة وأربعين سنتيمترًا، ثم تنسحب وتعود لحالتها الأولى. وبناء على ما فهم من هذا التعريف فإن ميناء جدة تكون من أوضاع الصخور المرجانية، لذا تضطر السفن التى تأتى لهذا الميناء إلى إلقاء مراسيها على بعد ميلين منه، لذا ترى أن الأشياء والمسافرين الذين يريدون السفر بهذه المراكب ينتقلون إليها بواسطة القوارب التى يقال لها السنابق.

ولكن لشدة الأسف فإن المدينة التى فيها ميناء مزدحم بالسفن لا يوجد فيها ماء عذب جار. لذا ترى القادرين من الأهالى قد بنوا صهاريج كبيرة يملئونها بالمياه المخزونة من الأمطار كما يملئون الحفر الكبيرة التى حفروها بمياه الأمطار، ويبيعون ما يزيد على حاجتهم من المياه للحجاج والزوار، وبهذا يحصلون على ما أنفقوه من النقود من بيع المياه بل يكسبون أيضًا. ويحدث أحيانًا أن تشح الأمطار فى هذه البلاد مدة سنتين أو ثلاث سنوات.

وكان الناس يعانون كثيرًا فى مثل هذه السنين من قلة المياه، وكان ما يحمله جمل واحد من المياه يباع بثلاثين أو أربعين قرشًا.

وقد حفرت آبار فى مكان يسمى (سرورية) على بعد ثلاث ساعات من جدة لتجلب منها المياه عندما تقل، وإن كانت مياه هذه الآبار قابلة للشرب إلا أنها ليست عذبة كمياه الأمطار لأنها مختلطة بمياه السيول والبحر. ويجب أن تشرب تلك المياه وهى جديدة، فإذا ما حفظت ليلة فى الأوانى أو القرب تتعفن. وقد صنعت قرب صغيرة حتى يحولوا دون تعفن المياه، ودهنوا داخل القرب وخارجها بالشحم الداخلى للحيوانات، ومن الصعب للذين لم يتعودوا شرب المياه المختلطة بالشحوم شرب هذه المياه المجلوبة من الآبار.

ولما كانت هناك مياه جارية فى قرية (وادى فاطمة) التى تقع بين سلسلة الجبال التى على بعد ست أو سبع ساعات من شرق مدينة جدة وفى خارج مكة على بعد ست ساعات شمالاً، وهذه القرية تبعد تسع ساعات من جدة فى جهتها الشرقية، ولما كان سطح هذه القرية مرتفعًا عن سطح أراضى جدة فمن السهل إجراء المياه من هذه القرية إلى جدة، ولا سيما بعد ما زادت أهمية ميناء جدة بعد حفر قناة السويس وازدحم بالسفن الآتية من جميع الجهات وزادت حاجة جدة إلى مياه عذبة حتى يستريح أهاليها من مشقة قلة المياه، من هنا فإنقاذ سكان جدة والحجاج المسلمين والذين يمرون بها من غائلة قحط المياه منتظر من ألطاف السلطان اللامتناهية المأمولة.

يروون أن فى داخل المدينة ماء مجلوب قديمًا، إلا أنه لا يعرف إذا كان هذا الماء جلب من قبل أصحاب الخير أو من قبل الحكومة؟!

بناء على قول أن الذى جلب هذا الماء هو الصدر الأعظم قارا مصطفى باشا سنة ألف وخمسين، ولكن حينما وصل مجراه خارج المدينة ارتحل عن دنيانا، ولم يقدر له أن يجرى الماء فى داخل المدينة.

وقد فهم من الكشوف التى أجريت فى العام الماضى أن منبع ذلك الماء بعيد عن جدة ساعتين أو ثلاث، وخرب مجراه بمرور الزمن وامتلأ بالحصى والتراب.

إن تعمير هذا المجرى وتطهيره لا يحتاج إلا لأربعة آلاف أو خمسة آلاف

ليرة، ومثل هذا المبلغ يمكن جمعه من أهالى جدة الأغنياء وتجارها الميسورى الحال بسهولة إلا أن معظم الأغنياء يمتلكون الصهاريج السالفة الذكر، ولا يحتاجون إلى ماء بل إنهم يحاربون مثل هذا المشروع لكسبهم مقداراً من النقود باتجارهم بالماء، وسيعملون على عدم جلب هذا الماء. ومن هنا يتضح أن جلب هذا الماء يقع على عاتق الحكومة السنية، وعلى همة رجالها ويتمنى الأهالى والحجاج أن يتم هذا العمل الخير فى عهد سلطان عصر المبرات والخيرات. وحمداً لله إذ تقرر فى عهد عثمان باشا والى الحجاز إجراء ماء (عين الوزير) إلى جدة، وهيئت أسباب إجرائها اللازمة وصرفت المساعى باتفاق الأهالى وفى ظل حضرة السلطان، وفق فى إدخال الماء المذكور داخل المدينة وسميت (العين الحميدية) وبنيت طرقها بالحجارة فى شكل منتظم.

أنقذ هذا الأثر الجليل الحجاج والأهالى من شرب المياه المتعفنة، وتسبب فى عمران جدة وجلب شكر الناس ودعواتهم لحضرة الخليفة إلى يوم القيامة.

وإن صادف إجراء العين الحميدية لعهد والى الحجاز الحالى صفوت باشا وينسب له فضل هذا التوفيق إلا أن جلب العين المذكورة تَمَّ بِهِمَّة سالف الذكر عثمان باشا وخلفه جميل باشا وما بذلا من جهد عظيم، لذا يخطئ الذين يختصون صفوت باشا بهذا التوفيق.

ومجرى ماء (عين الحميدية) ابتداء من سفوح الجبل الذى على الجهة الشرقية من المدينة وعلى بعد ثلاث ساعات منها إلى نقطة بعيدة ثلاثين دقيقة فى خارج جدة مبنى بالحجارة ومن هنا إلى المقسم الجسيم فى كل اتصاله فرشت اسطوانات مزدوجة قطرها اثنا عشر سنتيمتراً. ومن هذا المقسم للطرق التى تتفرع إلى أربعة فروع فرشت الأسطوانات الطينية.

وقد بنى مخزن كبير فى المحل الذى يسمى (عيدروس) لجدة وهذا المكان فى اتصال باب مكة للسور، يسمى مقسما لماء عين الحميدية وإلى جهة ما لهذا المخزن بنى سبيل كما بنى سبيل آخر بعد ذلك للمياه التى أجريت إلى المستشفى

العسكرى وحفر لحديقة المستشفى حوض كبير وأنبتت بالمياه الفائضة زروع حديقة كبيرة. كما أنشئ سبيل آخر فى ميدان بئر يعقوب، وبنى فى الحى اليمانى سبيل آخر باتصال منزل شيخ مشايخ جدة إبراهيم عراقى أفندى.

وقد صنع سبيل باسم الخليفة مكمل الشكل فى ميدان الميناء وفى وسط هذا السبيل فسقية وحواليه صنابير، وحوله إطار على شكل السد وحوله سور من حديد مشبك.

وقد كتب على باب السبيل فى الجهة الشمالية التاريخ الآتى الذكر، والذى قاله المعلم الشهيد (فيضى)[1] أفندى ووشح فوق التاريخ بالطغراء السلطانى وزين بها.

السلطان الملائكى الشيم ... خاقان ذو عدل وكرم
ذلك الملك المحتشم ... خان الزمان عبد الحميد
قد جعلك ظل الله ... ذاتك السلطانى الإله
فإنك لعباد الله جميعًا ... فيض مستلزم جديد
يعين المسكين ... ويعمر كل البلاد
يوجد آبار خير ... كثير الإحسان فريد اللطيف
لم يكن فى مدينة جدة ... أبدًا الماء الزلال
لم يكن يستخدم فيها ماء ... غير ماء المطر
هاهو ذا سلطان الدين ... باللطف ماء الحياة
أجرى هناك ... فاستفاد منه الأهالى
فأنشأ عينا لا بديل ... له الماء العذب مثل النيل

(١) فيضى أفندى مدرس المدرسة السلطانية.

عينـا تسمـى سلسبـيل وأروى فـم العطـشى
يـا «فيضـى» ادع لـه كلمـا نـزل المطـر
فليكن هذا السلطان دائمـا طويل العمر سعيد الحـظ
اشـرب المـاء بكفيـك وادع للسلطـان حميـد
صنع هذا السبيل الجميـل خان الدنيا عبد الحميـد

قد بنى على رأس الميناء مخزنًا للماء الذى يمد السفن الحربية السلطانية وبواخر الإدارة الخاصة بالمجان وسائر السفن[1] بالنقود وبنى من أول هذا المخزن إلى داخل البحر جسرًا طوله ستة أمتار وعرضه متران ممتدًا إلى داخل البحر وفى داخل الجسر أنابيب معدنية فى نهايتها وصنعت منافس هوائية، لذلك تستطيع السفن والقوارب ملئ أوانى مياهها بكل سهولة.

وقد بنى سبيل فى حى المظلوم وبالقرب من الجامع الشافعى وفى اتصال جامع المعمار وفى اتصال حوض للوضوء خاص بالشافعية، وأمام منزل الحاج محمود سبيل متوسط وفى الدائرة الحكومية سبيل ذو ثلاثة صنابير على مساحة مستشفى الغرباء القديمة التى أمام الدائرة الحكومية، وأنشئت حديقة مزينة جميلة وداخل هذه الحديقة حوض متسع، وأحيطت الحديقة بسور مشبك من الخشب، وفتح فى جهتها الغربية باب جميل وفى داخل المعسكر السلطانى سبيل على طراز جديد كما بنى حوض فى وسط الحديقة، وبهذا قد اكتسب داخل المدينة وخارجها خضرة جميلة ومنظرًا ساحرا. والأهالى يجتمعون فى الأماسى داخل هذه الحديقة حيث يتنزهون.

طريق الوادى:

هناك طريق فخم من جدة إلى مكة يسمى «طريق الوادى» وطرفا هذا الطريق فى غاية التنسيق ويزينهما جبال صغيرة منخفضة وهذه الجبال مثل جبال الحجاز الأخرى جرداء عارية وتسخن فى الصيف فى النهار حتى تحرق طريق الوادى

(١) وكان يباع طن من هذا الماء بفرنكين فرنسيين كما يروى.

بشدة. وإذا ما بذرت على قمم تلك الجبال المائلة نحو الوادى البذور أنبتت أشجارًا تتحمل الحرارة، وهذه الشجيرات تنمو فى فترة قصيرة، وتبرد طريق الوادى وتزين طرفيه، ويصبح الطريق صالحًا للسير فيه ليلاً ونهارًا وتصلح الهواء بشكل لا يتصور.

قمم الصهريج - فى طريق مكة المعظمة وبالقرب من جدة جبال ترتفع ما يقرب من سبعين مترًا أو ثمانين، ترى من فوقها مدينة جدة المعمورة. والجهة المكية من طريق الوادى وعلى طرفيه تلك الجبال الصغيرة مما يكسب طرفى الطريق منظرًا جميلاً.

ولما كانت ظهور قمم الصهريج قليلة الرطوبة وجيدة الهواء فإذا ما بنى أغنياء جدة على هذه الأماكن قصورًا صيفية، وغرسوا أشجارًا وطرحوا حدائق لزينوا مدينة جدة، كما أنهم سيمضون مواسم الصيف فى راحة ودعة.

وكنت تصورت هذه الرغبة فى سنة (١٢٨٩) وبناء على الأخبار التى وصلت سنة (١٣٠٤) علمت أن شخصًا يسمى السيد عمر سقاف بنى على القمم التى فى ناحية جدة وعلى بعد ثلاث أو خمس دقائق منها دائرة مكملة متينة، وزين منزله هذا بتحف هندية وصينية قيمتها ألفان أو ثلاثة آلاف ليرة.

وبناء على تعريف الراوى وتصويره فإن مخزن «بومبارشة» المشهور فى إستانبول يظل بجانب الدائرة المذكورة كدكاكين العرائس فى حى أبى أيوب الأنصارى.

وإن كان السيد عبد الرحمن طاهر باشا بنى بجانب دائرة السيد عمر سقاف دائرة أخرى إلا أن دائرته بالنسبة لدائرة عمر سقاف تظل مثل كوخ السماك. ومهما يكن فمادام أغنياء أهالى جدة فكروا فى إنشاء المبانى فوق قمم الصهريج ففى مدة قصيرة ستبنى فوق هذه القمم قصور صيفية جميلة، ويتعود الناس على قضاء مواسم الصيف فى هذه المصايف، وتتسع المدينة تحت ظل الرعاية السلطانية.

ولما كان لسكان أعلى قمم الصهريج إمكانية الذهاب والعودة إلى جدة كل يوم فإنهم يعانون من إعداد لوازم حياتهم اليومية.

أمنا حواء رضى الله عنها:

إن ضريح جدة البشر الأعلى حواء ـ رضى الله عنها ـ فى مكان قريب من ساحل البحر وقريب من مدينة جدة وكأنه متصل بها.

إن الضريح المذكور فى داخل مقبرة عادية وخال من جميع أنواع الزخارف والزينات، وفى الجهة التى فيها رأسها وناحية قدميها قطعتان من الحجر كعلامة. كما أن فى وسط القبر قبة لطيفة، إلا أنه ليس بعيد الاحتمال أن يستولى الأعداء على الأراضى التى حول القبة، ويظل مقام جدتنا الأعلى داخل هذه الأراضى، ولكن إذا ما بنى فوق مقام والدتنا المشار إليها ضريح جميل بواسطة هيئة خيرية كهيئة عين زبيدة، وإذا وصلت حدائق القصور والمنازل التى تبنى على قمم الصهريج إلى شاطئ البحر، وأنشئ ميناء على ساحل البحر وتركت إدارته ليد الحكومة السنية العادلة عندئذ قد ينقذ المقام الشريف المذكور من هم انتقاله إلى أيادى الأعداء.

بين جدة ومكة بعض أماكن استراحة يطلق عليها بين العربان «مقهى»، فإذا ما زينت أطراف هذه المقاهى بالأشجار وأسس فيها مركز شرطة فبهذا يمكن تأمين طريق جدة من تسلط الأشقياء، وفى نفس الوقت يهيأ الطريق بمنظر جميل أخضر ويزين.

الطائف:

تقع بلدة الطائف والتى تسمى أيضًا بـ «وادى عباس» على الجانب الشرقى من مكة، وعلى بعد ثمانى عشرة ساعة وعلى سطح جبل غزوان، الذى[1] يرتفع عن سطح البحر ١٥٧٥ مترًا. وعلى بعد مرحلتين من مكة المعظمة عن طريق جبل قرا وعلى ثلاث مراحل من طريق (سيل)، وخلف جبل قرا بأربع ساعات.

تحوى بلدة الطائف أربعمائة منزل تقريبًا وعدد سكانها ألفا نسمة تقريبًا. وفى

(١) الجبل الذى يطلق عليه غزوان شعبة من سلسلة جبال سراة.

الطائف معسكر سلطانى يستوعب أربعة فرق من الجنود، وستة مساجد صغيرة، وفى الجهة الغربية من المدينة مسجد كبير، وستة جوامع وحرم شريف واحد، ومدرسة كبيرة، وأربع مدارس للصبيان صغيرة، وسبيل ومنزل للمدير، ودائرة الولاية، وعشرة قصور صيفية ومائتا دكان، وقلعة، وسور، وتسعة مخابز، وعشرة دكاكين للجزارة، ومذبحان، وحمام واحد، وثلاثة أحواض، ومقابر عبد الله بن عباس والطيب والطاهر من خدام الرسول ﷺ فى ساحة الحرم الشريف السالف الذكر. وفى مقابل الباب الذى فى الجهة الغربية من الحرم الشريف وخارج السور مقبرة زيد بن ثابت كاتب وحى النبى ﷺ[1].

وفى مكان يسمى وهد الأهالى يطلقون عليه «وحاد» وعلى بعد ساعة ونصف قبر سيدنا عكرمة من أجلة الأصحاب الكرام.

وبما أن (وج) بن عبد الحى وهو رجل من العماليق جاء إلى أراضى الطائف من قبيلته، وتوطن فيها ظل اسم الوادى، الذى يقع بين جبلين والذى يطلق عليهما المحترق وأصجدين، ظل يحمل اسم هذا الرجل ويعرف بوادى «وج» وقد حرم هذا الوادى من قبل النبى ﷺ قبل غزوة الطائف.

وجاء سبب تحريم وادى وج فى حديث رواه أبو داود بسنده عن عروة بن الزبير، عن الزبير، قال: لَمَّا أقبلنا مع رسول الله ﷺ مِنْ لِيَّة[2] حتى إذا كُنَّا عند السَّدْرَةِ وقَفَ رسول الله ﷺ فى طرف القرْن الأسود حَذْوها، فاسْتَقْبَلَ نَخبًا[3] ببصره، وقال مرة: واديه. ووقف حتى اتَّقَفَ[4] الناسُ كلهم، ثم قال: «إنّ

(١) هذا الشخص أستاذ عبد الله بن عباس.

(٢) ليه: بكسر اللام وتشديد الياء المثناة جبل قرب الطائف مرّبه النبى ﷺ عند انصرافه من حنين يريد الطائف، وأمر وهوبه بهدم حصن مالك بن عوف قائد غطفان.

(٣) نخب: اسم واد بالطائف.

(٤) قوله: «اتَّقَفَ النّاسُ» أى حتى وقفوا. اتقف مطاوع وقف تقول: وَقَفْتُه فاتَّقَفَ مثل وعدتُه فاتَّعَدَ. والأصل فيه اوتَقَفَ فَقلبت الواو ياءً لسكونها وكسر ما قبلها ثم قلبت الياءُ تاءً وأدغمت فى تاء الافتعال» أ.هـ. انظر لسان العرب مادة «وقف» ص ٤٩٠٠ ط. دار المعارف.

صَيْدَ وَجَّ وعِضَاهَهُ حرامٌ محرّمٌ لله». وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره لثقيف[1].

وبجانب هذا الوادى شجرة سدر، ومن المحتمل أن تكون هذه الشجرة المشقوقة التى ذكرها المؤرخ المطرى.

وبعد انقراض العمالقة سكن الطائف آل ثمود وجعلوها وطنًا لهم، واستولى عليها بنو ثقيف فيما بعد واستوطنوا فيها.

لما كانت أرض الطائف أكثر ارتفاعًا عن مكة المفخمة، فتقل درجة حرارة الطائف عن مكة المكرمة ست أو سبع درجات ويجود هواؤها، لأجل ذلك يصعد أهل مكة معظمهم إلى الطائف عندما تشتد الحرارة فى أشهر الصيف ويقيمون هناك إلى أن تزول الحرارة.

ودرجة حرارة بلدة الطائف فى أواخر شهر أبريل تصل فى الأماسى إلى ١٧ درجة، وفى الصباح إلى ١٨ درجة، وفى أوائل شهر مايو تبلغ درجة الحرارة إلى ٢٣ درجة، وترتفع أحيانًا إلى ٢٤ درجة، ويبرد الهواء فى ليالى هذه الأشهر فلا يمكن الوقوف فى الأماكن المكشوفة بدون ملابس ثقيلة. وليس فى الأقطار الحجازية مكان أبرد من الطائف حتى إن الماء يتجمد شتاء فى نفس الطائف، أو فى القرى الكائنة على سطح الجبل المذكور.

إن أطراف بلدة الطائف اللطيفة والقرى الواقعة فى الجبل أماكن مليئة بالحدائق والبساتين. يوجد فيها جميع أنواع الفواكه، ولا سيما أنواع وأجناس العنب وخاصة أجود أنواع عنب جاويش والتين الإفرنجى، وجميع أنواع الخوخ والتوت الشامى، والتين والمشمش والبرقوق والبلح والليمون، والرمان وأنواع أخرى من الفواكه التى تجود فى هذه الأماكن. ومياهها ألطف وأعذب مياه البلاد الحجازية، وألطفها «ماء سلامة». كان هذا الماء يأتى من جبل خلف (المثنى)، ولكن لشدة الأسف خرب مجراه ولم يصلح فاختفى وأصبح أثرًا بعد عين.

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى الحج (المناسك) (٩٥) باب فى مال الكعبة، حديث رقم (٢٠٣٢)، ٢/ ٢١٥ ـ ٢١٦. ط دار الفكر.

وأجود المياه الآن مياه بئر «عجلان» فى سلامة ومياه البئر التى بجوار مسجد ابن عباس، وهى فى الدرجة الثانية.

كما أن الماء الجارى الذى يعرف بوحاد[1] أى ـ وهد ـ القريب من قبر عكرمة «كان هذا الشخص مولى لعبد الله بن عباس» رضى الله عنهما على بعد ساعة ونصف ساعة من الطائف.

وهناك ماء مشهور بماء «مرسين» بجبل قرا ولما كان هذا الماء يأتى مارًا من تحت أشجار العرعر متضاربًا ببعض الحصى فهو من أصبح مياه الحجاز وأكثرها إدرارًا.

وحول المدينة بعض المياه الجارية الكبيرة باسم مثنى وشورة وكل هذه المياه إذا ملئت بها القلل تبرد بحيث لا تتحملها الأسنان.

عندما مرض الشريف عبد الله باشا المرحوم تشكلت هيئة استشارية للأطباء وقرر هؤلاء الأطباء أن يعنى بالمياه التى يشربها الشريف عبد الله. وبناء على هذا القرار أمر المشار إليه بتحليل المياه الموجودة والكشف عليها. وبناء على معاينة الأطباء وتحليلهم قد تبين أن أجود المياه من حيث الخفة والعذوبة والنفع بعد ماء «قارا قولاق» ـ الأن السوداء ـ: ماء «مرسين» فى الدرجة الأولى، ومياه بئر عجلان فى الدرجة الثانية، وبئر حديقة مغنى الكائن فى جلع فى الدرجة الثالثة، واتفق الأطباء على أن يشرب الباشا المذكور من ماء «مرسين».

فى بلدة الطائف جميع أنواع الأشجار. ويروى المؤرخ المشهور أن فى الطائف عدة أشجار سدر باقية من عصر النبى ﷺ، حتى إن أهالى الطائف يعرفون البعض بهذه الأشجار.

ويروى المؤرخون ـ على أنها من المصادر الموثوق بها ـ أن النبى ﷺ بينما كان يمر من بين هذه الأشجار انشقت إلى قطعتين تعظيمًا للنبى ﷺ وجعل النبى ﷺ يمر بناقته من بين شقيها.

ويحكى الإمام المطرى أنه زار هذه الشجرة سنة ٩٦ الهجرية وأكل من ثمراتها

(١) وحاد اسم قرية وبما أن ماء وحاد فى هذه القرية عرف بها.

وأن أهالى الطائف يقطفون من ثمارها ويأكلونها متبركين وقد ذكر ذلك مفصلاً فى تاريخه.

ويحكى ابن نور بعد أن بين أنه قام بزيارة هذه الشجرة ورآها قائلاً: «كان النبى ﷺ قد نام ليلة ما بين أشجار الحدائق فى رحلته إلى الطائف ولما استيقظ وسار صادف جملة شجرة من جنس السدر فانشقت الشجرة إلي شقين، وترك الجمل يمر من بين هذين الشقين وعلى ظهره النبى ﷺ، ومازالت تلك الشجرة السعيدة قائمة على ساقين وهى مزار مبارك مشهور فى طريق الطائف».

ولشدة الأسف قد جفت تلك الشجرة فى خلال عام ٧٢٩ من جذورها، وزالت عن الوجود. والآن لا يوجد أثر لتلك الشجرة، كما أنه لا يوجد من يعرف مكانها.

لكن معجزة الشجرة الجليلة صحيحة. وكان أهالى الطائف فى العصور السابقة يقتطفون من ثمار الأشجار التى تنبت فى المحل الذى وقعت فيه المعجزة، ويظنون أن تلك الأشجار من نفس جنس الشجرة المعجزة.

الآثار:

فى أطراف بلدة الطائف ثلاثة آثار، ويظن الأهالى أن فى زيارة هذه الآثار خيراً وبركة.

مسجد العداس:

أحد هذه الآثار المذكورة مسجد (عداس) وهذا المسجد فى وسط موقع مثنى البعيد عن الطائف مقدار عشرين دقيقة، وفى داخل حديقة تسمى (عداس)، كان النبى ﷺ شرف الطائف مع عبد الله بن مسعود لدعوة بنى ثقيف للدين الإسلامى، وبما أن بنى ثقيف رفضوا لقاء النبى ﷺ ذهب إلى حديقة (عداس) السالف الذكر حيث جلس يائسًا.

كان عداس غلام صاحب هذه الحديقة فأحضر بعض العنب وقدمه للنبى ﷺ.

ولما سر النبى ﷺ من الغلام سأله عن بلده. وعرف أنه من الموصل وقال له «إذن فأنت من بلد أخى يونس». فقال له عداس: «كان يونس نبيًا!! فكيف يكون أخاك؟» ولما أجابه قائلاً «أنا أيضًا نبى» فأسلم عداس.

ولما كان النبى ﷺ فى ذلك المكان فبنى مؤخرًا على ذلك المكان مسجد!! فالمسجد الذى يطلق عليه مسجد عداس هو المكان الذى صلى فيه الرسول ﷺ.

مسجد النملة:

أحد الآثار الثلاثة مسجد (النملة).

هذا المسجد قائم فى المكان الذى حدثت فيه قصة (النملة) كما ذكرت فى القرآن الكريم. وفى بحث سليمان عليه السلام. ولما كان النبى ﷺ قد زار هذا المكان زيارة خاصة بنى عليه مسجد شريف.

مطمخ الغزال:

الثالث من الآثار المكان المبارك الذى يسمى (مطمخ الغزال).

هذا المكان موجود فى وادى الطائف الشمالى وعلى بعد ربع ساعة من مكان يطلق عليه (جعل). وهو موقع ذو صخور وعلى هذه الصخور آثار أرجل الغزلان هنا وهناك، وبناء على رواية أهل المعرفة من الأهالى أن معجزة الغزال وقعت فى هذا المكان، إذ وقعت غزاله فى يد الصياد عندئذ تكلمت الغزالة، وجعلت النبى ﷺ كفيلاً على أن تعود بعد أن ترضع صغارها، ويقال لهذه الزيارة الآن (زيارة مطمخ الغزال).

الآثار العتيقة أو رسم إيبوقراط:

بين الطائف ومكة المعظمة وبين مجرين الذين يقال لهما السيل الصغير والسيل الكبير (عقبة)، وعلى الجهة الجبلية لهذه العقبة بعشرين ذراعًا، وعلى يمين الذاهبين من مكة إلى الطائف صخرة كبيرة منفردة نقش عليها رسم إنسان ضخم

مدهش ذى لحية وعارى الرأس، وقد كتب تحت هذا الرسم باللغة الأفرنكية اسم أيبو قراط. وصنع هذا الرسم من منتصف الجسم إلى أعلى وحفر بقلم الحفر.

وأراد الشريف عون الرفيق باشا أن يعرف كنه هذا الاسم ومتى حفر هناك، وأخذ يتحرى عن حقيقة هذا الأمر فى الأقطار الحجازية، واطلع على الكتب العربية القديمة إلا أنه لم يصل إلى معرفة شيء عنه.

وفى خلال إمارة أخى الشريف عون الشهيد حسين وقع أحد سياح الإنجليز فى يد العربان بينما كان ذاهبًا من جبل شمر إلى الطائف فى مكان يسمى (سويلة) وهو لابس ملابس البدو، وعرف أنه أجنبى فجرّده البدو وأرقدوه على الأرض ليقتلوه، ورأى ذلك بستانى حديقة الشريف عبد الله باشا فى سويلة وعبده المعتوق وأسرعا إلى البدو وأنقذاه بصعوبة من أيديهم، وأخذوه إلى حسين باشا الذى كان فى الطائف وسلموه له.

استضاف حسين باشا الإنجليزى فى منزل رئيس باور انه محمد أغا. واستردوا جميع أشياءه وأعادوها له وبعثوا به فى رفقة موظف خاص إلى جدة دون أن يمر بمكة.

وكان هذا الشخص قد أعجب بقبة ضريح عبد الله بن عباس (رضى الله عنه) من حيث الفن والصنعة وأخذ لها صورة فوتوغرافية، كما أخذ صورة لرسم أيبو قراط الذى جذب نظره فى أثناء الطريق.

أخطار:

لما كانت الأراضى التى فيها مكة والطائف وجدة وما حواليها غير مسكون فى عهد أيبوقراط كما أن أيبو قراط لم يزر أرض الحجاز وهذا معلوم لدينا، لذلك لن نخوض فى هذا الموضوع ولكننا كمؤرخ سنكتفى بقيد ما سمعناه وشهدناه.

فى تعريف ينبع ورابغ وخيبر وحناكية

لما كان فى الأقطار الحجازية مكانان يحملان اسم ينبع، يطلق على أحدهما (ينبع البحر)، وعلى الآخر (ينبع النخل).

ينبع البحر:

يقع ينبع البحر على الجانب الغربى من البحر الأحمر وعلى شاطئ البحر وعلى بعد ٢٢٥ كيلو متر غرب المدينة المنورة[١] يعنى يبعد عن مكة المكرمة ٥٣ ساعة وهو ميناء مزدحم بالسفن ويسكنه خمسة آلاف نسمة تخمينًا.

ويحيط بالميناء السور الذى جدده فى سنة ١١٢٦ عثمان باشا الذى أرسل من استانبول عام ١١٢٦. وفى داخل السور ثمانمائة منزل وثلاثمائة دكان وثلاثة جوامع ومخزن ودائرة حكومية واحدة.

ولما كان ينبع البحر ميناء جميلاً ومرساة المدينة المنورة يوجد فى تلك المدينة فرقة من جنود المشاة وبعض أفراد المدفعية.

ولما كان ينبع البحر محرومًا من المياه العذبة مثل جدة فالأهالى يشربون من مياه الأمطار المحفوظة فى الصهاريج ومن مياه الآبار غير العذبة المحفورة على طريق سيل بعيد عن بلدة (سهيلى) بأربع ساعات أو ثلاث.

ينبع النخل:

تقع هذه المدينة على الجانب الشرقى من ينبع البحر وعلى بعد ست ساعات منها وهى عبارة عن عدة قرى.

(١) خمس مراحل بسير الجمل.

ولما كانت حول كل قرية مياه جارية فلسكانها بساتين وحدائق ونخيل لا يعد ولا يحصى سميت تلك القرى (ينبع النخل) ومن كثرة مياه ينبع النخل أنها بعدما تسقى الحدائق والبساتين يجرى الفائض منها عبثًا.

ويمكن إجراء إحدى هذه المياه إلى ينبع البحر بصرف بعض المبالغ إلى ينبع البحر، إلا أنه لم يظهر إلى الآن شخص يبذل جهوده فى سبيل هذا الخير.

رابـغ:

رابغ على شاطئ البحر الأحمر بين جدة وينبع البحر وهو مرساة صغيرة، وعلى بعد شمالى جدة بسبعة أميال بحراً وعلى بعد ثلاثين ساعة براً.

ورابغ قرية تتكون من مرفأ وجامع وعدة دكاكين مبنية من سعف النخيل أما سكانها فموظفو الحجر الصحى والجمرك وعدة رجال للشرطة، وعدة فلاحين للبساتين وأصحاب الفلايك، والقوارب.

ومدينة رابغ الأصلية على الجانب الشرقى من المرساة وعلى مسافة ساعة منها، ولها قلعة متينة وسبع آبار وعشرة صهاريج وخمسة جوامع وستون دكانًا و١١٦ منزلاً وعدد سكانها ٣٦٩ نسمة.

ولما كانت تلك المدينة فوق وادٍ رملى منبسط وعلى مسار السيل فأنَّى تَحْفُر يخرج ماء صالح للشرب، ولكنها خالية من المياه الجارية وقد زينت أطرافها الأربعة بالبساتين وأشجار النخيل والموز. ويبلغ عدد سكانها ما يقرب من ألفين إلا أن كلهم يعيشون فى حالة بدوية.

ويبعد موقع المدينة عن مكة أربع مراحل براً وعن المدينة المنورة ست مراحل. والحجاج المسلمون الذين يتحركون سواء أكان من مكة المكرمة أو من المدينة المنورة إذا وصلوا إلى هذه المدينة فإنهم يقيمون فيها يومًا أو بعض أيام للراحة. وليست المدينة ميقاتًا للحجاج الواردين من الأطراف أو غيرهم، فالذين يذهبون من المدينة إلى مكة المكرمة وحجاج وقوافل مصر والشام يحرمون فى هذا المكان.

لما كانت مدينة رابغ ممر محامل قوافل الشام ومصر فالذخائر اللازم إعطاؤها للمحامل تحفظ فى داخل المخازن التى فى القلعة وهناك مجموعة من العساكر السلطانية وبعض المدافع مع أنفارها.

خيبر:

باللغة اليهودية بمعنى قلعة، لأن الأهالى عندما يذكرون قلاعهم يقولون عنها خيابر.

وعلى رواية أن أخا الشخص الذى بنى مدينة يثرب أولاً وهو يثرب وكان يسمى (خيبر) وكان هذا الشخص بانى قلعة خيبر لذا سميت هذه المدينة (بخيبر).

مدينة خيبر:

لما كانت مدينة خيبر تشتمل على مياه جارية ومزارع كثيرة وأشجار النخيل وحقول الشعير والقمح كانت فيما مضى مدينة كبيرة. أما اليوم فهى خالية من العمران، وسكنتها زنوج تسلسلوا من نسل العبيد الذين أعتقوا يبلغ عددهم نحو ألف نسمة.

ولما لم تسلك طرق المياه الجارية من القديم ولم تظهر مجاريها تكونت هنا وهناك برك من المياه الراكدة، ولم يدر سكانها أن جودة الهواء قد اختلت من تعفنات المياه الراكدة فأثرت فى قواهم الجسمية، وانصرف كل واحد منهم إلى غيرها كى ينجو من الحمى وابتعدوا عن وطنهم.

ومازالت علة الحمى تنتشر بشدة فى تلك الأراضى إلا أنهم يروون أن هواءها ومياهها صالحة لسكانها السود. وهذه الرواية تصدق أن الزنوج يعيشون حيث يختل الهواء ويتعفن.

ويأتى إلى القرية فى مواسم الخريف حينما يطيب البلح الكثير من العربان ويقيمون فى داخل القرية وحولها، وعندما ينتهى موسم البلح يعودون إلى منازلهم وينبت فى خيبر القمح والشعير بكثرة.

إذا ما وجد حل للعفونة والتخلص منها أى إذا ما طهرت مجارى المياه التى تعطلت، وفتحت أماكنها التى امتلأت عندئذ يطيب هواؤها، وسيرغب فى سكناها العربان الذين يرغبون فى حياة مدنية ويشغلون بالزرع والحرث عندئذ سيعود لخيبر عمرانها الذى فقدته وإننا نطلب من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يخلق أسباب ذلك.

الحناكية:

الحناكية قرية تقع على ثلاث مراحل فى الشمال الشرقى للمدينة المنورة.

وإن كانت هذه القرية فيما مضى قرية مشهورة معمورة وكانت لها قلعة صغيرة وعدة منازل.

وهواؤها لطيف، وأراضيها فى غاية الخصوبة وهى فى نهاية حدود الأقطار الحجازية وقطعة نجد.

كانت قلعتها أشرفت على الخراب فعمرت فى ظل عون السلطان وزيدت قوتها العسكرية.

ولما كانت خصوبة أراضيها تامة ولما كانت مياهها فى عمق الأرض البسيطة بقامتين جذبت إليها العربان من الأطراف والأكناف حيث استوطنوا واشتغلوا بالزراعة والحرث راغبين فى حياة مدنية، ومازالوا يأتون إليها.

إخطار:

وستذكر فيما بعد وحسب المناسبة قبائل العربان ما عدا الذين يسكنون فى بلاد الحجاز المشهورة.

بعض أحوال الأراضى الحجازية

ومحاصيلها الداخلية وطريقة معيشة سكانها وصورة إدارتهم

أكثر أراضى الخطة الحجازية عبارة عن الجبال المكونة من الحجارة والوديان الرملية وصحارى مترعة، ومابين الجبال.

ولا تمطر السماء فيها فى أكثر مواسمها، لذلك فمحاصيلها الداخلية ليست بالدرجة الكافية لسكانها، كما أن جبالها وصحاريها غير صالحة لإنبات العشب، وتنمية محاصيل تكفى الحاجة.

وإن كانت فى داخل تهامة وفى الأماكن المستوية من الجبال أراض منبتة ومياه جارية، وإن كان ما ينبت فى هذه الأماكن مشهور فى داخل الأراضى الحجازية، إلا أن ضرورات الأهالى فى الحبوب وغيرها تأتى من بومباى، ومصر والبصرة وبغداد ومحاصيل القطعة المباركة المحلية هى: (البلح، زيت البلسم، الصمغ العربى، سنامكى، الحنة، الخوخ، البرقوق، التفاح، المشمش، الكمثرى، التوت، السفرجل، العناب، التين، اللوز، التمر الهندى، عين الجمل، العنب، الموز، الشمام، البطيخ، ليم البرتقال، الليمون، شمام الشجرة، خيار، الليمون الحلو، الأجور، التين الأفرنكى، الكوسة، الخرشوف، البصل، البامية، الملوخية، الثوم، الطماطم، الفاصوليا، الباذنجان، الكراث، الكرنب، وغيرها ومن الحيوانات الأغنام وسائر الحيوانات مثل (الجمل، المعز، الخيل، الحمار، الفرس، البغل، البقرة الهجين، الثور) ومن **الحيوانات المتوحشة**: (المعز الجبلى، الحمار الوحشى، البقر الوحشى، القرد، الذئب، والغزال، الضبع، والثعلب،

والفهد) ومن الطيور: (الدراج، البط، الدجاج، اللوز، اليمامة، الحجل، النعامة، مالك الحزين، الحبارى، الديك الرومى، الحمام، الهدهد، الغراب، عقاب النسر بأنواعه، وينبت فى جبل كرا (الزيتون البرى، شجر العرعر، اللوز البرى، الياسمين البرى) وفى جهات تهامة أشجار (التمر الهندى، التوت، البلح، والحنة، الطرفاء والبنج)

جبل (كراء):

جبل ضمن سلاسل جبال يطلق عليها (سراة) فى الجهة الشرقية من مكة المعظمة وعلى بعد اثنتى عشرة ساعة منها وقمته ترتفع عن سطح البحر بألفى متر.

وبما أن أكثر أماكن سلسلة جبال (سراة) صخرية تخلو من النباتات والأشجار، إلا أن بجبل كرا غابات جميلة ومياه جارية ومواقع ذو هواء صحى جيد.

ومواسم الحجاز تنقسم إلى قسمين:

أحدهما جاف والآخر ممطر. وإن كان فصل المطر يجعل الأراضى تخضر فجأة، إلا أن هذا الاخضرار لا يدوم طويلاً لسخونة هوائه التى تدوم طويلاً.

والرياح التى تهب فى هذه البلاد شديدة ومضرة للإنسان، إلا أن رياح السموم أكثر ضرراً من الرياح الأخرى.

والعربان الذين يعيشون بين الجبال ولا سيما العربان الذين يعيشون فى سهل تهامة يعيشون بزراعة (الدخن والذرة) والذين يعيشون على الساحل الحجازى للبحر الأحمر يقتصر نشاطهم البشرى على صيد السمك.

وفى البحر الأحمر أسماك غريبة الشكل وأنواع طيوره ضخمة الأجسام وسلاحفه ضخمة. حتى إن أكثر سكان (جدة، رابغ، وينبع البحر) يأكلون المخلوقات البحرية، ولا سيما الأسماك بدلاً من الخبز، ومعيشتهم تتوقف على ما يصيدونه من الأسماك. أما فى سواحل اليمن فليس للأسماك أهمية كبيرة، وما

يصطادونه من الأسماك يخفضونها ويعلفون بها الحيوانات بدلاً من العشب والتبن.

ويُخرج سكان جدة والشواطئ الأخرى أصدافًا من البحر، ويبيعونها للتجار وقد تُعثر فى داخل هذه الأصداف على الدر النادر كما أن اليسر الذى يستخدم فى صناعة المسابيح وفلاتر السجائر يستخرج من هذا البحر.

الوجهة الرابعة

تشتمل على ست صور

تعرف الطرق الرئيسية بالجزيرة

فى تعريف الطريق الذى يقع بين الحرمين والذى يعرف بالطريق السلطانى

بما أن أهل الإيمان الذين يذهبون ويأتون إلى ومن مكة المكرمة لأداء فريضة الحج يذهبون أيضًا لزيارة الحجرة النبوية المعطرة والروضة المطهرة النبوية «على ساكنها أفضل التحية»، ولما كانت الطرق التى تؤدى إلى المدينة متعددة كما أن بعضها مفزع، وغير خال من المخاطر[1]، رأينا من الواجب ذكر الطرق التى بين الحرمين.

الطريق السلطانى:

أول مقر مبيت واستراحة للذين يخرجون من مكة المكرمة القرية المشهورة بوادى فاطمة، وهذه القرية على بعد ست ساعات من مكة المكرمة بسير الجمال، ولها مياه جارية كثيرة وبساتين كثيرة ونخيل وأشجار أخرى وحدائق. وما يباع فى مكة المكرمة من الليمون واللارنج والخضر المتنوعة غالبًا ما تزرع وتنبت فى هذه القرية.

والمرحلة الثانية للخارجين من مكة (بئر عسفان) والاسم الآخر لهذه المرحلة (بئر التفلة). ومرحلة بئر عسفان على مسافة اثنتى عشرة ساعة من وادى فاطمة ومياه آبارها فى غاية الخفة والعذوبة والبئر التى اختلطت مياهها بريق النبى ﷺ فأصبحت أعذب من مياه النيل والفرات والأنهار الأخرى بل تغبطها مياه الكوثر والتى يسميها العرب (بئر التفلة) فى هذا المكان.

(١) ومن الأصول المرعية يجب أن تسير القوافل من الطريق الذى يراه أمير مكة ووالى ولاية الحجاز مناسبًا والعودة من نفس الطريق الذى أتوا منه.

والذين يقومون من بئر التفلة يصلون إلى قرية (خليص) بعد ثمانى ساعات. وتبعد قرية خليص من مكة المعظمة ثلاث مراحل ولها مياه جارية كثيرة وآبار متعددة، وتشتمل على بساتين كثيرة ونخيل والقوافل التى تنتقل بين مكة والمدينة لا تظل فى مرحلة خليص إلا قدر التزود بالمياه ثم تتحرك نحو (قضيمة).

وقضيمة المرحلة الرابعة وبينها وبين خليص اثنتا عشرة ساعة، ولمرحلة قضيمة ثلاث آبار إلا أن مياه آبارها مالحة قليلا لقربها من شاطئ البحر ولما كانت هذه القرية وفيرة الأسماك فالمسافرون يسرون منها.

والذين يقومون منها يصلون إلى (رابغ) على بعد ست عشرة ساعة من قضيمة. وإن كانت المسافة بين مكة المكرمة إلى رابغ تخلو من الجبال المرتفعة، إلا بعض التلال الصغيرة فيمكن أن يرى من أكثر أماكن هذا الطريق البحر.

ومدينة رابغ قريبة من شاطئ البحر، ولما كان الطريق من قضيمة إلى رابغ رمليًا مستويًا فالسير فيه سهل مريح.

والطرق التى من مكة المعظمة إلى المدينة المنورة تتفرع من رابغ، وتتعدد ويطلق على أكثر هذه الطرق زحامًا (الطريق السلطانى).

وأول مرحلة للطريق السلطانى بعد القيام من (رابغ) موقع (المستورة) الذى يبعد عن رابغ ست ساعات.

وهذه المرحلة فى وسط الصحراء التى يطلق عليها (سهل القرد)، ولها بئران أحدهما عذوبته مقبولة والآخر مائلة إلى الملوحة.

وبعد القيام من مرحلة المستورة يوصل إلى مرحلة يقال لها (بئر الشيخ)، ولها اثنتا عشرة ساعة من بئر الشيخ. وبين هاتين المرحلتين بئر منسوبة إلى (ابن حصانى) وهى بئر مشهورة.

صفـراء:

قرية كبيرة وسكانها خمسمائة نسمة وكلهم بدو، وللقرية المذكورة مياه جارية وبساتين متعددة. إلا أن مغروساتها النخيل وأشجار الليمون والحنة.

وبعد صفراء بثلاث ساعات قرية (حمراء) وفيها مثل قرية صفراء مياه جارية وحدائق، ولما كانت هذه القرية تنتج أحسن أنواع الحنة وزيت البلسم فالحجاج والمسافرون يشترونهما من هذه القرية.

إخطار:

لما كان العربان قد تعودوا على خلط زيت البلسم بالصمغ العربى والماء ليبيعوه بثمن رخيص حتى لا يستكثر المشترون ثمنه، لهذا يجب الانتباه لهذا الموضوع. ويعرف الخالص من زيت البلسم عن مغشوشه بإدخال عود فى داخله وإحراق هذا العود بتقريب عود ثقاب منه فإذا احترق ما على العود من الزيت ملتمعًا ثم ينطفئ من نفسه كان خالصًا أما إذا كان الزيت مغشوشًا يحترق مع الزيت العود أيضًا.

والقوافل التى تقوم من صفراء لا تقيم أكثرها فى حمراء، ويسيرون حتى محل يقال له (جوبة جية) فى أول مضيق (جديدة) وما بين هاتين المرحلتين ست ساعات وفى مرحلة المبيت ماء جار أيضًا.

وبعد حوبة جية يذهب إلى مرحلة (بئر عباس)، ومرحلة بئر عباس على مسافة خمس ساعات من جهة المدينة المنورة من (حوبة جية)، وعند الذهاب نحو هذه المرحلة يمر من مضيق (جديدة) المشهور، وبين هاتين المرحلتين قريتان صغيرتان.

والذين يقومون من بئر عباس يصلون إلى (بئر شربوفى) بعد اثنتى عشرة ساعة، وهنا أيضًا بئر ذات مياه فى غاية العذوبة.

والذين يستأنفون السير من بئر شربوفى يصلون بعد أربع ساعات إلى موقع (الشهداء) وفى هذا المكان بئر ذات مياه عذبة.

والمسافة بين هذه المرحلة والمدينة المنورة أربع عشرة ساعة. ويستقبل أهالى المدينة الكرام الحجاج والزوار الواردين من مكة المعظمة فى البساتين التى تسمى (بيار على)، والتى تقع على بعد ساعتين من جهة مكة المكرمة.

وليس النزول والقيام فى هذه المرحلة عادة متبعة، فالجمالون إذا أرادوا يسيرون مبيتين فى جميع المراحل أو يتزودون بالمياه حيث الآبار، ثم يبيتون فى الأماكن الخالية من الآبار. ولكن من العادات القديمة الدخول فى المدينة المنورة فى اليوم السادس بعد القيام من رابغ.

وإن كان الطريق المذكور طريق المحامل الشريفة وقوافل الحجاج من القديم وذات مياه وافرة، وخال من الطلوع والنزول. إلا أنه محاط بسلسلة الجبال من الطرفين ابتداء من مرحلة (بئر عباس) التى مر ذكرها آنفًا، كما أن به مضايق ضيقة وتعود بعض عربان (بنى حرب) سد هذه المضايق معتدين على القوافل التى تمر بها، وينهبون أموال أفرادها بل يسلبون أرواحهم أحيانًا؛ لذا يفضل مواكب الحجاج وقوافل الزوار الذهاب إلى ذلك المكان مضطرين عن طريقى (فرع وغاير) وهذان الطريقان قد افتتحا منذ بضعة أعوام بعون السلطان.

فى تعريف الطريق الذى يطلق عليه (الفرع)

وأحد الطرق التى تفضى من رابغ إلى المدينة المنورة الطريق الذى يطلق عليه (فرع). والمسافرون الذين يخرجون من رابغ بشرط السير عن طريق فرع يصلون أول مرحلة إلى موضع يطلق عليه (بئر رضوان). وهذه المرحلة على بعد اثنتى عشرة ساعة من رابغ ولها بئران مياههما عذبة.

ويروى أن بئر رضوان تبعد عن رابغ ثلاث عشرة ساعة؛ ولكن الصحيح أنها تبعد اثنتى عشرة ساعة فقط. ويقسم بعض الجمالين هذه المرحلة إلى اثنتين، إذ يعدون (ظهر العقبة) المرحلة الأولى و (بئر رضوان) المرحلة الثانية ويبعد ظهر العقبة عن رابغ سبع ساعات.

ويبلغ إلى قرية (أبو ضياعة) بعد بئر رضوان باثنتى عشرة ساعة ويطلق عند البعض على أبى ضياعة (أم ضياعة) ويروون أن الجمال سليمة البدن تستطيع أن تقطع هذه المسافة فى ثمانى ساعات. وهذه القرية ذات مياه جارية وحدائق متعددة، ولكن مغروساتها أشجار النخيل فقط.

والذين يقومون من أبو ضياعة يصلون إلى قرية (ريان). وهى على بعد عشر ساعات من أبو ضياعة. وبين هذه القرية وأبو ضياعة قريتا (أم العيال) و (مضيق) وفيهما مياه جارية وحدائق متسعة.

ويبلغ بعد ريان إلى مرحلة (صمد) على بعد ثمانى ساعات وبئرا (أعضب) و (رخيص) ذواتى مياه عذبة لذيذة بين هاتين المرحلتين.

والذين يقومون من مرحلة صمد يصلون إلى مرحلة (مَجزْ) وهنا حفرة بركة تسمى (غدير)، وعندما ينزل المطر تتراكم مياه السيول فى هذه البركة.

وبعد (مجز) يوصل إلى مرحلة تسمى (بئر ماشى)، وبين هذه المرحلة ومجز اثنتا عشرة ساعة، ولمرحلة (بئر ماشى) بئر ذات مياه عذبة.

وتحتفظ حكومة المدينة المنورة بعدد من عساكر الشرطة فى هذه المرحلة حتى تحمى المسافرين من هجمات أشقياء العربان. والمسافة بين بئر ماشى والمدينة المنورة ثمانى ساعات ويتصل طريق (فرع)، الذى نعرفه بالطريق السلطانى قبل الوصول إلى (بيار على) التى تبعد عن المدينة المنورة بساعتين.

وبعد مغادرة رابغ بأربع ساعات يحيط الطريق من الجانبين إلى المدينة المنورة سلسلة من الجبال ذات مضايق مخيفة، إلا أن قبيلة بنى عوف التى تسكن بجانب هذه الجبال ليسوا من شرار القبائل كقبيلة بنى حرب التى تسكن بجانب الطريق السلطانى، لذا قلما تقع من أفراد قبيلة عوف اعتداءات وظلم على القوافل التى تمر من هذه الطريق؛ لذا تفضل المحامل الشريفة وأكثر القوافل السير فى طريق (فرع).

(١) بلاط ومثنى اسما بلقا الآخران.

فى ذكر طريق المدينة المنورة الذى يسمى بـ (غاير)

والطريق الثالث من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة الطريق الذى يسمى بغاير).

ويمكن أن يوصل من هذا الطريق إلى المدينة المنورة فى خمسة أيام إلا أن المرور من جبل (غاير) المرتفع فى غاية الصعوبة بالنسبة للجمال المحملة عند الصعود والنزول، فكلما كانت الطرق الأخرى مأمونة من تسلط الأشقياء لا يرغب الجمالون فى المرور من هذا الطريق.

مع أن هذا الطريق بالنسبة للطريق السلطانى وفرع أقصر منهما لذا يفضل راكبو الخيول والهجين والمترجلون السير فى هذا الطريق.

ومن الروايات الموثوقة أن سيد البشر ﷺ قد شرف المدينة المنورة فى سنة هجرته الميمونة من هذا الطريق.

وبعد أن يخرج من رابغ ويقطع مسافة اثنتى عشرة ساعة يبلغ إلى مرحلة (بئر مبيرك) وإن كانت فى هذه المرحلة بئر واسعة إلا أن مياهها مالحة قليلاً.

الذين يقومون من مرحلة بئر (مبيرك) يصلون بعد اثنتى عشرة ساعة إلى مرحلة (رصفه) وإن كانت أراضى هذه المرحلة ذات مياه فالحفر التى يطلق عليها (أشمة) تغنى المسافرين عن الآبار.

ومن مرحلة رصفه السالفة الذكر إلى سفوح جبل (غاير) تبلغ المسافة ست ساعات، ويظهر غالبًا فى سفوح هذه الجبال ماء جار.

ويصعد من سفح جبل غاير إلى سطحه فى ثلاث ساعات وفى الجهة الشرقية

على بعد نصف ساعة من سطح الجبل بئر معروفة باسم (رصد). والمسافة بين أول سطح جبل غاير إلى مرحلة (بئر ماشى) اثنتى عشرة ساعة. ويتصل هذا بالطريق الشرقى فى هذا المكان.

والمسافة من بئر ماشى إلى المدينة المنورة ثمانى ساعات وفى هذه المسافة عدة آبار ذات مياه شديدة العذوبة.

فى تعريف الطريق الشرقى بين المدينة المنورة ومكة المعظمة

الطريق الشرقى طريق متسع. وعندما تشتد حرارة الشمس يتسلط أشقياء العربان على طريق (جديدة)، ولقد سارت المحامل الشريفة والقوافل الأخرى من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة وبالعكس من هذا الطريق. ولما كان هذا الطريق يقع على الجانب الشرقى من الحجاز فقد عرف (بالطريق الشرقى).

والمسافرون الذين يخرجون من مكة المكرمة سالكين الطريق الشرقى يصلون إلى قرية (وادى الليمون) بعد مرور أربع عشرة ساعة. ولمرحلة وادى الليمون بئر على بعد أربع ساعات من مكة المكرمة يسمى (برود) ذات مياه عذبة، وفى أغلب الأوقات تتجمع القوافل بجانب هذه البئر ثم تذهب إلى وادى الليمون.

ولمرحلة وادى الليمون مياه جارية متعددة وكثير من حدائق أشجار الليمون واللارنج. ويصل الخارجون من هذه المرحلة بعشر ساعات إلى مرحلة يطلق عليها (ضريبة)، وتوجد بها مياه فى الحفر التى تسمى (أشمة). ويواصل السير من هذه المرحلة إلى (بركة زبيدة) وتبعد هذه المرحلة عن (ضريبة) عشر ساعات، وإن لم تكن لهذه المرحلة بئر مشهورة، إلا أن لها بركة تُملأ بمياه السيول.

والمسافرون الذين يقومون من مرحلة (بركة زبيدة) يصلون بعد اثنتى عشرة ساعة إلى قريتى (حادة وفرع) ولهاتين القريتين آبار متعددة.

وبعد القرى المذكورة مرحلة (السوارقية)، والمسافة بينها وبين قريتى حادة وفرع ثمان ساعات. ولما كانت (السوارقية) ذات آبار متعددة فسادات بنى حسين يسكنون بها. وبعد (السوارقية) يوُصل إلى مرحلة (الحجرية) والمسافة بين

السوارقية والحجرية عشر ساعات وبهذه المرحلة آبار متعددة أيضًا. والذين يقومون من مرحلة الحجرية يصلون بعد اثنتى عشرة ساعة إلى مرحلة (غراب). ومرحلة غراب ذات مياه وفيرة بحيث لو تحفر أى مكان فيها قدر ذراع أو اثنين تتفجر مياه عذبة.

وبعد هذه المرحلة يدخل فى مضيق يسمى (خنق) والمسافة بين مرحلة خنق ومرحلة غراب تدوم ثلاث عشرة ساعة. وفى مضيق خنق بركة[1] متسعة تكونت من مياه الأمطار المتجمعة، ومن هذه البركة إلى المدينة المنورة اثنتا عشرة ساعة.

وإن كان الطريق الشرقى خال من سلاسل الجبال وأكثره أماكن منبسطة إلا أن المسافة التى بين مرحلة (خنق) وبين المدينة المنورة مسافة اثنتى عشرة ساعة محاطة بالجبال كالطرق الأخرى.

(١) ولا تنقص مياه هذه البركة فى أى وقت من الأوقات.

فى تعريف طريق ينبع البحر
ميناء المدينة المنورة

عندما يتحرك الإنسان من ينبع البحر ـ ميناء المدينة المنورة ـ إلى البلدة المسعودة (طيبة) أول ما يقابله (بئر سعيد).

وهذا المكان على بعد ست عشرة ساعة من ينبع البحر به بئر عذب الماء. وبعد مرحلة بئر سعيد إلى قرية (صفراء) على بعد عشر ساعات منها حيث يتصل الطريق السلطانى بطريق (ينبع البحر).

وقد ذكرت المراحل التى بين الطريق السلطانى والمدينة المنورة فى بحث الطريق السلطانى فلا حاجة لتكرارها مرة أخرى. والمسافة بين ينبع البحر والمدينة المقدسة بسير الجمل خمس مراحل.

ولما كان بين رابغ وينبع البحر ميناء آخر يعرف بـ (رايس) فالمسافرون الذين يذهبون بحرًا ينزلون أحيانًا فى ميناء رايس ثم يتجهون إلى المدينة المنورة.

والذين يقومون من ميناء رايس يصلون بعد مرور ثمانى ساعات إلى قرية (بدر) المباركة وبعد خمس ساعات إلى قرية (صفراء) والصحابة الكرام الذين استشهدوا فى غزوة بدر الكبرى مدفونون فى ساحة قرية (بدر) ويتصل طريق ميناء رايس فى قرية صفراء بالطريق السلطانى فلا لزوم لتكرار المراحل التى بعدها.

وما بين المدينة المنورة وميناء رايس طريقٌ منبسط مستوىً يسمحُ بالسفر بالعربات، إلا أن تسلط العربان حال دون استخدام العربات.

فى تعريف الطرق الأخرى
التى تؤدى إلى مكة المعظمة

إخطار:

لمكة المفخمة سبع طرق أخرى. وكانت قوافل الممالك الإسلامية تستخدم هذه الطرق.

١- طريق الشام.

أحد الطرق السبعة المذكورة. طريق (الشام): وكان محمل الشام يسلك هذا الطريق بعد أن يودع أمير الحج قافلة الشام فى الخامس عشر من شوال حسب الأصول من قبل والى سوريا، ومن قبل مشيرية الجيش الخامس السلطانى، وما رتب من موكب عظيم تخرج القافلة بكل عظمتها من الشام إلى (قبة الحاج)، ومن هنا إلى (الكسوة) ثم تأخذ الحجاج المجتمعين فى (مزيريب)، وتنهض متوجهة إلى مرحلة (خان ذى النون). وكان فى الأوائل يطبخ للحجاج حساء الفتة على حساب وقف ابن الحصن فى خان ذى النون، كما كان يؤخذ من الحجاج بعض النقود لتوزيعها على الحراس.

وكانت القافلة التى تقوم من خان (ذى النون) تمر بموقع يدعى (خان الزيت) ويدخلون فى مرحلة (خيمن) وتلك المرحلة المذكورة ما هى إلا قرية ابن تركمان قواص. وكانت هذه القرية ذات مستنقعات كثيرة وكانت فيها أنواع الطيور وعيدان البوص وديدان العلق، وكانت الديدان التى يتعالج بها أهل الشام تحضر من هذه القرية.

والقافلة التى تتحرك من (خيمن) تصل إلى (تل فرعون) ومن هناك تصل إلى موقع (غباغب). وفى غباغب قلعة من آثار السلطان سليم وحمايتها تخص ابن قواص وأحفاده.

وحماية طريق الحج الذى يمتد من (ذى النون) إلى (خيمن) وحراسته خاص كذلك بابن قواص وأحفاده.

والذين يقومون من (غباغب) يصلون إلى ماء (ديلة) ومن هناك إلى (مزيريب) ومن العادات القديمة المكوث قليلاً عند ماء (ديلة) لإراحة الجمال.

ومزيريب اسم بئر مشهورة فى داخل إقليم حوران، وقد بنى المرحوم السلطان سليم بجانب مزيريب قلعة لحماية الحجاج وجعل لحراستها بعض الجنود.

وبما أن هذا المكان مأمون من هجمات العربان واعتداءاتهم فمن العادة أن يقيم الحجاج مع المحمل الشريف فى هذا المكان عدة أيام، ويتاجرون مع التجار الذين يأتون من الأطراف.

والقافلة التى تقوم من قلعة (مزيريب) تصل إلى مرحلة (كتيبة) التى تقع إلى الجنوب قليلاً ولهذه المرحلة آبار كثيرة ومياه جارية، وبما أن هذه المرحلة فى سمت مخالف لا يبيت فيها الحجاج، ويستمرون فى السير حتى (أذرعات).

وأذرعات قرية فى جهة حوران. وإن كان أمام هذه القرية بنصف منزل محل (مبيت) ولما كان بعيداً عن الماء وعن الطريق ومنعزلاً فى مكان مستو وملتقى السيول فلا يبات هنا ويذهب إلى قرية أذرعات.

والقافلة التى تخرج من قرية أذرعات تستمر فى السير إلى (زرقاء) ومن هناك تصل إلى (أزرق). وزرقاء قرية بها مياه جارية وفى أزرق قلعة خربة. ولها كثير من النخيل والمكان الذى تبيت فيه القافلة مياه وفى الشرق الشمالى على مسافة يوم واحد من زرقاء.

والذين يتحركون من أزرق يواصلون سيرهم إلى منزل (عمرى) و (بلقا) ولمنزل عمرى طاحونة ذات حجرين على طريق (دومة) وفى الجهة الشرقية منها يديرها ماء جار يأتى من عمان ويجرى نحو جهة غور بلقا[1] فى أقصى جنوب الولاية السورية. وبين خط العرض الشمالى ٣٣ واثنتى عشرة دقيقة ودرجة واحدة لخط الطول الشرقى، ولكن مرحلتها التى تنزل فيها القوافل عديمة المياه ومنعزلة.

والقوافل التى تتحرك من (بلقا) تصل إلى مرحلة (قطران) بعد المرور من سبع عقبات. وبعد الخروج من هناك يتوصل إلى منزل (الحسا).

وقد بنى السلطان سليمان فى مرحلة قطران قلعة وأرسل خمسة عشر ألف فيلورى؛ لتطهير بركتها التى امتلأت بالتراب واستوت بالأرض.

وعندما لا تجد القوافل ماء فى بركة (قطران) يبيتون فى جسر (لجون) الذى يقع على الطرف الغربى من المرحلة المذكورة وفى جهة الشمال الشرقى من مرحلة الحسا قريتا (كرك وشوبك) ولما تكون قوافل الحجاج فى الحسا ترسل مؤنتهم من هاتين القريتين.

وإن كانت (شوبك) بين الجبال فمياهها الجارية وسهولها كثيرة. وعلى الجبل الذى فى جهتها الغربية خان وبئر وجسر قريب من الخان.

كـرك:

مدينة تابعة لمركز (بلقاء) الشام إلا أن مركز حكومتها فى قرية (الكرك) التى تبعد عن نابلس خمس أو ست مراحل. وأراضيها منبتة وخصبة إلا أن سكانها عربان وعشائر غير متمدنة، ويبلغ عدد سكانها ثمانية آلاف نسمة ستة آلاف منهم مسلمون والباقى مسيحيون.

والذين ينهضون من الحسا يتجهون إلى (ظهر عنيزة) ومن هناك إلى قلعة (معان). وإن كان الطريق الذى بين الإحساء وعنيزة متعرجًا فإنه ليس بمخيف

(١) بلاط ومثنى اسما بلقا الآخران.

لظهور حدائق عنيزة للعيان من (شوبك). ومرحلة معان تابعة لناحية الشراة وكان هذا المكان قديمًا مأوى ومساكن رجال بنى أمية. وللسلطان سليمان فى هذا المكان قلعة وبئر. وإن لم تكن مياه البئر مقبولة إلا أنها تزيل عطش المسافرين.

ويتجه من قلعة معان إلى (ظهر العقبة) ومن هناك إلى (ذات الحج). واسم ظهر العقبة الأخر (عبادان). وإن كانت مرحلة عديمة المياه إلا أن بلح (طبيليات) المشهور ينتج هنا. واسم ذات الحج الآخر «حجر» وللسلطان سليمان قلعة أخرى فى هذا المكان، ومياه هذا المكان تتكون من الأشم وسكان القلعة المذكورة يجرون مياهها، ويزرعون فى مجاريها بذور البساتين حيث تنمو أجود أنواع الفواكه، وأنواع البلح البرى فى هذا المكان. والحجاج الذين يقومون من هذا المكان يتجهون إلى قلعة (قاع البسيط) ومن هناك إلى تبوك.

ومرحلة قاع البسيط فى مكان رملى واسمها الآخر (عرابد) والقمة التى يطلق عليها العرب فى وسط هذا المكان الرملى هى (شرورا) ومنزل تبوك يكثر فيه البلح وللسلطان سليمان قلعة حجرية أخرى فى هذا المنزل.

معجزة:

أخذ قائد المجاهدين النبى ﷺ فى غزوة تبوك الجليلة من ماء نهر تبوك ونثره إلى نهير راكد المياه ففاض ذلك النهر، وأخذت تجرى مياهه كالشلالات وماتزال مياهه جارية إلى الآن. وبالقرب من تبوك[1] غدير كبير. والذين يتحركون من تبوك يذهبون إلى منزل (مقابر قلندرية) والذين ينهضون منه يذهبون إلى مرحلة (أخيضر)[2].

(١) اسم تبوك الآخر (البلح العاصى).

(٢) منزل أخيضر فى منتصف طريق مكة المعظمة والشام.

والمقابـر:

ومقابر القلندرية ربوة صغيرة عديمة المياه. وأخيضر منزل متسع فى وسط الجبال وقلعته تحت إدارة حكومة الشام. وهناك ثلاث برك متصلة بالقلعة وسكان القلعة يخرجون المياه من الآبار التى فى داخل القلعة ويملئون تلك البرك.

وبنى قلعة أخيضر (طريان بن قراجا) شيخ عربان قبيلة بنى حارثة بناء على الأمر الذى صدر لوالى الشام مصطفى باشا فى سنة ٩٣٧ فى أوائل جلوس السلطان سليمان. لأن عربان بنى لام وبنى عقبة كلما كانوا يرفعون راية العصيان كانوا يسدون البئر ويفرغون البرك.

وكانت القوافل تتجه من منزل أخيضر إلى (بركة المعظم). ومن هناك إلى مرحلة (مغارش الزير) وبعد ذلك يبلغ إلى (جبل الطاق).

بركة المعظم:

بركة المعظم حوض كبير حفر فى وسط الصحراء ليملأ بمياه السيول، وتظل من غير مياه عند انقطاع الأمطار. ويروون أن هذا الحوض من آثار الملك المعظم عيسى من ملوك بنى أيوب.

مغارش الزير:

ويطلق عليها أيضًا (فرح وأفرع)، وهى تبعد عن جبل الطاق بنصف مرحلة فقط.

جبل الطاق:

وهو الموقع الذى عقرت فيه ناقة صالح (عليه السلام) وبعد أن تصل قوافل الحج إلى هناك تتجه شرقًا نحو (مبرك الناقة)، ثم من هناك إلى حجر.

الحجر:

اسم حجر الآخر (قرى صالح) وهذه القرى عبارة عن المنازل المنحوتة فوق الجبل وتلال الرمال. وإن كان فى هذا المنزل آبار كثيرة إلا أن شرب مياهه منهى عنه.

وقرى صالح موضع ذو جبال منخفضة[1] ورملية وجافة، وعندما مر النبى ﷺ بهذا المكان وهو ذاهب إلى غزوة تبوك نهى عن شرب المياه من آباره وأمر بالمرور منه سريعًا.

والحجر الأراضى التى يطلق عليها (ديار ثمود) وهناك منازل منحوتة فى هذا الجبل، والبقعة الشريفة التى يقال لها مسجد صالح محفورة فى مكان مرتفع كالصفة. وحول هذا المسجد الشريف أشياء عجيبة غريبة ظلت من عهد ثمود.

ويطلق على الجبل الذى فيه مرحلة حجر (أنان) وكان حضرة صالح بن عبيد بن أسفان ما شيخ بن عبيد بن ثمود[1] بن عابر بن أرم بن سام وأبناء عمومتهم ثمود جديس وعاد يسكنون بجوار الحجر، ويعبدون الأصنام فأرسل الله ـ سبحانه وتعالى ـ صالحًا نبيًا لهم يدعوهم إلى التوحيد. فطلب هؤلاء من صالح أن يخرج ناقة من صخرة.

وبناء على طلبهم خرج من الصخرة ناقة وولدت، وأصر بعضهم على كفرهم، وعينوا يومًا للناقة تشرب فيه، ولما كان رئيسهم (قدار) قد عقر ناقة صالح دخل ولد الناقة فى الصخرة واختفى، فأخبرهم بعد ذلك صالح أنهم سيهلكون بعد ثلاثة أيام، وانسحب صالح ـ عليه السلام ـ إلى بلده (الرملة) الفلسطينية حيث استوطن هناك.

وفعلاً أخذت الحجارة تنزل من السماء والعذاب بعد مرور ثلاثة أيام كما أخبرهم صالح، وهناك قوم ثمود كما ذكر فى الصورة الثانية من الوجهة الأولى.

وتذهب القافلة إلى نصف منزل من الناحية الجنوبية من مغارش الزير، أى تذهب إلى المكان الذى ثقلت فيه ناقة صالح ثم ينزلون من هناك إلى الحجر الذى فى الجانب الشرقى من مغارش ويمرون من هذا المكان صائحين ضاجين حتى لا يسمع صوت الناقة التى فى داخل الصخرة، لأن الجمال التى تسمع صوت الناقة تبرك رأسًا ولا تقوم بعد ذلك أبدًا.

(١) وقبائل الأفراد الذين ينتهى نسبهم إلى أبناء عم ثمود ينسبونهم إلى ثمود.

العـلا:

وتذهب القافلة التى تقوم من الحجر إلى موقع (العلا) فى الجهة الجنوبية لديار ثمود بنصف منزل.

والعلا تبعد عن المدينة المنورة ست مراحل، وتتبع المدينة من الناحية الإدارية، ولها مياه جارية وحدائق وقلعة. والأشياء فيها رخيصة. وكان السلطان سليمان قد جدد قلعتها. إلا أن بعض العربان نهبوا البلح فشكا سكان القلعة ذلك لوالى الشام؛ وبناء على ذلك بنى حصنًا ووضع نظامًا يأخذ بمقتضاه من كل نخلة درهم غلة، لينفق على العساكر. ويحكى أن الغلة رفعت فيما بعد إلى أربعين درهمًا على كل نخلة.

والذين يقومون من (العلا) يذهبون إلى (قطران أو طوامير) وهذا المكان عديم المياه وذو حجارة وصخور وصعب الاجتياز.

ومن هناك يبلغ إلى (شعب النعام) وإن كان هذا الموقع من غير مياه إلا أن مياه المطر المتراكمة حول الطرق تفى بحاجة الحجاج.

ويتجه من (شعب النعام) إلى مرحلة (هدية) ويحصل على المياه فى هذه المرحلة من الأشمات ولما كانت أعشابها (سنامكى) فهى تسبب الإسهال.

منزل الفحلتين:

وبعد مرحلة الهدية يوجد منزل (الفحلتين)، ويشمل منزل الفحلتين على ربوتين صغيرتين، وهو منزل خال من المياه وبجانبه جبل مرتفع فوقه حصن متين.

وبعد القيام من منزل (الفحلتين) يُتجه إلى (وادى القرى)، وبعده إلى (بيار حمزة) ومن هناك إلى المدينة المنورة[1] وفى النهاية إلى (بيار على).

ولا يوجد ماء فى وادى القرى إلا أنه مكان ذو أحراش وأشجار، و (بيار

(١) يوصل من الشام إلى المدينة المنورة فى ٢٤٧ ساعة فى اليوم الثالث والعشرين من ذى القعدة من كل عام.

على) عبارة عن عدة آبار منسوبة إلى سيدنا على ـ رضى الله عنه ـ وعمق هذه الآبار ثلاثة أبواع.

ولما كانت هذه المرحلة ميقات الإحرام، يحرم الحجاج فيها.

قبور الشهداء:

وتصل القافلة التى تتحرك من أبيار على إلي قبور الشهداء وبعدها إلى (جديدة) و (قبور الشهداء) مكان بين جبلين وتؤخذ مياهه من غدير يتكون من مياه الأمطار وعند انقطاع الأمطار يجف الغدير.

وجديدة قرية صغيرة فوق ربوة بين جبلين. ولها مياه كثيرة وحدائق وبساتين وبلح كثير وشمام وبطيخ. ويذهب الذين يقومون من جديدة إلى (بدر)، ومن هناك إلى (قاع البرو) ومن هناك إلى (رابغ).

وبين قرية جديدة ومرحلة بدر عدة قرى معروفة باسم (وادى خضر) ولناحية بدر مياه جارية وحدائق وبساتين مثمرة.

قاع البرو:

وقاع البرو سهل رملى خال من المياه. وإن كانت رابغ فى سهل رملى إلا أنها قريبة من البحر، لذا تخرج من تحت الرمال مياه عذبة حيثما حفرت. وله ابار، وبلح وبساتين كثيرة. والسمك الذى يسمى (علف الغنم) يخرج من هناك. وتسكن رابغ طائفتان إحداهما (روى) والأخرى (روى جماع) ولهما صرة خاصة.

طارق:

ويتجه من رابغ إلى (طارق)، ومن طارق إلى (عقبة السويق)، والقرى التى تسمى بلاد الطارق فى الجهة اليسرى من مرحلة طارق وتلك البلاد المذكورة فوق جبل معمور بالمزارع وأشجار اللوز.

وعندما ينزل الحجاج إلى مرحلة طارق فأهالى قرى بلاد الطارق يبيعون للحجاج اللبن الزبادى والزيت والحبوب المختلفة.

عقبة السويق:

وعقبة السويق فى طريق خليص. وما بين تلك العقبة المذكورة ومرحلة طارق فى غاية الوعورة وذات حجارة وصخور، إلا أن جهة العقبة المكية مستوية ولها بساتين كثيرة، وبئر وبركة جارٍ ماؤها.

ولما كان عربان (زبيد) ساكنين فى هذه الأمكنة فإنهم يأخذون الصرر خاصة حتى لا يعتدوا على القوافل.

عسفان:

والقوافل التى تتحرك من عقبة السويق تصل إلى المرحلة التى يطلق عليها (عسفان). وعسفان من الآبار المأثورة النبوية. وفى هذا المكان آبار كثيرة وبعض منها يوجد فى (مدرج عثمان) الذى يصادف الجهة الشرقية (لبطن مر).

أبو عروة:

وبعد أن تقوم القافلة من مرحلة عسفان تصل إلى قرية (أبو عروة) ومن هنا يُدخل إلى مكة المعظمة[1]، أو تقوم القافلة من عسفان، وتستمر نحو طريق البرقاء ومن هنا تدخل إلى مكة المكرمة عن طريق (وادى المر)[2].

والطريق المذكور على الجهة الشرقية التى عرفت إلى الآن. والذين يرغبون فى أن يسلكوا هذا الطريق يخرجون من الشام إلى (أره بانى بصره) ومن هناك إلى قلعة (الأزرق) ومن هناك إلى منزل (قراقر) ثم إلى مرحلة (قلته) ومن هذه المرحلة إلى (صبيحة) وبعدها إلى (تيماء) ومن تيماء إلى منزل (وادى الصوان)

(١) يوصل إلى مكة المكرمة من المدينة المنورة فى مائة ساعة وست ساعات.
(٢) والطريق من المدينة إلى هذا المكان تكتنفه المخاطر.

ومن هناك بطريق العلا السالف الذكر يذهبون إلى مكة المكرمة. من الشام إلى قلعة أزرق ومن هناك إلى مرحلة قراقر خمسة منازل وفى هذه المنازل قليل من الماء والبلح.

ومن قراقر إلى قلعة منزلان ومن قلعة منزلان إلى صبيحة كذلك منزلان ومن صبيحة إلى تيماء ثلاثة، ومن تيماء إلى العلا أربعة منازل ومن المحتمل أن يوجد مقدار من الماء فى كل منزل. وهذا الطريق عشر مراحل والمسافة بين مرحلتين سبعة وعشرين ميلاً، ومن مكة إلى المدينة طريق آخر وغالبًا ما يسلك أهل المدينة هذا الطريق.

سمحان:

والذين يسلكون هذا الطريق يقومون من آبار على إلى (سمحان)، ومن هناك إلى (جبل مفرح) وبعده إلى (قريش). ومن قريش إلى (قبور الشهداء) ومن قبور الشهداء إلى (روحاء)، ومن هناك إلى (شعب)، ومن شعب إلى (تازى)[1] ومن تازى إلى (خيف بنى عمرو)، ومن هناك يمرون من طريق (الوادى الصغير) إلى حيث يقصدون.

وسمحان موقع بين جبلين، كما أن مفرح جبل صغير. وعندما تصل القافلة إلى هذا المكان يأخذ الجمالون من الحجاج هدايا نقدية. وهذا من العادات القديمة وفى منزل روحاء بئر عميق.

و(شعب): بين جبلين وماؤها فى جهة الجبل.

و(خيف بنى عمرو) عبارة عن عدة قرى فى داخل واد طويل بين جبلين. ولهذه القرية مياه جارية وآبار عذبة المياه ونخيل. وسكان هذه القرى من قبائل بنى عمرو وبنى سالم، وأفراد قبائلهم ألف رجل شجاع ويعدون من مهرة رماة السهام، كما أنهم يمتازون بالغنى والثروة.

(١) والطريق الذى يمتد من المدينة إلى هذا المكان تحيط به المهالك والمعاطب.

وادى الصغير:

وتقع مرحلة وادى الصغير على سفح جبل، ولهذه المرحلة مياه جارية وآبار ذات مياه عذبة ونخيل مثمر، ومياهها ألذ من مياه بنى حنيف وبدر.

وتسكن فى هذه المرحلة طائفة من أشراف الزيدية يحرسون المارين والعابرين من اعتداء العربان، ويأخذون الصرر من الدولة مقابل هذه الخدمة.

٢- طريق مصر:

المرحلة الأولى لقافلة مصر (بركة الحاج):

يصطحب أمير حج محمل مصر الشريف موكبًا عظيمًا من القاهرة، ويذهب إلى مرحلة (بركة الحاج) وهنا ينضم الحجاج المصريون إلى القافلة، ويتحرك الجميع متجهين إلى منزل (هدف البويب). وهدف البويب مرحلة ضيقة بين جبلين فى الجهة اليمنى منها ربوة عالية.

والقافلة التى تتحرك من (هدف البويب) تبيت فى منزل الحمراء، وفى هذا المنزل فسقية للحجاج وبعض المبانى.

وبعد منزل الحمراء منازل (نخيل غانم) وبعده منزل (بركة العجرود).

بركة العجرود:

وبركة العجرود المنهل الأول. ولهذا المنزل ماء يجرى نحو الوادى أحيانًا، وخان ينسب للملك (قانصوه الغورى) وثلاث فسقيات خاصة بالحجاج. والمكان الذى يسمى (عيون موسى) أمام السويس هو محل النزول.

وبعد ما تقوم قافلة مصر من مرحلة (بركة العجرود)، تنزل فى منزل (منصرف)، ومن هنا إلى (قبيبات).

منصرف:

وكان فى مرحلة منصرف بعض الحفر، ويظن أن هذه الحفر كانت محاولات

ملوك الأسلاف ليوحدوا البحر الأبيض بالبحر الأحمر والآن تمر من هناك قناة السويس.

قبيبات:

ووجه تسمية قبيبات بهذا الاسم وجود بعض التلال حولها. وبعد منزل قبيبات يُبات فى مواقع يطلق عليها (أول التيه) وبعده (وسط التيه) واسم وسط التيه الآخر (الروض الجميل).

أول التيه:

والمرحلة التى يطلق عليها (أول التيه) مبدأ تيه بنى إسرائيل، والتيه المذكور صحراء متسعة على يمينها (جبل الطور) وعلى شمالها جبل العريش)، وكل من عرضها وطولها أربعون فرسخًا، ومن الصعب الحياة فيها شتاء لشدة برودتها وصيفًا لشدة حرارتها كما أنها خالية من المياه. ولما تحرك بنو إسرائيل تائهين أربعين سنة بين هاتين المرحلتين فسميت (تيه بنى إسرائيل).

وبعد وسط التيه تأتى مراحل (بطن النخيل) وبعدها (وادى النعمان) وبعدها (وادى القريض). والاسم الآخر لبطن النخيل (وادى التجر) ولها بئر واحدة وقد بنى بها ملك مصر (قانصوه الغورى) حصنًا وفسقية وقام أمير أمراء مصر على باشا بتوسيع الحصن والنافورة.

ويملأ حراس الحصن الفسقية المذكورة وحوضها بمياه البئر ويدفعون عنها العربان ممَّن يريدون أن يفرغوا الحوض، والقافلة التى تقوم من (وادى القريض) تنزل فى منزل (أبيار علاتية)، ومن هناك فى (عراقيب بغلة) القريبة من منزل (ملاحة)، ومن هناك إلى مرحلة (رأس الركب) القريبة من منزل (صقارات)، ومن هذا المنزل إلى منزل سطح العقبة.

أبيار علاتيه:

وتقع مرحلة (أبيار علاتية) فى صحراء واسعة مستوية فى نهاية منحدر طويل

ولها بئران تنسب إحداهما إلى (بيرة) والأخرى إلى (علاتى) وحوض يملأ بماء الأمطار.

رأس الركب:

ويذهب الذين يقومون من مرحلة (رأس الركب) إلى سطح العقبة والذين يقومون من هناك إلى مرحلة يقال لها (منزل) ثم إلى منزل (ظهر حجار) من منحدر ذو حجارة، والذين يتحركون من هناك يذهبون إلى (جرفين)، ومن هنا إلى (شرفة بنى عطية) التى تشتهر بكثرة حطبها ورخص ثمنه ثم يبيتون فى منزل يطلق عليه اسم (مغارة شعيب).

والاسم الآخر لسطح العقبة عقبة (أيلة) وهناك خرائب مدينة كبيرة وحولها قرية لعربان (الحويطات).

منزل:

وإن لم يكن ماء للشرب حيث ينزل الحجاج، ولكن على بعد ميل منها بئر عذب الماء وأشجار النخل.

ومرحلة (منزل) فى ربع المسافة بين الطريق الذى بين مكة المكرمة ومصر. وهو منزل ذات مياه عذبة كثيرة وهو على شاطئ البحر، فجبل الطور على يساره ويمتد قدر ميلين وفى نهاية هذا الجبل منحدران وممر ضيق وعدة آبار ذات مياه عذبة.

مطلات:

ومرحلة مطلات تقع بين جبلين ومسكن جماعة من بنى لام بين هذين الجبلين.

مغارة شعيب:

ومرحلة مغارة شعيب موضع ذو مياه عذبة فى الحفر وذو أشجار يقال لها (أثل مقال)، وفى هذا المكان بعض اللوحات كتبت عليها أسامى الملوك.

ويُسار من مغارة شعيب إلى (قبر الطواشى) ثم يبات فى مرحلة يقال لها (عيون القصب).

عيون القصب:

وعيون القصب واد ذو مياه كثيرة وأعواد وفيرة وحرارة شديدة. ويحكى أن كثيراً ممن يوجد هناك يتعرضون للموت فجأة. وفى محل قريب من ساحل البحر لهذا الوادى قبر ينسبه الناس إلى أحد أبناء إبراهيم عليه السلام.

وبعد القيام من عيون قصب يوصل إلى مرحلة يطلق لها (شرم)، وبعد القيام من الشرم إلى منزل (مويلحة) ومنه إلى (بطن كبريت)، وبعده إلى منزل (قبر الشيخ الكفافى).

شرم ومويلحة:

وشرم مكان قريب من البحر ويطلق على الجبل الذى على يمينه (إشارة). ولما كانت (مويلحة) على شاطئ البحر فمياهها تميل إلى الملوحة. وكان الملك قايتباى قد نزل فى هذا المكان واستراح لذا يطلق عليها (دار قايتباى) أيضًا.

بطن كبريت:

وأول (بطن كبريت) فى غاية الضيق طريقها حجرى وغير مستو والذين يقومون من مرحلة الشيخ الكفافى، يسيرون إلى منزل (أزلم)، ومن هناك إلى (سماق رخانين) ومن هناك إلى ساحة (إسطبل عنتر) ومن هناك إلى (شريت) الذى فى صحراء واسعة، وبعده إلى مرحلة (الوجه).

ومرحلة أزلم هى الربع الثانى من طريق مكة المعظمة، وأرضه مجدبة ومياهها مالحة ونباتاته سنامكى ويقع بين جبلين.

ومنزل رخانين قريب من رخانين فيحرم حجاج مصر ابتداء من هذا المكان.

اسطبل عنتر:

صحراء بين الجبال ذات مياه عذبة. والوجه واد لا مثيل له من حيث وفرة

آباره ذات المياه العذبة وحوض كبير. وقد جدد الحوض المذكور والى مصر إبراهيم باشا سنة ٩٣١، ويملأ كلما تمطر السماء وتأتى السيول.

الوجـه:

مدينة صغيرة فى الجهة الغربية من المدينة المنورة وبها مائتا منزل وعشرون دكانًا. وستة أكشاك للحجر الصحى وجامع ودائرة حكومية وقلعة، وكانت تحت إدارة المدينة المنورة. ولما كانت فى طريق محمل مصر فقد تركت إدارتها مؤقتًا للخديوية المصرية، ولكن حراسة قلعتها تابعة لمجموعة من الجنود السلطانية وخمسة عشر جنديًا من المدفعية، وإدارة المدينة فى يد قائم مقام مصرى.

والقافلة التى تقوم من الوجه تنزل فى (بئر القروى) ومن هناك إلى (حرير) ومن هناك (حوراء) المشهورة بانعدام مياهها ومن حوراء إلى (عقيق) وبعده فى (صحن بياض).

صحن بياض:

ومنزل صحن بياض منزل رملى ذو حيات وحشرات مؤذية كثيرة ومخيف الأطراف.

ويذهب من صحن بياض إلى (نبعاء) ومن هناك إلى (طراطير الراعى) ومنها إلى (وادى النار).

وادى النار:

ووادى النار واد رملى ذو حجارة بين الجبال. ولما كان لهذه المرحلة سبع حجارة ضخمة فقد أسموها (الوعرات السبعة) أيضًا ومرحلة نبعاء ذات مياه عذبة واسمها الآخر (فقاع الحجار).

ويأتى بعد وادى النار (حجراء) من أعمال ينبع ومن بعدها (جبل حمر) وبعدها (وادى تيماء) وبعدها (جبل الزيت).

وبما أن جبل الزيت يشرف على ينبع فحاكم ينبع يستقبل المحمل الشريف فى هذا المكان، ويصلى على السجادة التى تفرش أمام جمل المحمل ركعتين من الصلاة حسب العادة.

والقافلة التى تقوم من جبل الزيت تتجه إلى (ينبع)، وبعدها إلى (دهناء) وبعدها إلى قرية (عديبية) ومنها إلى (واسط) ومنها إلى (بدر) ومن بدر إلى (خيب البز) وهى صحراء واسعة، وبعدها إلى (عتيق) ومن عتيق إلى (عقبة ودان) ومن عقبة إلى (رابغ)، ومن هناك يُسلك الطريق المشهور ليكون الوصول إلى مكة المعظمة.

وكان محمل مصر فى الأوائل يتخذ هذا الطريق طريقًا لسيره. ولكن الآن يحتفل بالمحمل الشريف فى ميدان محمد على فى القاهرة حيث يسلم المحمل من قبل خديوى مصر إلى أمير الحج ويرسل بالقطار إلى مدينة السويس، ومن هناك يرسل بباخرة خاصة إلى جدة. ولكنه يعود من طريق مصر الذى وصفناه.

٣- عدن ثالث الطرق المفروضة:

منزل القافلة التى تخرج من مدينة عدن الأول هو (لحج) وثانيها (يكرد) وثالثه (تعز) ورابعها (كرايجة) وخامسها (وادى الحسناء).

والقافلة التى تقوم من وادى الحسناء تنزل فى حيس ولما كانت خطة عدن تحت الإدارة العثمانية فقد كان محمل صنعاء يخرج من حيس.

بداية محمل اليمن وانقطاعه:

فى سنة ٩٦٣ رتب والى اليمن الوزير مصطفى باشا محملاً بعد أن استأذن مقام الخلافة باسم صنعاء اليمن ليرسله إلى مكة المعظمة، ولما صدر الأمر السلطانى أرسل المحمل الذى رتبه إلى مكة المكرمة. ولما وصل المحمل المذكور إلى مكة المكرمة استقبله الشريف حسن ـ رحمه الله ـ فى (بركة ماجن)، ألبس أميره الخلعة وأدخل المحمل الشريف، وأنزل فى ميدان المعالى. وبعد ذلك أرسل

المحمل كل سنة إلى سنة ١٠٤٩، ولكن بناء على الفتنة التى حدثت خلال تلك السنة انقطع ولم يرسل بعد.

والقافلة التى تقوم من (حيس) تصل إلى (زبيد)، والموقع الذى يطلق عليه (مخا) يقع على الجنوب الشمالى لهذا المنزل.

والقافلة التى تتحرك من زبيد تنزل فى (رفع) ميقات حجاج زبيد ومن هناك تسير إلى (بيت العقبة الصغير) ومنه إلى (قطيع) ومن بعده (إلى المنصورية) ومنها إلى (قلعة فراوع) ومن هناك إلى (غاغية) وتتزل بعد ذلك فى (بيت الفقيه الكبير).

ويأتى حجاج صنعاء أيضًا بطريق (حباب، طويلة، بلاد بنى الخياط، بلاد بنى الأهلية) وهنا يستقيمون فى الطريق. والقوافل التى ترد من أى واحد من هذين الطريقين تنزل بعد بيت الفقيه فى (صعولب) وبعدها فى (دومة) وبعدها فى (حيران) وبعدها فى (عالية) وبعدها فى (أبو عريش) وبعدها فى (سلامة) وبعدها فى (ربيش) وبعدها فى (نماو) ومن نماو فى (عتود) ومن عتود فى (شفيق) ومن شفيق فى أبيار ومن بعد ذلك فى (دهيان).

وفى مرحلة أراضى (دهيان) تكثر شجرة يقال لها (شجر المقل) وتنزل قافلة الحجاج من دهيان فى منزل بركة. وهو من جملة آثار ملوك بنى رسول وعمرو بن منصور ومن هناك إلى مرحلة شفق. ومن هناك تنزل فى منزل (قنونا).

وهذا المنزل واد ذو مياه كثيرة واسمه الآخر (الواديين).

والقافلة التى تقوم من مرحلة قنونا تواصل السير إلى (ليثه)، ومن هنا إلى منزل (هصم) المشهور بغزارة مياهه، وبعد هذه المرحلة تصل القافلة إلى منزل (سعدية) ميقات سكان تهامة واليمن.

ومرحلة (سعدية) كثيرة المياه وبعيدة عن منزل (يلملم) مقدار ثمانية عشر ميلاً، فالقوافل التى تقوم من هناك تصل إلى منزل (أيدر).

ومنزلا أيدر، وأم بيضاء داخل الميقات (مرحلة) وهما مرحلتان ذواتى مياه وافرة، وعندما ينُهض من هناك يوصل إلى (بيضاء) ومن بيضاء إلى (أم قرين) وهى ذات مياه غزيرة، ومن هناك إلى مكة المعظمة.

وهناك طريق آخر لحجاج عدن وصنعاء للسير بطريق نجد واليمن، والقافلة التى ترغب فى السير من هذا الطريق عليها أن تخرج من عدن وتسير حذاء سفح الجبل نحو الشمال، وفى أثناء الطريق يتلاقون بحجاج صنعاء ويسيرون من أعلى صعدة إلى الطائف ومن هناك إلى مكة المعظمة.

وفى جهة عدن طريق آخر، فعندما يُترك عدن يمُر بالبلاد المكرمة إلى (قطب) ومن هناك إلى (حقب)، وبعده إلى (دمت) ومن هناك إلى (شلالة) وبعده إلى (بوريم) ومن هنا إلى (زمار) ومن زمار إلى (زراج) ومنها إلى (خزف) ومن هناك إلى (سيان) ومن سيان إلى صنعاء ثم ينضم إلى حجاج صنعاء فى يسار الطريق المستقيم.

وحجاج شحر يذهبون عن طريق البر إلى حضرموت ومن هناك إلى صنعاء، وهنا يتحدون بحجاج صنعاء ويخرجون إلى الطريق. ومن شحر إلى حضرموت خمسة منازل ومن حضر موت إلى صنعاء أربعة منازل.

وحجاج ظفار الذين يريدون الذهاب إلى صنعاء يصلون إليها بعد قطع خمس عشرة مرحلة وبعد ما ينضمون هناك إلى الحجاج الأخرين يواصلون سيرهم إلى مرحلة (زيد) ومن هناك إلى (أيافث) ومن هناك إلى (خيوان) ومن خيوان إلى (أعمش) ومن هناك إلى (عرف) ومنها إلى (هجر) ومن هجر إلى (سروج) ومن هناك إلى (شج) ومن شج إلى (كشب) ومن هناك إلى (أبيات) ومن هناك إلى (جرم) ثم إلى (حسن) ثم إلى (نيش) ومن هناك إلى (بنيال) ثم إلى (وبيى) ومنه إلى (كدمى) ومن كدمى إلى (صفر) ومن صفر إلى (بوى) ومن بوى إلى (عتيق) ومنها إلى (جدر) ومن جدر إلى (عمر) ومن عمر إلى مكة المفخمة.

٤- طريق عمان:

الطريق الرابع من الطرق السبعة المبسوطة هو طريق عمان يسير حجاج عمان من الحصن إلى (نزوى) ومن هناك إلى (عجلة) ومن هناك إلى (عضوة) ومنها إلى (بئر السلاح) ومن هناك إلى مكة المكرمة.

والطريق المذكور من الحصن إلى مكة المعظمة تسع وعشرون مرحلة. وأربع مراحل من هذه المراحل يتزود فيها من المياه قدر دفع الحاجة لأنها نادرة المياه، أما المراحل السبع عشرة خالية من المياه لأنها أرض رملية، لذا يفضل حجاج عمان طريق البحر.

٥- الطريق الخامس طريق الحسا:

من طرق مكة المعظمة السبعة طريق (الحسا) والقافلة التى تسلك هذا الطريق بعدما تخرج من الحسا تذهب إلى (جود) ومنها إلى (ضان) ومنها إلى (دهناء) ومنها إلى (دحلمى) وبعده إلى (جبل أبو عرب) ومنه إلى (ملهم) ومنه إلى (جعر) ومنه إلى (ربض) ومنه إلى (الدرعيه) ومنه إلى (الحيسية) ومنه إلى (مراه) ومنه إلى (شعراء) ومنه إلى (جنايح) ومنه إلى (مرقب) ومن هناك إلى (مخنا) ومنه إلى (عبل) ومنه إلى (زكيه) ومنه إلى (ذات عرق) وبعد هذه المنازل يكون الوصول إلى مكة المكرمة.

٦- الطريق السادس طريق البصرة:

من الطرق التى تفضى إلى مكة المكرمة طريق (البصرة). والقافلة التى تخرج من البصرة تنزل فى (الدرهمية) التى كانت تسمى البصرة القديمة، ومن هناك إلى (صفوان) ومن هناك إلى جهر.

والقافلة التى تقوم من جهر تتجه إلى (إضافا) التى تعرف بأنها كان فيها حصن موسى وبعدها تمر بـ (ماو) وبعده بـ (عالج الصغير) ومن هناك إلى منازل (دجانى) ذات المياه الوفيرة، ومنه إلى (صدير) ومنه إلى (وشم) ثم (سر) وبعده

إلى (جماين) الذى يعد ثلاثة منازل، ثم تنزل إلى (مران) لكن هذا الطريق طريق الصيف. والسير فى هذا الطريق شتاء مستحيل، وتنزل قوافل الشتاء من (عالج الصغير) إلى (عالج الكبير) وهنا يتفرع الطريق إلى فرعين أحدهما طريق الصيف والآخر طريق الشتاء.

وتسير القوافل من هناك إلى (شوم) وبعده إلى (قصم نميرى) الذى يعد منزلان، ومن قصم نميرى إلى (رسة) ومن هناك إلى (ضربة) ومنها إلى (مران).

والقوافل التى تتحرك من مران تتجه إلى (حر) ومنه إلى (ذات عرق) ميقات حجاج نجد، ومن هناك إلى (بستان بنى عامر) ومن هناك تصل إلى مكة المكرمة.

٧- الطريق السابع طريق بغداد:

من طرق مكة السبع المشروحة طريق بغداد، وتخرج قافلة بغداد من بغداد وتنزل على ربوة (صرصران). وأمراء الحج لقوافل بغداد ومحاملها يمكثون قليلاً فى هذا المنزل انتظاراً للحجاج الذين سيينضمون للقافلة. والقافلة التى تقوم من هناك تتجه إلى ربوة (قراشر) وبعدها إلى (شط الفرات) ومنه إلى (الكوفة) ومن هناك إلى (مشهد على) الذى يقال له (سد بيداء النجف) ومن هناك إلى (معتب) ومن معتب إلى (فرع) ومنه إلى مسجد (سعد الفزارى) ومنه إلى (قاع الرمال) ومنه إلى (بارطان) الذى يسمى (قبة العبادى) أيضًا والذى تكثر فيه البرك. ومنه إلى (ثعلب) حيث تتلاقى مع قافلة واسط.

وتخرج قافلة (واسط) من (واسط) وتواصل السير إلى مرحلة (شعشع) ومنها إلى (عيص) ومنه إلى (ذات معين) ومن هناك إلى (شاهى) ومنه إلى (أحادى) ومنه إلى (عوج) ومنه إلى (سوى) ومنه إلى (ثعلبى) ومنه إلى برك (خريم) ومنها إلى (حقوقية فيد) وهى ذات مياه جارية. ومن هذا المنزل إلى برك (شور) ومنها إلى (شحر) ومن هناك يتفرع طريق إلى المدينة.

والقافلة التى تقوم من هنا تتجه إلى (معدن بن سليم) ومنه إلى (سلسل)

ومنه إلى (عمس) ومنه إلى (قعب) ومنه إلى (مسلح) ومن مسلح إلى (بستان بنى عصر) ومن هنا تنزل إلى مكة المفخمة.

بين بغداد ومكة المعظمة مبان وآثار كثيرة لزوجة هارون الرشيد العباسى (زبيدة) والسلطان ملكشاه السلجوقى حتى ليعجز القلم عن تعريفها ووصفها.

استطراد:

أسماء الذين تولوا إمارة الحج منذ فتح مكة المكرمة إلى ٣٣٥ الهجرية.

يقول المؤرخ المشهور المسعودى:

فتح النبى ﷺ سيد الغزاة فى رمضان السنة الثامنة من الهجرة مكة المكرمة وعين (**عتاب بن أسيد**) ابن أبى الفيض بن أمية (رضى الله عنه) واليًا وعاد، وبناء على أمر النبى ﷺ المطاع أخرج **عتاب** قوافل حجاج تلك السنة وألقى خطبة يوم عرفة.

وأمير حاج قافلة المدينة فى السنة التاسعة الهجرية كان **أبو بكر الصديق** (رضى الله عنه)، فخرج بموكب الحج الذى يتكون من ثلاثمائة شخص. وأخذ معه الهدى الذى أعده النبى ﷺ من عشرين بدنة.

وعقب تحرك القافلة أرسل النبى ﷺ زوج كريمته على بن أبى طالب أيضًا. ولحق على بن أبى طالب بالقافلة فى موقع (عرج) وكان قد أودع له سورة (براءة) الجليلة. وفى يوم النحر قرأ على بن أبى طالب هذه السورة مخاطبًا الحجاج فى مكان يسمى (العقبة)، كما ألقى الصديق الأعظم خطبة قبل يوم التروية بيوم فى مكة، وألقى خطبة أخرى فى يوم عرفة فى عرفات وخطبة ثالثة فى (منى) يوم النحر.

وكان أمير حج السنة العاشرة النبى ﷺ بذاته وألقى خطبة عرفة والخطب الأخرى.

وأمير حاج السنة الحادية عشرة (عمر) بن الخطاب رضى الله عنه.

والثانية عشرة أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقد قام كل منهما بإلقاء الخطب.

ومن السنة الثالثة عشر حتى الثالثة والعشرين حج بالناس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

وأمير حج السنة الثالثة عشرة (عبد الرحمن بن عوف).

وفى السنة الرابعة والعشرين (عبد الرحمن بن عوف) رضى الله عنه وقاموا هؤلاء بإلقاء الخطب المذكورة.

ومن السنة الخامسة والعشرين إلى السنة الرابعة والثلاثين قام بإمارة الحج عثمان بن عفان رضى الله عنه.

وفى السنة الخامسة والثلاثين (عبد الله) بن عباس (رضى الله عنه.

إلى والسابعة والثلاثين.

وأرسل فى السنة السابعة والثلاثين معاوية بن أبى سفيان مع قافلة الشام شخصًا يدعى (سحرة الرهاوى)، وبناء على الخلاف الذى حدث قام بمهمة الخطابة (شيبة بن عثمان).

وفى السنة الثامنة والثلاثين حج بالناس قثم بن العباس رضى الله عنهما.

وفى السنة التاسعة والثلاثين حج بالناس شيبة بن عثمان رضى الله عنه.

وفى السنة الأربعين (مغيرة) بن شعبة.

والحادية والأربعين عتبة بن أبى سفيان.

وفى السنة الثانية والأربعين والثالثة والأربعين مروان بن الحكم.

وفى السنة الرابعة والأربعين معاوية بن أبى سفيان.

وفى السنة الخامسة والأربعين مروان بن الحكم.

وفى السنتين الستة والأربعين والسبعة والأربعين عتبة بن أبى سفيان.

ومن السنة الحادية والخمسين إلى السنة الثالثة والخمسين (سعيد) بن العاص.

والسنتين الرابعة والخامسة والخمسين مروان بن الحكم.

والسنة السادسة والخمسين عتبة بن أبى سفيان.

والسنة السابعة والثامنة والخمسين وليد بن عتبة بن أبى سفيان.

والسنة التاسعة والخمسين عثمان بن أبى سعيد.

وفى الستين عمرو بن سعيد بن العاص.

وفى السنة الواحدة والستين.

والسنة الثانية والستين وليد بن عتبة بن أبى سفيان.

ومن السنة الثالثة والستين إلى الثالثة والسبعين (عبد الله بن الزبير) رضى الله عنه.

وفى السنة الرابعة والسبعين حجاج بن يوسف الثقفى.

والسنة الخامسة والسبعين عبد الملك بن مروان.

ومن السنة السادسة والسبعين حتى الواحدة والثمانين سليمان بن عبد الملك.

والثانية والثمانين أبان بن عثمان.

وفى السنة الثالثة والثمانين إلى السنة الخامسة والثمانين هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى.

والسنة السادسة والثمانين عباس بن وليد بن عبد الملك.

والسنة السابعة والثمانين (عمر) بن عبد العزيز بن مروان.

والسنة الثامنة والثمانين الوليد بن عبد الملك.

والسنة التاسعة والثمانين والتسعين عمر بن عبد العزيز.

والسنة الحادية والتسعين الوليد بن عبد الملك.

والسنة الثانية والتسعين عمر بن عبد العزيز.

وفى السنة الثالثة والتسعين عثمان بن وليد بن عبد الملك.

وفى الرابعة والتسعين مسلمة بن عبد الملك.

والسنة الخامسة والتسعين وليد بن عبد الملك.

وفى السنة السادسة والتسعين أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

والسنة السابعة والتسعين سليمان بن عبد الملك.

وفى السنة الثامنة والتسعين عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن سعيد بن العاص بن أمية.

وفى السنة التاسعة والتسعين والمائة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

وفى السنة الأولى بعد المائة والى مكة عبد العزيز بن عبد الله.

والثانية بعد المائة عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى.

والسنة الثالثة والرابعة بعد المائة عبد الله بن كعب بن عمير بن سبع بن عوف بن نضر بن معاوية النضرى.

وفى السنة الخامسة بعد المائة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى.

وفى السنة السادسة بعد المائة هشام بن عبد الملك.

وفى السنة السابعة بعد المائة إلى السنة الثانية عشرة بعد المائة سليمان بن هشام بن عبد الملك.

وفى السنة الرابعة عشرة بعد المائة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن العاص بن أمية.

وفى السنة الخامسة عشرة بعد المائة محمد بن هشام بن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة.

وفى السنة السادسة عشرة بعد المائة وليد بن يزيد بن عبد الملك.

وفى السنة السابعة عشرة بعد المائة خالد بن عبد الملك.

وفى السنة الثامنة عشرة بعد المائة محمد بن هشام بن إسماعيل.

وفى السنة التاسعة عشرة بعد المائة مسلمة بن هشام بن عبد الملك.

وفى السنة العشرين بعد المائة إلى السنة الرابعة والعشرين بعد المائة محمد بن هشام بن إسماعيل.

وفى السنة الخامسة والعشرين بعد المائة يوسف بن حجاج الثقفى.

وفى السنة السادسة والعشرين بعد المائة عمر بن عبد الله بن عبد الملك.

وفى السنة السابعة والعشرين بعد المائة وفى السنة الثامنة والعشرين بعد المائة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز.

وفى السنة التاسعة والعشرين بعد المائة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك.

وفى السنة الثلاثين بعد المائة محمد بن عبد الملك.

وفى السنة الحادية والثلاثين بعد المائة عروة بن محمد بن عطية السعدى فأصبحوا أمراء الحج وألقوا الخطب الخاصة بموسم الحج.

وعروة بن عطية سالف الذكر هو خاتمة أمراء الحجاج الذين أرسلوا من قبل بنى أمية.

وانتقلت الخلافة فى السنة المذكورة إلى يد بنى عباس بن عبد المطلب.

وفى السنة الثانية والثلاثين بعد المائة عُين لإمارة قافلة الحجاج التى خرجت من بغداد داود بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.

وفى السنة الثالثة والثلاثين ومائة زياد بن عبد الله الحارثى.

وفى السنة الرابعة والثلاثين ومائة عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن عباس.

وفى السنة الخامسة والثلاثين ومائة سليمان بن على بن عبد الله بن عباس.

وفى السنة السادسة والثلاثين ومائة أبو جعفر المنصور.

وفى السنة السابعة والثلاثين بعد المائة إسماعيل بن على بن عبد الله.

وفى السنة الثامنة والثلاثين بعد المائة فضل بن صالح بن على بن عبد الله.

وفى السنة التاسعة والثلاثين ومائة عباس بن محمد بن على.

وفى السنة الأربعين ومائة أبو جعفر المنصور.

وفى السنة الحادية والأربعين بعد المائة صالح بن على.

وفى السنة الثانية والأربعين ومائة إسماعيل بن على.

وفى السنة الثالثة والأربعين ومائة عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله.

وفى السنة الرابعة والأربعين أبو جعفر المنصور.

وفى السنة الخامسة والأربعين ومائة سرى بن عبد الله بن الحارث بن العباس.

وفى السنة السادسة والأربعين بعد المائة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس.

وفى السنة السابعة والأربعين بعد المائة أبو جعفر المنصور، وعلى رواية محمد بن إبراهيم الإمام.

وفى السنة الثامنة والأربعين ومائة محمد بن إبراهيم الإمام.

وفى السنة التاسعة والأربعين ومائة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن

إبراهيم.

وفى السنة الخمسين بعد المائة عبد الصمد بن على، وفى السنة الحادية والخمسين ومائة محمد بن إبراهيم بن محمد بن على.

وفى السنة الثانية والخمسين ومائة أبو جعفر المنصور.

وفى السنة الثالثة والخمسين ومائة مهدى بن عبد الله بن محمد بن على.

وفى السنة الرابعة والخمسين ومائة محمد بن إبراهيم.

وفى السنة الخامسة والخمسين ومائة عبد الصمد بن على.

وفى السنة السادسة والخمسين ومائة عباس بن محمد بن على.

وفى السنة السابعة والخمسين ومائة والثامنة والخمسين ومائة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على.

وفى السنة التاسعة والخمسين ومائة يزيد المنصور بن عبد الله بن شهر بن يزيد بن ثوب الحميرى.

وفى السنتين الستين والحادية والستين ومائة الهادى بن موسى بن المهدى.

وفى السنة الثانية والستين ومائة إبراهيم بن جعفر بن أبى جعفر.

وفى السنة الثالثة والستين بعد المائة على بن المهدى.

وفى السنة الرابعة والستين ومائة والسنة الخامسة والستين ومائة صالح بن أبى جعفر.

وفى السنة السادسة والستين ومائة محمد بن إبراهيم بن محمد بن على.

وفى السنة السابعة والستين إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على.

وفى السنة الثامنة والستين ومائة على بن محمد المهدى، وفى السنة التاسعة والستين ومائة سليمان بن أبى جعفر المنصور.

وفى السنة السبعين ومائة هارون الرشيد.

وفى السنة الحادية والسبعين ومائة عبد الصمد بن على.

وفى السنة الثانية والسبعين ومائة يعقوب بن المنصور.

وفى السنة الثالثة والسبعين ومائة إلى السنة التاسعة والسبعين بعد المائة هارون الرشيد.

وفى السنة الثمانين بعد المائة موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على.

وفى السنة الحادية والثمانين بعد المائة هارون الرشيد.

وفى السنة الثانية والثمانين ومائة موسى بن موسى.

وفى السنة الثالثة والثمانين ومائة العباس بن محمد المهدى.

وفى السنة الرابعة والثمانين إبراهيم بن المهدى، وفى السنة الخامسة والثمانين ومائة منصور بن المهدى.

وفى السنة السادسة والثمانين هارون الرشيد.

وفى السنة السابعة والستين ومائة عبد الله بن العاص بن على وعلى رواية منصور بن المهدى.

وفى السنة الثامنة والثمانين هارون الرشيد.

وفى السنة التاسعة والثمانين ومائة عباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن على.

وفى السنة التسعين ومائة على بن الرشيد.

وفى السنة الحادية والتسعين والسنة الثانية والتسعين بعد المائة عباس بن عبد الله بن جعفر بن أبى جعفر المنصور.

وفى السنة الثالثة والتسعين ومائة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن

على.

وفى السنة الرابعة والتسعين ومائة على بن الرشيد.

وفى السنة الخامسة والتسعين بعد المائة داود بن عيسى بن موسى.

وفى السنة السادسة والتسعين إلى السنة الثامنة والتسعين بعد المائة عباس بن موسى.

وفى السنة التاسعة والتسعين ومائة محمد بن داود بن عيسى بن يحيى. وكل هؤلاء قاموا بمهمة إمارة الحج وفى إمارة محمد بن داود خرج (ابن الأفطس العلوى) ثائرًا فلم يستطع محمد بن داود الطلوع إلى جبل عرفات، وبناء على ذلك وقف حجاج تلك السنة على عرفات دون إمام.

وفى السنة المائتين قام بإمارة الحج معتصم بن إسحاق.

وفى المائتين وواحد إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على.

وفى السنة الثانية بعد المائتين إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب.

وفى السنة الثالثة ومائتين سليمان بن عبد الله بن جعفر بن سليمان بن على.

وفى السنة الرابعة ومائتين والخامسة ومائتين عبد الله بن الحسن بن عبد الله.

وفى السنتين السادسة والسابعة بعد المائتين أبو عيسى بن الرشيد.

وفى السنة الثامنة والتاسعة والعاشرة بعد المائتين صالح بن الرشيد.

وفى السنة الحادية عشرة بعد المائتين إسحاق بن إلياس بن محمد بن على.

وفى السنتين الثانية عشرة والثالثة عشرة بعد المائتين أحمد بن العباس، وفى السنتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة بعد المائتين عبد الله بن عبد الله، وفى السنتين السادسة عشرة والسابعة عشرة بعد المائتين سليمان بن عبد الله بن سليمان

بن على بن عبد الله بن عباس، وفى السنتين الثامنة عشرة حتى الحادية والعشرين بعد المائتين صالح بن العباس بن محمد.

وفى السنة الثانية والعشرين بعد المائتين محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وفى السنوات الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين والخامسة والعشرين والسادسة والعشرين والسابعة والعشرين بعد المائتين جعفر المتوكل بن المعتصم بن الرشيد.

ومن السنة الثامنة والعشرين بعد المائتين إلى السنة الخامسة والثلاثين بعد المائتين محمد بن داود بن عيسى.

وفى السنة السادسة والثلاثين والمائتين محمد المنتصر.

وفى السنة السابعة والثلاثين والمائتين على بن عيسى بن جعفر بن المنصور.

ومن السنة الثامنة والثلاثين إلى السنة الحادية والأربعين بعد المائتين عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن على بن عبد الله بن عباس.

ومن السنة الثانية والأربعين إلى السنة الرابعة والأربعين عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس.

ومن الخامسة والأربعين إلى السنة الثامنة والأربعين بعد المائتين محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام.

وفى السنة التاسعة والأربعين بعد المائتين عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس.

وفى السنة الخمسين بعد المائتين جعفر بن فضل بن موسى بن عيسى بن موسى ساسان.

وفى السنة الحادية والخمسين والمائتين إسماعيل بن يوسف العلوى.

وفى السنة الثانية والخمسين والمائتين كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن

جعفر بن المنصور.

وفى السنة الثالثة والخمسين بعد المائتين عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الله الرسى، وفى السنة الرابعة والخمسين والسنة الخامسة والخمسين بعد المائتين على بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن على.

وفى السنة السادسة والخمسين بعد المائتين كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر المنصور.

وفى السنتين السابعة والثامنة والخمسين فضل بن عباس بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن على.

وفى السنتين التاسعة والخمسين والستين بعد المائتين إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن على بن بويه.

ومن السنة الحادية والستين إلى السنة الثالثة والستين بعد المائتين الفضل بن العباس بن الحسن.

ومن السنة الرابعة والستين إلى السنة الثامنة والسبعين بالتوالى هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس.

ومن السنة التاسعة والسبعين إلى السنة السابعة والثمانين بعد المائتين كذلك أبو عبد الله محمد بن داود بن عيسى بن موسى.

وفى السنة التاسعة والثمانين إلى السنة الخامسة وثلاثمائة بالتوالى فضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد بن على.

وفى السنتين السادسة والسابعة وثلاثمائة أحمد بن العباس بن محمد بن عيسى بن سليمان بن محمد بن إبراهيم الإمام.

ومن السنة الثامنة وثلاثمائة إلى السنة الحادية عشرة وثلاثمائة إسحاق بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد.

وفى السنة الثانية عشرة وثلاثمائة حسن بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس.

وفى السنة الثالثة عشرة وثلاثمائة أبو طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد.

وفى السنة الرابعة عشرة بعد الثلاثمائة عبد الله بن عبيد الله بن سليمان بن محمد الأكبر.

وفى السنة الخامسة عشرة وثلاثمائة والسادسة عشرة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد أبى أحمد الأزرق.

وفى السنة السابعة عشرة وثلاثمائة عمر بن الحسين بن عبد العزيز الهاشمى. وكل هؤلاء تولوا إمارة الحج وخطبوا فى دائرة الأصول المسنونة.

وفى السنة السابعة عشرة بعد الثلاثمائة تسلط سليمان بن الحسن من القرامطة على مكة فى أثناء الحج وعلى أهاليها، وأخذ يقتل من يصادفه من الحجاج حاقدًا عليهم منتقمًا منهم؛ لذا لم تخرج قافلة حج تلك السنة إلى عرفات.

وفى السنة الثامنة عشرة وثلاثمائة من الهجرة أصبح أميرًا للحج عمر بن الحسين بن عبد العزيز الهاشمى.

وفى السنة التاسعة عشرة وثلاثمائة جعفر بن على بن سليمان.

ومن السنة العشرين إلى السنة الخامسة والثلاثين وثلاثمائة تولى إمارة الحج قاضى مكة المكرمة عمر بن الحسين بن عبد العزيز الهاشمى السالف الذكر. وقام بمهمته على أحسن وجه ولما حلت الأيام المخصوصة قام بإلقاء الخطب.

وبعده وجهت إمارة الحج إلى عهدة قضاة مكة المعظمة وأحيلت لهم واتخذ القرار من مقام الخلافة أن ينتخب القضاة الذين سيتولون مهمة إمارة الحج من الذين يتسمون بصفات فاضلة وأخلاق كريمة.

مهمة:

ولما كان الأشخاص الذين ذكرت أسماءهم آنفًا قد عينوا لأداء وظائف سواء أكان أمناء الصرة أو مشايخ مكة، وبعثوا لهذا الغرض فإنهم كانوا يأتون بقوافل الحجاج إلى بلاد الحجاز، ويقومون بإلقاء الخطب يوم التروية وعرفة والمزدلفة ويوم النحر وبعد يوم عرفة، وكانوا يعودون إلى مراكز السلطنة آخذين القوافل معهم. ولما كانت مهمة الخطابة والإمامة المقدسة تُحال أحيانًا إلى ولاة مكة المكرمة والمدينة المنورة وإدارة قوافل الحجاج للشخص الذى عين أميرًا للحج؛ فكان ولاة مكة المكرمة والمدينة المنورة يقومون بالإمامة وإلقاء الخطب بأنفسهم.

وفى سنة ثلاثمائة وعشرين أحيلت خطب عرفة ويوم التروية ويوم النحر ـ كما سبق ذكره فيما تقدم ـ إلى قضاء مكة المعظمة، كما أن مشيخة مكة فوضت لعهدة عمر بن الحسين بن عبد العزيز الهاشمى فريد عصره فى الكمال والفضل. وطول مدة قيام عمر بن الحسين بن عبد العزيز بمهمة قضاء مكة وهى تمتد خمسة عشر عامًا، لم يُرسل شخص آخر من مقام الخلافة وتُركت إدارة إمارة موكب الحج لموظف خاص بها، كما أن خدمة الإمامة والخطابة المقدسة أحيلت إلى قضاة مكة المعظمة، وقد جرت العادة بأن يختار قضاة مكة المعظمة من العلماء الفطاحل والمتبحرين فى العلوم.

وهذا النظام الجيد مازال مرعيًا إلى يومنا هذا. ويقوم بأداء مهام محامل الحج فى الذهاب والعودة أمناء الصرر وأمراء الحج المعينون من قبل السلطنة السنية. كما يقوم بإلقاء خطبة عرفة قضاة مكة والخطب الأخرى يقوم بإلقائها الأشخاص الذين لهم قدرة على ذلك مأذونين من قبل السلطات.

وقد أحيلت وظيفة إمارة الحج منذ وقت قريب لولاة الشام، وولاة الشام يسوقون المحامل التى وصلت إلى الشام إلى الحرمين وبعد عرفة يعودون مستصحبين موكب المحامل.

وإن كان الآن أمناء الصرة هم الذين يستصحبون المحمل الشريف، إلا أن إدارة قافلة الحج وحراستها منوطة بهيئة عسكرية.

الوجهة الخامسة

- بيان القبائل العربية الساكنة فى الأقطار الحجازية.
- فى بيان قبيلتى حويطات وجهينة.
- فى ذكر عربان قبائل نخاولة وبنى حرب.
- فى تعريف قبائل مطير وبنى سليم وبنى عتيبة وقريش وهذيل وثقيف وبنى عدوان.
- فى ذكر القبائل العربية التى تسكن بين مكة المعظمة وجدة وقنفدة.
- وفى ساحل البحر الأحمر الذى يعد جزءاً من تهامة الحجاز.
- فى تعريف اليمن وملحقاته والقبائل المستقرة فى هذه الأماكن.

فى بيان القبائل العربية الساكنة
فى الأقطار الحجازية

إخطار:

للقبائل العربية التى استوطنت فى جزيرة العرب شعب كثيرة. كما تسعى أفراد كل أمة من الأمم بكل قوتها للإبقاء على شرف أمتهم وعرضها ويحرصون بدافع وطنيتهم على المحافظة على قوة عصبيتها وكمالها ويبذلون فى سبيل ذلك كل غال ورخيص، كذلك تعمل القبائل العربية بكل جهدها لتعلو بحقوقها الوطنية والقومية.

ولما كانت لكل واحدة من القبائل العربانية منازل محدودة ومواقع معينة، لذلك سنذكر فى هذا الفصل وصوره وصور الفصول الأخرى أحوال القبائل العربية التى تستحق الذكر.

هذه القبائل التى تستوطن الأقاليم الستة لجزيرة العرب، كما سنذكر منازلها المحدودة والقوانين والعادات المرعية فى الأحكام بينها بإيجاز إن شاء الله.

بنو هاشم:

يطلق اسم بنو هاشم على الأشراف والسادات الذين تسلسلوا من أصلاب الإمامين الحسن والحسين «رضى الله عنهما» إن نفوذ أفراد القبائل التى تنتسب إليها الأشراف الكرام والسادات ذوى الاحترام نافذ وجار على جماعات سائر القبائل، وإن حصر إمارة مكة المكرمة الجليلة عليهم لدليل يؤيد صحة هذا الادعاء.

توضيح:

يقال لأولاد وأحفاد سبطى الرسول المكرمين «رضى الله عنهما» أشراف وسادة.

وإن كان بعض المؤرخين قد ذهبوا إلى إطلاق لقب «شريف» على أولاد الإمام الحسن رضى الله عنه، وعلى أولاد الحسين رضى الله عنه «سادات»، إلا أن فى هذا التعريف والادعاء خطأ تاريخى.

وإن كان يطلق على أولاد الإمام الحسن «أشراف» فهذا التعبير حدث فى العصور الأخيرة، وبناء على ما فُصل فى بحث طبقات الأشراف أنه حدث فى عهد «قتادة بن إدريس» أن بعض أولاد الحسين بن على قاموا بالإمارة سواء أكانت فى المدينة المنورة أو مكة المكرمة، وأن الشرافة خاصة بأولاد الحسن بن على «رضى الله عنهما» الذين قاموا بتولى الإمارة، فلا يصح حصر «الشرافة» فى الحسن بن على رضى الله عنهما.

كانت الشرافة لعامة أبناء هاشم بن عبد مناف ولكن السيادة مع الشرافة كانت منحصرة فى أولاد السبطين المكرمين؛ حتى إن بعض كبار المحدثين وفحول المفسرين وأعلام مؤرخى الأسلاف كانوا يقولون عن ذكر نسب أحفاد السبطين «السيد الشريف الحسن والسيد الشريف الحسين»، ولكن عندما يريدون أن يعرفوا أحد من بنى هاشم كانوا يقولون «الشريف العباسى» والشريف الزينبى والشريف «العقيلى» حتى يميزوهم عن السادات، وليبينوا أن كل شريف ليس بسيد. ولما حصر الملك الأشرف من الملوك المصرية التعمم بالعمامة الخضراء على السادة فقط، فكأنه خص بالشرافة أحفاد السبطين، وذلك باتفاق رجال عصره.

وكان يطلق على أبناء السبطين سواء أكانوا فى الأقطار الحجازية أو الممالك الأخرى إلى زمن «الشريف أبو نمى» من أمراء الحجاز: «السيد الشريف» ولكن ومنذ زمن إمارة الشريف أبى نمى لوحظ أن أولاد الحسن رضى الله عنه فى الحجاز ينادون ويعرفون بأشراف، وأولاد الحسين رضى الله عنه بسادات، وبناء

على هذا أصبح إطلاق الأشراف الحسنية على أولاد الحسن رضى الله عنه والسادات الحسينية لأولاد سيدنا الحسين، عادة لدى سكان الحجاز.

ومع ذلك فأحفاد السبطين المقيمون فى الأقطار الأخرى كالعراق والشام ومصر، مازالوا يدعون كما فى السابق السيد الشريف.

ومازال بعض من أشراف الحسنية يقيمون فى مكة المكرمة وبعضهم فى وادى فاطمة ووادى الليمون، وبعضهم فى موقع يقال له الحسنية خلف جبل عرفات، وبعضهم فى المدينة المنورة، وبعضهم بين ينبع البحر وينبع النخل وفى السويق التى تعتبر أكبر مدينة فى ينبع النخيل.

ويقال لفريق منهم فى جهة ينبع البحر دوى هجاز، ولفريق آخر عيايشة، والذين يسكنون فى مدينة السويق هم الذين ينتسبون لفريق عيايشة، ويروى أن أصل ملك المغرب الحالى من الأشراف الذين يسكنون فى السويق.

كما أن السادات الحسينية تشعبوا لعدة شعب، فشعبة منهم تقيم فى مكة المكرمة، وشعبة منهم فى المدينة المنورة، والشعبة الثالثة فى ينبع البحر، وبعض منهم هاجروا إلى البلاد الأخرى.

يُسمى سادات الحسينية الذين يسكنون فى ينبع البحر زراعية، والذين تشعبوا منهم وسكنوا فى سوارقية يسمون سادات بنى الحسين.

وشعبتان من سادات الحسينية فى اليمن وشعبة منهم فى حضرموت، ويقال لأحد شعبهم فى اليمن سادات مراوعة والأخرى سادات المهادلة وعلى الشعبة التى فى جهات حضرموت سادات العلوية. كما أن فى إقليم الحسا فرقة من سادات الحسنية، ويبلغ عدد أشراف وسادات الحسنية والحسينية عامة فى جزيرة العرب كلها خمسين ألف نسمة.

قبيلة عنزة:

وقبيلة عنزة التى تستوطن فى شمال جزيرة العرب وخاصة الأقطار الحجازية وتعيش حياة بدوية تنقسم إلى أربع قبائل كبيرة تعرف بالأسماء الآتية:-

١- أولاد على.
٢- الحسنة.
٣- جلاس.
٤- بَشَر.

ويقيم أولاد على على طريق الحج الذى يمتد من قلعة الزرقاء إلى القرب من قلعة خيبر. وينقسم هؤلاء أيضًا إلى قبائل المشادقة، مشطا حمامدة جدالة طلوح وتتشعب من قبيلة مشادقة قبائل طيار، ومنزقان، لحوين، وتتشعب من قبيلة (مشطا) أيضًا قبائل العواض، والطيور، والعطفان، والمقيل.

وقبيلة حمامدة قبيلة واحدة، ويسكن أفراد هذه القبيلة فى أطراف معان.

وتتشعب من قبيلة جدالة قبيلتا القربنات والطوزشات.

وقبيلة طلوح قبيلة واحدة. وأغلب أفراد هذه القبيلة يسكنون على طريق الحج، وبما أنهم يحرسون أموال وأرواح الحجاج فلهم أجورهم وعطاياهم وخلعهم من الصرة السلطانية.

وقد انقسمت قبيلة الحسنة إلى قبائل متعددة، ولما كانت جميع هذه القبائل اختارت الإقامة فى الصحارى التى تقع بين الشام وحمص وحلب وبغداد فلا حاجة هنا للحديث عن أحوالهم وتفصيلها.

وتقسمت قبيلة جلاس إلى قبيلتى الروالة والمخلف، وتشعبت من قبيلة المخلف قبائل عبد الله وفرسة وبدور وسوالمة.

ومن الزوالة تشعبت قبائل قنعيسان، ودغمة، والفرلفة، ونصير.

وتنزل قبيلة جلاس عامة بين الصحراء التى فى جهة ناحورا، وفى جهة جوف من جبل شمر، وخاصة فى الأماكن الواقعة بين دجلة والفرات، وتنزل أحيانًا بجانب قلعة خيبر.

ولما نأتى إلى قبيلة بشر نجد أنها قد تفرعت منها قبيلتا جد، وسلقا، ومن قبيلة جد تفرعت قبيلتان فدعات وسبعة، وعربان قبيلة (سلقا) يقيمون فى منطقة الحسا.

ولقبيلة سلقا شعب وفيرة وأفرع متعددة، ولكن أهمها قبائل «حائط وحويط» المقيمتان بالقرب من جبل شمر، وقبيلة أولاد سليمان المقيمة بجوار خيبر.

وأفراد قبيلة عنزة كثيرة وشهرتها ذائعة. وأكثر أفراد هذه القبيلة يمضون الصيف بجوار ولاية سوريا، كما يمضون موسم الشتاء متنقلين فى شمال جزيرة العرب وفى الصحارى الواقعة بين الشام وحمص وحلب وبغداد، وفى الأراضى المتسعة الأخرى. ويبلغ عددهم من حيث المجموع ثلاثمائة وخمسين ألفًا.

فى بيان قبيلتى حويطات وجهينة

يقيم أفراد قبيلة حويطات فى سواحل البحر الأحمر الشرقية التى تمتد من قلعة عقبة وقلعة إزلم إلى السويس. فى حالة تنقل ولما كانوا يحصلون حاجاتهم من الملبوسات الضرورية من مصر فعلاقتهم مع مصر، والأماكن التى تسكنها قليلة الإنبات وأراضيها مجدبة، وعندما تقل الأمطار وتجوع حيواناتهم فى المراعى يذهبون إلى جهات عنزة.

وإن كانت قد تفرعت من القبيلة المذكورة اثنتا عشرة قبيلة ولكن أكثرها أفراد الجازاى، والرياضات.

وقبيلة بنى عطية المقيمة فى طريق موكب حج مصر الواقع فى طريق الحسما فرع من فروع قبيلة حويطات.

وقبيلة عمران قبيلة مهمة تفرعت من قبيلة (حويطات) وتسكن حيث تسكن حويطات. وبما أن قبيلتى دبور، وبدول متفقتان مع قبيلتى حويطات وعمران بجوار قلعة عقبة فهما مستقرتان وساكنتان فى مواقعهما.

وإن كانت قبيلة سبايحة أيضًا ساكنة فى هذه الأماكن إلا أن قبيلتى تباها وترابين مستوطنتان فى أماكن قريبة من غزة، كما أن قبيلة (ويلى) ساكنة ابتداء من المكان المعروف بـ (فقير) والأراضى التى تمتد إلى ميناء الوجة[1] وفى وادى حمص وأفراد قبيلة سبايحة يتنقلون من هذا الميناء وحوالى هذا الوادى وفى الأماكن القريبة من قلعة الإزلم.

(١) كان الحجر الصحى يقام فى هذا الميناء للحجاج المصريين.

ويبلغ عدد أفراد القبائل التى تسكن فى هذه المواقع أى فى الجهة الشمالية القريبة من الأقطار الحجازية وفى الأراضى التى تمتد من قلعة الأزلم، والعقبة وميناء الوجه إلى السويس مائة ألف نسمة.

وهناك قبيلة أخرى مقيمة فى جبل حساين الواقع على شاطئ البحر الأحمر، وعلى ثلاث مراحل من الطرف الشمالى لينبع البحر، ويشتغل أكثر أفراد هذه القبيلة بالملاحة وأمور خاصة بالسفن، ويروى أن تلك القبيلة متشعبة من قبيلة بنى عيسى المشهورة التى تسكن بلاد اليمن الواسعة.

قبيلة جهينة:

تسكن هذه القبيلة والجماعات المنسوبة لها فى شاطى البحر من جبل حساين إلى ينبع البحر، وفى المواقع التى من جبل حساين إلى ينبع هدية وبجوار قلعة شجرة، وبئر فقير وفى الوادى المسمى عباس وفى ينبع البحر وجبل رضوى الواقع على شرقه بخمس ساعات، ولما كانت كلها قبائل رحل فهى تسكن حيثما شاءت ووقتما تشاء.

وتنقسم تلك القبيلة إلى قسمين واللذين يعرفان بـ أولاد مالك، وأولاد موسى أشراف.

وقد تشعب من قبيلة البراهمة قبائل صبحة، عيايشة، وعروة، وكومة، وسنبنات، وحصينات، وأساورة، ومسادى، ورفاعة، وبنى كلب، وحيادلة، حمدة، ومواليد وقد تفرعت من كل واحدة من هذه البطون عدة خمسات وبطون أخر سواء أكانت تلك القبائل المذكورة أما تفرعت منها من البطون فى القسم الذى يسمى أولاد مالك.

إيضاح:

يقال خمسة لوالد الشخص وعمه وخاله ومن ولد من هذين من الذكور وكلهم خمسة أشخاص. إذا ما قتل أحد من العربان شخصًا آخر يقتل أحد من

خمسة المقتول القاتل، وبهذا يأخذ ثأره. وتعبير خمسة عبارة عما تم شرحه، وقد تفرعت الخمسة فى القبيلة واختلطت من جميع الجهات بالأولاد والأنسال، وأصبحت قبيلة مستقلة للفظ خمسة كناية عن ذلك.

والقسم الثانى الذى يتكون من قبيلة جهينة أولاد موسى:

وقد تفرعت أيضًا إلى قبائل عديدة، كالقبائل المشهورة التى تشعبت من قبيلة براهمة وهى موالى، ومراوين، علاوين، وزيبان، وعوامرة، ونزة، وسمايحة، وما تفرع من كل واحدة منها من الخمسات تشكل القسم الثانى من قبيلة جهينة.

وتبلغ قبيلة جهينة بكافة أفرعها من حيث المجموع خمسين ألف نسمة تقريبًا. ويشتغل بعض منهم بالملاحة وتسيير السفن وصيد السمك، وبعض منهم يعمل بالفلاحة والزراعة ويتعيش من ورائها وتسكن القرى والمدن، ولكن القسم الأعظم منهم يمضون حياتهم فى الترحل وتحت الخيم.

قبيلة هيتم فرع من قبيلة بنى عبس:

الحمية والسياسة العربانية:

الحمية والشجاعة الفطرية لا حد لها بين العربان. وحدث أن قامت حرب بين هذه القبيلة وقبيلة أخرى[1] مجاورة لهم منذ خمسمائة عام، وكانت حرب شديدة قاسية نتجت عنها خسائر كثيرة فى الأرواح والأموال، لذا اجتمع ثلاثة وثلاثون من شيوخ القبائل الأخرى حتى ينهوا هذه الحرب، ويضعوا حدًا لأوزارها بالصلح بين القبيلتين وفعلاً حسبوا ديات القتلى وفق القوانين القبلية، وأرضوا الطرفين وعقدوا الصلح بينهما. ولكن بعد فترة قام شجعان قبيلة هيتم بالإغارة على أعدائهم وقتلوا من وقع فى أيديهم من رجال ونساء وأطفال ولم يبقوا على أحد، وكانت هذه الجريمة فى غاية السوء منافية للصفات الإنسانية، ومناقضة للقوانين الجارية بين البدو، وبناء على ذلك أقسم الشيوخ الذين سبق ذكرهم على قتل أفراد القبيلة المعتدية كلهم بحيث لا يبقون لهم اسما ولا ذكرا، وتعاهدوا على ذلك.

(١) يقصد قبيلتى عبس وذبيان.

ولكن فيما بعد، لسبب ما تراجعوا عن عقابهم بهذه الصورة، وقرروا تأديبهم ومجازاتهم بصورة أخرى، وذلك بأن يكونوا مهانين ومحقرين من قبل القبائل الأخرى، وألا تضمهم أرض واحدة معها، وألا يختلطوا بالقبائل الأخرى بالزواج وغيره، وحتى إذا سكنوا فى أرض قبيلة من القبائل عليهم أن يدفعوا لهم مقداراً من المال باسم الزكاة، وأن يبدل اسم قبيلة عبس باسم هيتم الذى يعنى الذليل الحقير. ومن ذلك الوقت تراهم أذلاء ومهانين عند القبائل الأخرى وهم فعلاً فقراء.

وخلاصة القول أن القبائل الأخرى تنظر إليهم كنظرهم إلى الغجر.

والقبائل التى توجد فى الأقطار الحجازية من بطون بنى هيتم هى (مهيمزان، ذوو رشيد، ذوو براك، ونوامسة، شرارات، وهتمان.

وتسكن قبيلة مهيمزان بين الحناكية القريبة من المدينة المنورة وكريزية، وقبيلة ذوى رشيد فى قرى حائط وحويط، وأبو حبان، وصحراء وادى رُما وقبيلة ذوى براك فى الصحارى الممتدة من جبل سراة إلى جبل شمر، وقبيلتا النوامسة وشرارات تسكن حول قبائل عنزة وبعضها فى أراضى جهينة، والقبيلة الضخمة التى تسمى هتمان تسكن حوالى مكة المكرمة وفى داخل البلاد اليمنية.

فى ذكر عربان قبائل نخاولة وبنى حرب

قبيلة نخاولة وبنى حرب: قبيلة نخاولة قبيلة محتقرة فى غاية الاحتقار بين أهالى الحرمين.

فمن المعلوم أن العساكر الذين أرسلوا من قبل يزيد بن معاوية بنية ضبط المدينة المنورة والاستيلاء عليها نهبوا أموال أهالى المدينة المنورة الكرام وأمتعتهم وهتكوا أعراض نسائها وشرفهن، ثم انصرفوا ناحية الشام! عندئذ عُزلت النساء اللاتى حبلن من هؤلاء الملاعين والأولاد الذين ولدوا نتيجة السفاح وأسند إليهم لما كبروا وظائف العناية بالحدائق التى حول المدينة المنورة.

وتكونت قبيلة نخاولة من سلالة أولاد الزنا الذين اشتغلوا بمراعاة الحدائق التى حول المدينة وأطلق على أفراد تلك القبيلة فيما بعد نخاولة.

ومنذ ذلك الوقت لا يتزاوج أهالى المدينة بأفراد هذه القبيلة ولا يختلطوا بهم. ولما كان هؤلاء رافضة المذهب فإنه لا توجد بين أسماء رجالهم ونسائهم أسماء أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعائشة. وحمقى الشام الذين ينتسبون لهذه القبيلة، يختلطون ويتزاورون دائمًا مع مَنْ هم على مذاهبهم. ويتزاوجون فيما بينهم بزواج المتعة.

وقد وصل عدد النخاولة الذين يسكنون فى الحدائق المذكورة وفى الغرف الأرضية التى تسمى حوض إلى الآن اثنى عشر ألفا.

وكل الشيعة والروافض الذين يزورون المدينة المنورة فى زماننا ينزلون فى

منازل النخاولة عامة. ويقيم أبناء النخاولة فى الحدائق التى خارج المدينة وفى الأماكن التى تسمى حوش النخاولة، وبناء عليه لا يوجد فى داخل المدينة المنورة فرد من جنس النخاولة.

قبيلة حرب:

انقسمت قبيلة حرب إلى قبيلتين كبيرتين وهما بنو سالم وبنو مسروح. كما أن بنى سالم قد انقسموا إلى شعبتين وهما ميمون، ومراوحة.

وتتفرع شعبة بنى سالم الأولى بنى ميمون إلى اثنتى عشرة بطنا واشتهر التسع من هذه البطون بين العرب بأسماء محمادى، ولوعى، رحيلى، حيدرى، عمرى، سريجى، يحيوى، مورعى، قايدى، كما تشعبت من كل واحدة منها الخمسات، والقبائل الثلاثة الباقية هى أحمدى، محمدى، صبحى، وكل واحدة منها انقسمت إلى أربعة أقسام هى حميدى، ضميرى، فضيلى، ذكيرى وتنتمى إلى قبيلة أحمدى، وتنتمى تمم، سعادين، لويلح، وسواعدة إلى قبيلة محمدى. وتنتمى عليانى، لبيدى، فخمى، ومرزوقى إلى قبيلة صبحى كما تفرع من هذه الأقسام خمسات متعددة.

كما أن مراوحة بنى سالم عرفت بأسماء نوامية، وقراف، وظواهرة، وجبول، وحنيطات، وذرعات، وحجلة، ومزينة، وردادة، وحناينه وهى قبائل صغيرة تكون جماعات ما تعرف بقبيلة حوازم.

وكافة هذه القبائل الصغيرة تتعايش بنقل الحجاج بجمالهم ونقل ذخائر وأمتعة أهل المدينة، وهم عامة أهل طاعة وانقياد.

ويسكن عربان القبائل التى سبق ذكرها محمدى فى طريق ملف ورولوعى فى قرب خيف الكسا ورحيلى حول بئر الروحاء.

وحيدرى فى ينبع النخل، وعمرى فى مضيق جديدة وأم ديان وسريجى ويحيوى ومورعى وقايدى فى ينبع النخل أيضًا، وأحمدى فى جبل فقرة المشهور لمضيق جديدة، وحواليه وفى الجبال الأخرى القريبة منها رحقان وجعفر تسكنان

القرى، ومحمدى بين المدينة المنورة وشجوة، وصبحى فى بدر والحسينية وما حولهما من جبال.

وفرقة مراوحة القسم الثانى من بنى سالم وهى نوامية، وقراف، وحنيطات، وجبول، وحجلة، ومزينة، ورداده، وحناينة. وهذه تنقسم إلى عشر خمسات، وكل خمسة تنقسم إلى خمسات متعددة، ويطلق على جملتها حوازم، وأفراد هذه الخمسات يسكنون عامة فى المواقع التى سيأتى ذكرها.

وتسكن قبيلة نوامية فى الجهة الجنوبية من الطريق السلطانى وخيف الكسا، وعربان قراف فى قرية حمرة والجبال التى حولها، وفريق من عربان الظواهرة فى حمرة، والفريق الآخر فى نجد، وقبائل حنيطات وجيول، وذرعات فى قرية صفراء وما حولها من الجبال، وعربان حجلة عند أسوار بئر الشريوفى، وعربان مزينة بين الجبال الواقعة بين نجد والمدينة المنورة فى الجهة الشرقية منها، وعربان رداده بين المدينة المنورة وبئر الشريوفى، وبعض من عربان حناينة حول المدينة المنورة وبعضهم فى إقليم نجد.

ولما كان عربان بنى سالم أكثرهم بين المدينة المنورة، وينبع البحر، أقام القسم الثانى من مسروح فى الأماكن التالية: فعربان جرم يسكنون فى قرية مضيق الواقعة على طريق فرعى وطريق غابر، وفرقة من عطور ومنَاش فى قرية مضيق الواقعة فى طريق الفُرع، والفرقة الأخرى تسكن فى بادية نجد، وعربان بشر يسكنون حول مكة المكرمة، وبجانب حارة عربان معبد بن عبد الله، وعربان بلدية وحُمْرَان حول مكة المكرمة، وبعضهم فى قرية تسمى بلدية والجبال التى حولها، وعربان بدارين وبنى جابر وشعب فى الأماكن التى على الجهة الشرقية من الحناكية وإقليم نجد.

لذا يطلق على الأراضى التى بين البلدتين المباركتين أراضى المسروحية.

وقبيلة بنى حرب قبيلة كبيرة بين القبائل العربية، وخاصة فى الأقطار الحجازية. وإذا ما أحصوا بكل فروعهم يبلغ عدد أفرادهم على أقل تقدير سبعين أو ثمانين ألفا.

فى تعريف قبائل مطير وبنى سليم وبنى عتيبة وقريش وهذيل وثقيف وبنى عدوان

قبيلة مطير:

تشعبت من قبيلة مطير قبائل دويس، وميمونة، وبنى عبد الله، وتفرعت من هذه الشعب خمسات متعددة تسير وتسكن أفراد تلك القبائل وشعبها ابتداء من مضيق حنق على مرحلة واحدة من المدينة المنورة وعلى جانبها الشرقى والأماكن الكائنة بين قرية حازة وقريتى سوارقية وصفينة.

ولما كان أكثر هؤلاء من أهل البداوة فهم يسكنون الخيم ويتجهون حيث يجدون العشب وحيثما ينزل المطر، ناقلين أثقالهم ومواشيهم، وهذه عادة قديمة عندهم. يبلغ عددهم نحو أربعين ألفا.

بنو سليم:

يسكن أفراد قبيلة بنى سليم بين قرية حازة الواقعة على الطريق الشرقى للمدينة المنورة الذى يمتد إلى مكة المكرمة والأماكن الواقعة بين مكة المكرمة، ويقدر عددهم بنحو ألفى نسمة.

وعربان أحمدى الذين يسكنون جبل فقرة على بعد ست ساعات من قرية جديدة التى تقع على يمين الطريق السلطانى، ومضيق جديدة عند الاتجاه إلى مكة المكرمة من المدينة المنورة فرع كبير انفصل عن قبيلة بنى سليم، . ويطلق على عربان أحمد أحامدة أيضًا.

قبيلة عتيبة:

وقبيلة عتيبة قسمان يسمى أحدهما برقا والآخر بريا وتتشعب من هذين القسمين قبائل متعددة وخمسات.

وأهم القبائل والخمسات المتفرعة من برقا وبريا قبائل روسان، وروفة، ومفطة، وشياين، ودعاجين، وعصمة، وجذعان، وحناتيس، وهى ثمانى قبائل ويبلغ عدد أفرادها عشرين ألفًا.

وهناك بعض أفراد القبائل الساكنة فى جوار الطائف والأماكن الواقعة على الطرف الشرقى من الطائف هؤلاء أيضًا من العربان الذين ينتمون إلى بنى سليم وبنى مطير.

قبيلة قريش:

ولا تحتاج قبيلة قريش للشرح والتوضيح والبيان وكانت تشتهر قبل البعثة النبوية بين القبائل العربية بكثرة عددها وقوتها وصولتها، كما هو مسطور فى كتب التواريخ القديمة.

وقد هاجر الجزء الأعظم من أفراد هذه القبيلة مع فخر الكائنات عليه أفضل الصلوات، ومن بعده إلى المدينة المنورة كما أن بعضا منهم صحبوا الغزوات التى ساقها الخلفاء الراشدون إلى الأقطار الشامية والمصرية والعراقية، وبعد الفتح اختاروا الإقامة فى هذه الأماكن، وسكن بعض منهم فى مكة المكرمة وسائر المواقع، وذابوا فى سكان البلاد التى سكنوا فيها، والذين بقوا منهم الآن لا يتجاوز عددهم ألفى نسمة.

وأفراد تلك القبيلة يسكنون فى بعض المواقع الخاصة حوالى مكة المباركة ووادى الخيف وحواليه، وفى وادى عرفات، وأخشبان وحول هذين الواديين وبين مكة المكرمة وجبالها المتسلسلة.

أشرف القبائل:

وتفضل قبيلة قريش من حيث القوة والمجتمع القبائل الأخرى، كما أن أصالتها من حيث الحسب والنسب معترف به عند الجميع ومسلم بها وأشرف بطونها: بنو هاشم.

والقرشيون من أولاد فهر، وتفرقوا فى زمن كنانة، وقد جلبهم وجمعهم قصى بن كلاب فى ظواهر وبطاح مكة، لذا سموا بقريش وانقسموا إلى قسمين ويطلق على قبائل بنى عبد مناف، وبنى زهرة، وبنى عبد العزى بن قصى، وبنى عبد الدار بن قصى وبنى تيم بن مرة، وبنى سهم وبنى جمح ابنى عمرو بن هصيص بن كعب وبنى عدى بن كعب، وبنى هلال بن مالك بن حبنة بن الحارث بن فهر بن عامر بن لؤى قريش البطاح.

كما يطلق على أولاد بنى معمر بن غالب بن فهرَ وبنى بعيص بن عامر بن لؤى وبنى محارب بن فهر وبنى الحارث بن فهر يطلق عليها قريش الظواهر.

كما أن جماعة أسامه، حارث، سعد، وعوف، من أولاد لؤى بن غالب أيضًا، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يندرجوا فى عداد لا قريش البطاح ولا قريش الظواهر لهجرتهم إلى بلاد أخرى.

قبيلة هذيل:

تسكن قبيلة هذيل فى الجبال التى بين مكة المكرمة وبلدة الطائف الجبال التى تتسم بعلوها ووعورة طرقها ولا سيما حول جبل قرا.

والقبائل الثلاثة التى تدعى بعلويين، وتدوين، وبنى خالد أهم قبائل انفصلت عن قبيلة هذيل، ويبلغ مجموع عدد أفرادها إلى عشرة آلاف نسمة تخمينًا.

قبيلة ثقيف:

تسكن قبيلة ثقيف فى الطائف والقرى التى حواليها، وخاصة بين صحارى الطائف وجبالها وفى قرية بجيلة التى فى جنوب الطائف.

ونصف أهل الطائف ينتمون لهذه القبيلة، وينتمى إلى ثقيف الحجاج بن يوسف الثقفى الذى اشتهر بظلمه وجبروته، ومختار الكذاب الذى ادعى النبوة فى الجاهلية، كما أن عربان بنى سفيان يتفرعون من قبيلة ثقيف.

وعربان قبائل بنى سعد، وناصرة، وربيعة، وعيلة، وإن كانوا ينتمون من

حيث النسب إلى قبائل أخرى ولكنهم يسكنون فى أماكن خاصة بثقيف ويعيشون متآلفين مع أفراد قبيلة ثقيف. ويصل عدد أفرادهم إلى ما يقرب من خمسة وعشرين أو ثلاثين ألف نسمة.

ويقيم عربان قبيلة بقوم فى قرى رنية، وبركة العشيرة ويختلطون بأفراد قبيلة ثقيف، ويعيشون متآلفين معهم إلا أنهم لا يعدون من قبيلة بنى ثقيف.

قبيلة عدوان:

كانت قبيلة عدوان وأفرادها يتميزون من حيث الكرم والشجاعة على عربان القبائل الأخرى، واشتهروا بذلك وبهذا اكتسبوا شرف صداقة أشراف مكة المكرمة الكرام وسعدوا بها.

وعندما كانت قبيلة (عدوان) تحمل الشهرة والشرف الذين سبق الحديث عنهما كانت تسكن فى الأراضى الواسعة والجبال والأودية التى بين جدة والطائف، ولما قل عددهم ونقص شرفهم اختاروا السكنى فى الجهة الجنوبية من الطائف. ومجموع عدد أفرادهم يكاد يبلغ ألفى نسمة.

وكانت مرضعة النبى ﷺ حليمة ـ رضى الله عنها ـ تنتمى إلى هذه القبيلة، وبما أن قبيلة سعد كانت تحوى تاج المُخدّرات وعمدة الصالحات فقد كان أشراف مكة الكرام يودعون أولادهم إلى وقت قريب فى أحضان مرضعات هذه القبيلة، لإرضاعهم وتربيتهم.

قبيلتا ابن الحارث وبنى سعيد:

يسكن أفراد قبيلة ابن الحارث الذين يبلغ عددهم ألفى نسمة فى الجهة الشرقية من الطائف، كما أن بنى سعيد الذين يبلغ عدد نفوسهم ثلاثة آلاف فى الجهة الجنوبية من الطائف وأفراد هاتين القبيلتين أيضًا يختلطون مع بنى ثقيف متآلفين متآنسين.

فى ذكر القبائل العربية التى تسكن بين مكة المعظمة وجدة وقنفذة وفى ساحل البحر الأحمر الذى يعد جزءًا من تهامة الحجاز

بنو لحيان:

يقيم عربان قبيلة بنى لحيان فى الأماكن الواقعة بين مكة المكرمة وجدة وتقتصر معيشة بعض هؤلاء على ما يحصلون من المبالغ من المسافرين والحجاج الذين يسلكون هذا الطريق ويتعيش الآخرون كبقية البدو من تربية الحيوانات ويبلغ عددهم ألف وخمسمائة شخص.

بنو جحادلة:

يسكن عربان قبيلة جحادلة فى الجهة الجنوبية من مساكن قبيلة لحيان، وخاصة فى وادى لملم، ويتكسب هؤلاء بنقل المسافرين الذين يذهبون من مكة المكرمة إلى اليمن على ظهور جمالهم ونقل بضائعهم.

وهناك قبيلة بنى فهم غير القبائل المذكورة، وتقيم فى وادى خضر وقبيلة يزيد والتى تقيم فى وادى يزيد، وقبيلتا بجالة وبنو منعان وتسكنان فى وادى حسن، والأسود، والأعور، وبنو سليم فى وادى دوقة وأشراف قبائل ذوى زيد وبنى هلال وبنى عفيف فى عصم. وقبيلتا بنى ناشر وبنى عاصم فى وادى أجية وقبائل بنى عمر وبنى على وبنى زيدان فى وادى قنفذة.

ويبلغ عدد أفراد عامة هذه القبائل عشرة آلاف نسمة تقريبًا، ولما كانت أماكن إقامتهم غير منبتة، يزرع بعض سكانها فى السنين الممطرة الذرة ويجنون محاصيلها كما أن بعضهم يعيشون على صيد الأسماك على ساحل البحر الأحمر.

فى تعريف اليمن وملحقاته والقبائل المستقرة فى هذه الأماكن

اليمـن:

خطة اليمن منطقة كبيرة من جزيرة العرب، تقع فى الطول الشرقى من درجة ثلاث وأربعين إلى درجة خمسة وأربعين. وفى العرض الشمالى فى درجة اثنتى عشرة، وتقع على الطرف الجنوبى الغربى من الجزيرة المذكورة.

ويحيط بها من الجانب الغربى البحر الأحمر وفى الطرف الجنوبى خليج عدن، ويحدها من الشرق حضرموت ومن الشمال الحجاز. ومساحتها الطولية من الجهة الشمالية إلى الجهة الجنوبية سبعمائة وخمسة وخمسون كيلو متر، ومساحتها العرضية من الجهة الغربية إلى الجهة الشرقية ثلاثمائة وخمسون كيلو متر. ويبلغ عدد سكانها مليونين وخمسمائة ألف نسمة تخمينًا.

وتنقسم جغرافيًا بالإجمال إلى قسمين:

القسم الأول: من الخطة اليمانية الواسعة: الأراضى الواسعة المستوية على ساحل البحر، وتسمى تهامة وتمتد من شاطئ البحر إلى الداخل ما يقرب من اثنتى عشرة ساعة وهى أراض سهلة مستوية.

والقسم الثانى: الأراضى المقابلة لتهامة وهى أراضى مرتفعة، ويطلق عليها نفس اليمن وهى فوق جبال متسلسلة تسمى جبال سروات وتمتد من الطائف إلى صنعاء.

ويسكن أغلب أهالى الممالك اليمانية فى القرى والمدن وقد تعودوا على أن يكتسبوا قوتهم بالزراعة والتجارة، لذا تجد أن العربان الرحل يقلون بالنسبة للأماكن الأخرى لجزيرة العرب.

التحقت البلاد اليمانية بالممالك العثمانية فى عهد السلطان سليمان القانونى طاب ثراه، وقسمت إلى محافظتين تهامة واليمن. ومقر إدارة تهامة كان مدينة زبيد ومقر إدارة اليمن صنعاء.

ولما كانت مدينة زبيد على بعد ثلاث مراحل من البحر فقد تفرق سكانها وأشرفت على الخراب، وأخذت مدينة جديدة تزدهر لأنها على شاطئ البحر فاتخذت مركز إدارة لولاية تهامة.

والمدن التى من جدة إلى عدن وعلى شاطئ البحر من مدن تهامة هى:

ليـت:

بلدة ليت على الطرف الشرقى الجنوبى لجدة وعلى بعد تسعين ميلاً منها، وهى مدينة صغيرة قديمة، وإن كانت لها حدائق نخيل ومياه عذبة فى آبارها، إلا أن جوها وخيم بسبب كثرة رياحها التى تثير الغبار حتى يكاد الإنسان لا يفتح عينيه.

وفى نفس المدينة دائرة حكومية وجامع شريف وخمسمائة وخمسون منزلاً وخمسون دكانًا، وفى مرساها الذى يبعد عن المدينة نصف ساعة والتى تبعد عن مكة المكرمة أربع مراحل بسير الجمل حجر صحى ودائرة جمركية.

وسكانها الأصليون ألف نسمة تقريبًا، ولكن بما أنها أقرب مرساة لعربان القبائل التى حولها فكلّ فرد منهم يأتى بما يريد أن يبيعه من غنم أو سمن[1] والأشياء الأخرى لهذه المدينة، ويشترى ما يحتاج إليه من حاجياته الضرورية، ففى هذه المرساة تتم عمليات استيراد وتصدير لا بأس بها.

وميناء (ليت) مشهور بين موانى البحر الأحمر. فمرساته فى هذه المدينة التى تبعد عنه نصف ساعة فى الجهة الشمالية، كما أن له دائرة جمركية ودائرة الحجر الصحى أيضًا.

لم تكن هاتان الدائرتان ـ إلى وقت قريب ـ مبان من الحجر واللبن بل كانتا كوخين من الأعشاب. وبناء على الإرادة السنية التى صدرت فى خلال عام ألف

وثلاثمائة وخمسة الهجرية بنيت إدارة حكومية كاملة، وجامع ومخبز ومدرسة للصبيان فى شبه الجزيرة الملاصقة والمتاخمة لهذه المدينة، كما حفر خندق عميق يكون طرفاه الجزيرة المذكورة ومتصلان بالبحر من ناحيتين بُنى فوقه برج من الحجارة ذو أربعة أبواب للدفاع لحماية الميناء.

وكان الميناء المذكور قد حفظ وحدد بصخور مرجانية مستديرة الشكل كالقوس، وكان فى وسط هذا الخط مدخل للسفن يستوعب عشر قطع من السفن، وتستطيع الصخور المرجانية أن تحمى السفن من جميع أنواع العواصف التى قد تهب، وكان عمقه مناسبًا وكان هذا الميناء قريبا فى مكان تلتقى فيه منطقتا عسير والحجاز ويسمح بتوسيع دائرة تجارة سكنة هاتين المنطقتين.

لذلك وُزع قدر كبير من الأراضى التى فى جهة اليابسة من الميناء على الأهالى المستوطنين هناك، وكذلك على الذين يرغبون فى الحصول على الأرض من الخارج ولا سيما للموظفين المحليين، وبناء على ذلك بُنيت عشرة منازل وعدة دكاكين، كما أن السلطان أيضًا بنى من جانبه المنزل والدكاكين فأطلق على هذا البلد الجديد اسم معمورة الحميد.

وبما أن موظفى الحكومة نقلوا إلى معمورة الحميد، وأرسل إليها من جدة مدفعان ومجموعة من الجنود النظاميين وطاقم مدفعى وأسكنوا فى البرج المذكور ولا شك فى أن هاتين المدينتين ستنهضان وتشتهران.

قنفـذة:

تقع بلدة قنفذة فى الجنوب الشرقى من مدينة (ليت) المذكورة آنفا وعلى ساحل البحر. كان سكانها الأصليون يتكونون من ألف وخمسمائة نسمة، إلى أن أرسل فى سنة ١٢٨٠ الجيش السلطانى لدفع غائلة خروج أمير عسير محمد بن عائض من باب السعادة، وأخرجوا رأسًا إلى قنفذة واتخذت مركز حركة للجيش لقربها من جبال عسير فجاء إليها من الأطراف والأكناف كثير من الأشخاص، واستوطنوا فيها وبناء على ذلك استمر سكانها فى الزيادة يوما بعد يوم.

اللحيـة:

واللحية مدينة شهيرة على بعد مائة وثلاثين ميلاً فى الجنوب الشرقى من قنفذة وعلى شاطئ البحر الأحمر، وهى مدينة رائجة بالتجارة وميناء مزدحم، وإن كانت تشمل أربعة آلاف منزل ولكن أكثرها من نوع العشش المبنية بسعف النخيل، ويقدر سكانها ما بين ثمانية آلاف وعشرة آلاف.

أبو عريش:

تقع مدينة (أبو عريش) على بعد تسعة وثمانين كيلو مترًا من اللحية على الجانب الشمالى منها، وبالقرب من البحر الأحمر ويبلغ سكانها خمسة آلاف نسمة تقريبًا.

الحديدة:

تقع مدينة الحديدة على بعد خمسين ميلاً تقريبًا وفى الطرف الجنوبى الشرقى من (اللحية) ومحصورة بسور فى غاية العمار ولها قلعة مستحكمة.

ولما كانت البلدة المذكورة أكثر مدن اليمن الساحلية رواجًا بالتجارة وازدحاما بالسكان وانتعاشًا، وميناء الشط فقد اتُخذت مقرًا لمتصرف اليمن.

وتمر بهذا الميناء البواخر والسفن الشراعية الآتية من الهند وزنجبار وخليج البصرة إلى جدة للتزود بالمياه والمؤن وإنزال المسافرين فى أكثر الوقت وخاصة فى مواسم الحج، وغير ذلك تحمل المحاصيل المحلية الكثيرة إلى السفن من هذا الميناء ولتجارها علاقات وروابط بأهالى جدة ومصر وحضرموت.

وتخلو بلدة الحديدة من المياه الجارية، لذا يدبر الأهالى أمورهم بمياه ست آبار على بعد نصف ساعة منها.

وإن كانت مياه هذه الآبار مالحة قليلاً مثل ماء البحر، إلا أنها لا تضر الجسم بل تساعد على هضم الطعام.

المخـآ:

تقع مدينة المخا على بعد تسعين ميلاً من الحديدة وعلى شاطئ البحر الأحمر، وقريبة من مضيق باب المندب والمسافة بينها وبين زبيد ثلاث مراحل.

وكانت هذه المدينة مشهورة قديمًا وكانت غاية فى العمار فى الأزمنة السابقة وكانت مدينة تجارية رائجة. وقد بلغ عدد سكانها قبل خمس وعشرين سنة إلى عشرين ألفا، إلا أنهم لم يتحملوا فيما بعد هجمات عربان عسير وغاراتهم وتعدياتهم المتوالية فتشتتوا هنا وهناك.

ولم يبق الآن داخل المدينة غير خمسمائة شخص وبناء على ذلك تحولت تلك المدينة الكبيرة إلى خرائب وأطلال. إلا أنه فى ظل السلطان أمكن القضاء على الأشقياء المذكورين، وأزيلت تعدياتهم وغاراتهم من هناك كليًا. ومن المأمول أن يعود للمدينة عمارها القديم وسكانها.

عـدن:

تقع مدينة عدن فى نهاية جزيرة العرب جنوبًا وبالقرب من مضيق باب المندب من خليج عدن، وعلى بعد مائتين وخمسة وعشرين كيلو متر من مدينة المُخا.

وكانت دولة إنجلترا قد اشترت هذا المكان فى سنة ألف وثمانمائة وتسع وثلاثين ميلادية من أحد مشايخ العربان، وأنشأت هناك قلعة على أنها مخزن. وكان أهالى عدن فى ذلك الوقت ألفى نسمة، ولكنهم ازدادوا قليلاً فقليلاً بالتدريج حتى بلغوا وتجاوزوا عشرين ألفا. وبما أن مضيق باب المندب يقع بين المخا وعدن، تعد مدينة عدن بمثابة مفتاح البحر الأحمر. والمسافة بين مدينة عدن وصنعاء ثلاث مراحل، وقد استوطن عربان (لحج) بين هاتين المدينتين.

وادى كنونة:

يقع وادى كنونة بالقرب من قنفذة عندما تقطع قطعة اليمن من طرفها الشمالى إلى جهتها الجنوبية رأسًا.

وتسكن قبائل بأيعر، وبنى زيد، وبنى حرب، وبنى عبس، وبنى سهيم، فى داخل وادى (كنونة). ويصل عدد أفراد هذه القبائل مجتمعة خمسة آلاف أو ستة آلاف نسمة.

وهناك وادى ويبة وهو ملاصق للوادى المذكور، وتسكن فيه قبيلتان معروفتان باسم بنى بجير، وبنى الروحة وعددهما ثلاثمائة نسمة.

وفى نهاية وادى (ويبة) محل يسمى حلى تسكن فيه قبائل بالمنتشر، وبالعريان، وعوامر، وبالكنانى ويصل عددها إلى أربعة آلاف نسمة تقريبًا.

وتسكن بجوار أبى العريش قبيلة مسارحة وجيزان بالقرب من نجران قبيلتا بنى سبيل وبنى شبيل. ويبلغ عدد كلها ستمائة نسمة.

وقد سكنت قبيلتا بنى مروان وحرض بين جيزان واللحية ولما كانتا عريتين عن الأخلاق والفضيلة، فضلتا التعيش عن طريق اللصوصية وقطع الطرق، ويكاد أن يبلغ عددهم ألف وخمسمائة فقط وتسكن القبائل: بنى قصير، بنى جامع، بنى شيبة، بنى شايع بجانب اللحية ويبلغ عددهم ألف نسمة تقريبًا.

ويبلغ عدد مجموع أفراد قبائل بنى زين، وبنى راجح، والفرانتة، وبنى طاهر، وبنى هيجان التى تسكن فى الوادى المشهور بالواعظات فى الجهة الشرقية من اللحية سبعة آلاف نسمة.

وتسكن قبيلتا بنى حسن، وبنى عبس وقبيلة أسلم فى القرى التى أمام وادى الواعظات، ويشتهر سكان كل قرية باسم القبيلة التى ينتسبون لها ويذكر العارفون أن عددهم يبلغ خمسمائة نسمة.

وفى الأماكن التى تمتد فى محاذاة اللحية إلى مضيق سندس جالية من القبائل البدوية الرحل، ولما كان سكان هذه المنطقة يسكنون فى القرى والمدن فإنهم يشتغلون بالزراعة والتجارة.

ولما كانت الحرارة شديدة فى تهامة لا تنبت بها شجرة البن، وينحصر نمو أشجار البن فى اليمن فى الأماكن الجبلية ووديانها.

نفس اليمن وصنعاء:

تقع نفس اليمن فوق الأراضي المرتفعة والجبال العالية. وتشمل قرى متعددة عامرة وأماكن قابلة للزراعة.

وأكثر جبالها ليست جرداء كالجبال الأخرى، بل هى تتكون من الوديان الصالحة لنمو الأشجار وقابلة للزراعة، ويدخل فى حكم هذا الإقليم جبل عسير أيضًا.

وأجل بلاد اليمن وأشهرها مدينة صنعاء التى تقع على بعد تسع وخمسين ساعة فى جهة اليابسة. تقع تلك المدينة فى الشمال الشرقى من بلدة مخا وعلى بعد مائتين وخمسة وأربعين كيلو متر منها، وفى درجة واحدة وتسع وثلاثين دقيقة من خط الطول الشرقى، وخمس عشر درجة وعشرين دقيقة من خط العرض الشمالى، وكانت قديمًا فى غاية من العمران، وإن كانت تخربت فيما بعد، ولكن لما أعيد لها أمنها بعون السلطان أخذت تزدهر عمرانيًا مرة أخرى. وهى مدينة لطيفة وتتزين أطرافها بالحدائق والبساتين.

ويبلغ عدد سكانها ثلاث وعشرين ألف نسمة وأربعمائة، تسعة عشر ألف وسبعمائة منهم مسلمون، والبقية يهود.

وهى كثيرة المياه والثمار وتشبه دمشق الشام من هذه الناحية، بقربها قصر غمدان من آثارها العتيقة المشهورة.

والمدينة على سفح جبل ويحيط بها سور ذو أربعة أبواب، وفى داخل السور أربعة وعشرون جامعًا كبيراً وما يقرب من عشرين مسجداً وكثير من القصور وأربعة حمامات وخانات.

وفى الأراضى الساحلية لليمن والتى يطلق عليها تهامة يمكن زراعتها أربع مرات فى السنة، إلا أن شدة الحرارة لا تسمح بنمو النباتات مثل القمح والشعير.

وتزرع فيها حبوب مثل الذرة والدخن كما تزرع فى جبالها الحنطة والشعير والسمسم مرتين فى السنة، وتنبت هنا جميع الفواكه والخضر التى تنبت فى البلاد الأخرى، ولكن محصولها الذى يجلب نفعًا كبيرًا هو البن.

وكانت شجرة البن قديمًا خاصة باليمن، ولكنها نُقلت فيما بعد إلى البلاد الأخرى حيث أُنبتت فيها.

وقد جربها أول مرة أهل اليمن وعرفوا بعد التجربة خاصيتها النافعة، وأخذوا يستعملونها ويشربونها فتبعهم بعد ذلك أهالى البلاد الأخرى.

والقهوة اليوم وسيلة رئيسية لإكرام الضيوف وتحيتهم وقد صدق الأطباء بعد التجربة على خاصية القهوة فى التنبيه والتنشيط وأثرها اللطيف على الأعصاب. وأجود أنواع البن التى تنبُت فى بلاد اليمن.

المانجو:

فاكهة المانجو خاصة بالهند وهى تشبه الخوخ. وتنبت فى مدينة صنعاء أيضًا، ولهذه الفاكهة رائحة فى غاية الجمال وطعمها فى غاية اللذة، ورائحتها الطيبة يمكن أن تعطر غرفة. وعندما تكون نيئة تصنع منها سلاطة ومخلل. وعندما تنضج تطرى مثل الليمون الحلو، ولما كانت قشرتها غير قابلة للتقشير تتقب ويمتص عصيرها. إنها فاكهة حلوة لذيذة.

والعربان الذين يكونون قبائل رفاعة، العبيدات، الهجاهجة، بنى كبير، أو كلوب، والعبادلة، والبيشة يسكنون فى الأراضى الواقعة فى الجنوب الشرقى من الطائف ويبلغ عددهم عشرين ألفًا.

وبما أن قبيلة البيشة فى حدود متصلة بأهل عسير فقد حدثت بينهما حروب شديدة لمدة طويلة، وفى نهاية الأمر تغلب أهل عسير على قبيلة بيشة.

وإن قيل إن قبيلة بنى سعد تقيم فى الجهة الجنوبية من الطائف، أى بين الطائف وعسير إلا أن قبائل: بنى ميمون، بنى مالك، ناصره، زهران، غامد،

شمران، بالقرن، بنى الأسمر، بنى الأحمر وشهران تسكن أيضًا داخل الأراضى المذكورة. وتتشعب من هذه القبائل قبائل أخرى بأسماء مختلفة. ويصل عدد مجموعها إلى مائة وستين ألفا.

ولما كان أكثرهم متحضرين ويسكنون فى الأراضى المنبسطة على سفوح سلسلة الجبال، أى يسكنون فى أراضى تهامة اليمن فإنهم يزرعون الذرة، والدخن والسمسم والقطن، كما يزرعون فوق الجبال الشعير والقمح والذرة والدخن وكلهم يتعايشون بالزراعة والفلاحة.

ومقر سكن قبيلة زهران من القبائل المذكورة جبل زهران وتهامة لما كانوا كلهم من أصحاب الزراعة والطاعة فإنهم يسكنون فى ثلاثمائة قرية خاصة بهم.

والعربان الذين يسكنون فى غرب جبل زهران وفى الأراضى المستوية المسماة بتهامة يزرعون الذرة والدخن والذين استقر بهم المقام فوق الجبل المذكور يزرعون الذرة والدخن كما يزرعون القمح والشعير ويحصدونهما ويزرعون من حين لآخر اللوز.

وفى الطرف الجنوبى من جبل زهران جبل آخر يسمى غامد، ويسمى عربان هذا الجبل غامد وهؤلاء أيضًا لهم ما يقرب من ثلاثمائة قرية خاصة بهم.

وفى خمسات القبائل المذكورة قبيلة بنى عمر، وفى أماكن إقامتهم تنمو شجرة البن غير الحبوب المذكورة.

ويطلق على العرب الذين يسكنون جبل غامد وسهوله بلدى وعلى هذه الأراضى الحجاز، وعلى سكنتها الحجازى ويطلق على قبائل بنى كبير، وهجاهجة، وعويضاضى، وزهران، ورفاعة التى تسكن فى الجهة الشرقية من جبل غامد «البدو» لأنهم مازالوا فى حالة البداوة.

وإن كانت الجبال التى يطلق عليها ميمون وشمران وبالقرن بين جبل غامد وجبل عسير إلا أنها فى داخل الخطة اليمانية وستذكر فى مواضعها.

عريان عسير:

وأهل عسير الأصليون من أفراد قبائل بنى علقم، رفيرة، وبنى ربيعة، ومقيد، التى تسكن بين الطرف الشمالى والطرف الجنوبى لعسير يكاد أن يبلغ عدد نفوسهم إلى عشرة آلاف.

وعندما اعتنق أمير عسير السابق محمد بن عائض سياسة السيف والقوة فأخضع أغلب القبائل العربية التى بجوار جبل عسير بالقوة وكون جماعة كبيرة، لذا أراد أن يثور ضد الدولة العلية إلا أن قوة السلطان القاهرة داسته بالأقدام وأتباعه، واستكمل سعادة رعاياه المتعطشين للعدل والرحمة.

قحطان:

تسكن فى الطرف الشمالى لجبل عسير والأراضى التى تمتد إلى جنوب ذلك الجبل قبائل رقيف اليمنى، عبيدة، شريف، سحان وداعة التى تسمى قحطان.

وتنمو أشجار البن ابتداء من الجبل الذى تسكنه قبيلة وداعة إلى محاذاة باب المندب والجبال الممتدة بينهما وما بين تلك الجبال، ويعيش الذين فضلوا الإقامة فى هذه الأماكن فى القرى والمدن وتذكر جماعة كل قبيلة باسم المحل الذى تسكن فيه.

وفى الجهة الشرقية من جبل عسير واد يسمى نجران، وتسكن فى هذا الوادى شعبة من قبيلة يام التى يبلغ عدد أفرادها ثلاثين ألفًا.

ويمتد وادى نجران ما يقرب من ثلاثة أيام وفى هذا الوادى ماءان جاريان كبيران كما أن فيه أشجار النخيل بوفرة. وتقيم شعبة من قبيلة (يام) فى جبل حراز.

كما أن قبيلتيهما المسميتان ذوى محمد وذى حسين كثيرتى العدد، وتستوطنان جبل برط فى الطرف الشرقى لوادى نجران. وكانت هاتان القبيلتان من القبائل العربية المتسلطة فى الأوائل، وكانتا تغيران على أكثر أنحاء البلاد اليمانية وتنهبان

أموال السكان وتسلبان أشياءهم، وتحرصان على فرض الإتاوة على أهالى المدن والقرى. حتى إن الأئمة الزيدية الذين يحكمون صنعاء كانوا عاجزين عن منع إغارتهما وتسلطهما.

وهناك ثلاث قبائل أخر والتى تعرف بأسماء آل مرة، والكرب، والصيعر مأواهم بين جبل برط وإقليم حضرموت. وإن كانت هذه القبائل ذوات أفراد كثيرة مثل قبيلتى ذوى محمد ذوى حسين، فكلهم يعيشون تحت الخيام وفى حالة الترحل دائما.

وتطلق على البلاد التى تقع فى الجهة الجنوبية من جبل برط بلاد حاشد، وتعيش فى هذه البلاد قبيلتا نهم، وأرحب ويصل مجموع عددهما إلى ألفين وخمسمائة نسمة، تعيش فى بلاد عمران أى بين حدود بلاد حاشد وهمدان قبائل يبلغ عددها خمسمائة أو ستمائة نسمة وكلها تشتغل بالزراعة والفلاحة. وتسكن قبيلة همدان ذات الألف نسمة بين أراضى بلاد عمران وبلدة صنعاء.

قبيلة بنى مطر:

يسكن أفراد هذه القبيلة بين الأراضى التى بين صنعاء وحجة. ويبلغ عدد سكانهم عشرة آلاف نسمة تخمينا ويعمل جلهم بالفلاحة ويتعيشون بها.

كما أن أفراد قبيلة البروية، والذين يبلغ عددهم عشرة آلاف، يشتغلون بزراعة أشجار البن والحنطة والشعير والذرة والفواكه وبيعها ويمضون حياتهم بين الجبال والأودية.

ويبلغ عدد أفراد قبيلة (حضور) الذين يعيشون فى الأراضى الملاصقة لأراضى قبيلة البروية أربعة آلاف نسمة، وهؤلاء أيضًا يعملون فى الزراعة والفلاحة.

تسكن فى الجهة الشرقية من أراضى صنعاء قبائل بنى شداد، خولان، بنى جبر، بنى عبس، بنى فلاح، ضبيان، بنى مجاهد وبنى قيس الأعماس التى يبلغ عددها أربعة آلاف أو خمسة آلاف نسمة تخمينًا.

بلاد حضرموت ومكلا وشحر وتريم.

من الأقسام العظيمة لجزيرة العرب حضرموت. وهذه القطعة تقع، كما سبق بيانه أعلاه، فى الجانب الجنوبى من الجزيرة العربية وبين اليمن والقطعة اليمانية، ومن درجة ثلاث عشرة إلى سبع عشرة درجة لخط العرض الشمالى، وثلاث وأربعين درجة إلى أربع وخمسين درجة فى الخط الطولى الشرقى، ويحدها من الجانب الغربى قطعة اليمن، ومن جانبها الشرقى قطعة عمان، ومن جانبها الشمالى (الأحقاف)، وجانبها الجنوبى بحر عمان، ومن مدنها الساحلية المشهورة مكلا، وشمر، وظفار، ومرباط، وحاسك.

وظلت قطعة حضرموت فترة فى يد الأئمة الزيدية المقيمين بصنعاء كما ظلت من سنة تسعمائة إلى سنة ألف ومائة فى يد أسرة كثيرى من أعيان حضرموت، وبعد ذلك استولى النواب الذين عينوا من قبل آل كثير من قبيلة يافع على البلد الذى يحكمه؛ وذلك لإصابة قوة إدارة آل كثير بالضعف والوهن. وفى فترة ما سافر شخص من آل كثير يسمى الأمير غالب إلى الهند ثم عاد وقد كسب كثيراً من الذهب، واشترى عددا كثيراً من العبيد ثم هجم مع من استطاع أن يجمع من أفراد قبيلته فى سنة ألف ومائتين وستين على بلده تريم، غرف، ومريمة، وسيوون، وتريس، واستولى عليها ومات سنة ألف ومائتين وسبع وثمانين.

وبعد موت الأمير غالب جلس مكان أبيه ابنه منصور، واستولى هذا أيضًا على أماكن كثيرة، ولكنه لم يستطع أن يستولى على قطعة حضرموت كلها. فانقسمت قطعة حضرموت إلى الحكومات الآتية:

مكلا:

تقع مدينة مكلا ـ كما ذكر آنفًا ـ على شاطئ البحر فى قطعة حضرموت، وعلى بعد اثنتى عشرة مرحلة بالجانب الشرقى من مدينة عدن برًا وهى مدينة كبيرة جميلة. ويقدر سكان مكلا عامة بأربعين ألف نسمة تقريبًا.

ومكلا الآن مع المدن الآتية: بروم، الديس، الحض، وروكب تحت إدارة أمير يسمى النقيب صلاح، وهو يفتخر برفع الراية العثمانية.

وللمدن المذكورة دخل سنوى من دائرتها الجمركية أربعة أو خمسة آلاف كيس من النقود ما عدا محاصيلها الأخرى.

شحـر:

شحر مدينة على الطرف الشرقى وعلى بعد مرحلتين من مكلا، وعلى ساحل البحر لحضرموت وعدد سكانها يقترب من خمسة آلاف نسمة وهذه البلاد فوق جبل، وكان يعرب بن قحطان عين أخاه (عامر) واليًا على هذا الجبل. ولما كان عامر يحضر جميع الحروب التى تحدث وقته وكان شجاعًا قويًا شديدًا فى القتال فاستخدموا تركيب حضرموت الذى يعنى حيثما وجد عامر فالموت حاضر. فى حق عامر ثم أطلقوا على القطعة حضرموت بتسكين حرف (ض).

وتعد شحر الآن مع ناحيتى شيام، وقطن الواقعتين فى جهة الجبل تحت حكم أمير يسمى قعيطى ومقر إمارته وإقامته بلدة شحر وللمدينة المذكورة مياه جارية وحدائق النخيل ولها دخل كبير من زراعة التبغ.

تريـم:

وتريم فى داخل حضرموت وعلى بعد إحدى عشرة مرحلة من مكلا من جهتها الشمالية، وعلى بعد خمسة عشر ميلاً من (زمار) وهى بلدة خربة.

وهذه البلدة مع مدن غرف، مريمة، سيوون وتريس تحت حكم وإدارة شخص يسمى الأمير منصور.

وكانت هذه البلدة فى الأوائل فى غاية العمران واسعة الأنحاء كثيرة السكان ومقرًا للعلماء إلا أن غارات العربان المتسلطين المتكررة أجبرت سكانها على ترك ديارهم، فآلت إلى الخراب الآن. ولم يبق فيها غير ثلاثة آلاف من سكانها بعد أن كانت مدينة عامرة بثلاثمائة من المساجد والجوامع.

الوديـان:

ينقسم إقليم حضرموت إلى شعب متعددة وبعض الوديان، وأحد هذه الوديان الرئيسية وادى يبعث الذى يمتد من الجنوب الغربى لقطعة حضرموت إلى الشمال الشرقى منه، وإلى المحل المسمى نبى الله هود ويشمل الثمانى القرى التابعة لبلدة بروم، وتقيم قبائل آل عمودى، وآل بالعبيد، وكرب التى يبلغ عدد نفوسها ألف وخمسمائة نفر. ويروى سياح العرب أن لهذا الوادى قدر من أشجار النخيل ومياه جارية.

وادى حجـر:

من الوديان المشهورة وادى حجر الذى فى داخل بلدة بروم وعلى بعد مسافة ثلاثة أيام منها.

وفى هذا الوادى ما يقرب من مائة ألف نخلة، وعشرون نهرًا جاريًا. ويبلغ من أول هذا الوادى إلى آخره فى أربعة أيام، ويسكن فى داخله جماعات من قبيلة نوح.

ومن أحد وديان حضرموت المهمة وادى ريدة الديك الذى يقع أمام وادى حجر، والذى يشتهر بين العربان بكثرة نخليه.

دوغـن:

من الوديان المشهورة بعد وادى ريدة الديك وادى دوغن، وطول هذا الوادى أربع وعشرون ساعة وعرضه نصف ساعة.

وفى الأراضى التى يشتمل عليها وادى (دوغن) إحدى وعشرون قرية صغيرة وكبيرة. وتسكن فى هذه القرى قبائل آل العمودى، المراشدة، القشم، الخامعة ونوح وعدد أفرادها يبلغ ألفين وخمسمائة نسمة.

وإن لم تكن لوادى دوغن مياه جارية إلا أنه يُسقى بمياه الأمطار، وأحيانًا يروى بمياه الآبار. وله حدائق كثيرة تحوى أربعين ألف نخلة فهو موقع مبارك ومنبع زراعة وتجارة.

وادى ليسر:

ليسر شعبة من شعب وادى (دوغن) ويمتد طولاً اثنتى عشرة ساعة، وعرضًا نصف ساعة وهو واد مشهور.

ويحتوى هذا الوادى على عشر قرى وعلى خمسين ألفا من النخيل وجميع أنواع المغروسات والمزروعات والحدائق والبساتين.

وتسكن فى ذلك الوادى الذى يجمع ألف شخص تقريبًا، القبائل المعروفة باسم الحالكة، وآل محفوظ، وآل يزيد، وآل بطاطى، وآل كثير.

وادى العين:

ويشتمل وادى العين الذى يمتد طولاً أربعًا وعشرين ساعة على خمس قرى، وثلاثين ألف نخلة وكثيرًا من الحدائق، ويسكنه آل عوابسة الذين يبلغ عددهم خمسمائة نسمة.

وادى عمد:

يمتد وادى عمد اثنتى عشرة ساعة طولاً ونصف ساعة عرضًا. وفى داخله حدائق كثيرة تشمل مائتى ألف نخلة، ستًا وعشرين قرية صغيرة وكبيرة وتقيم فى هذه القرى قبائل باطليب، باتييس، بنو ماضى، الجعد، الصقر، نهد، كز وبنى مخاشن.

وتتحد نهاية وادى عمد و (دوغن) السابقى الذكر فى مدينة قفل، وموقع كز الذى يمتد من هذا المكان يتصل بمدينة حزير.

وادى رخية:

والوادى الذى يطلق عليه رخية يمتد طولاً ست ساعات وعرضًا نصف ساعة ويشتمل على عشر قرى ويشتمل على عشرة آلاف نخلة.

وتسكن فى هذا الوادى قبائل آل على، بنى حيدرة، بنى بالليث وشحا التى يتجاوز عددها ثلاثمائة نسمة.

وادى دهـر:

يمتد وادى (دهر) ثلاث ساعات طولاً ويشتمل على قرى كثيرة ذات نخيل. ويستوطن فى هذا الوادى قبائل آل بالعبيد، والصيعر، ويافع، وعددهم ألفان وخمسمائة نسمة.

وادى ابن راشد:

ينقسم وادى ابن راشد إلى جزءين ويبدأ الجزء الأول من مكان يطلق عليه شيام ويطلق على هذا الجزء وادى قيلى ووادى سر.

والجزء الثانى هو ما يقع أمام قرية ساه ويسمى وادى بحرى ووادى عدم.

ويتحد هذان الواديان فى محل يطلق عليه غرف، وينتهى عند قرية نبى الله هود الواقعة فى انتهاء وادى ابن راشد الذى يمتد نحو جهة الشمال ثلاثة أيام طولاً.

ويشمل وادى ابن راشد ست وستين قرية صغيرة وكبيرة، وحدائق متعددة تحتوى على مليون نخلة.

وتقيم فى هذه القرى قبائل آل كثيرى، العوامر، آل باجرى، آل جابر وآل تميم ويتجاوز عددهم ستة آلاف نسمة.

وإن كانت البلدة والقرى التى حكمها الأمير منصور بن غالب السالف الذكر داخل الوادى المذكور، إلا أن أهالى القرى المذكورة خارج أفراد القبائل الخمس التى تحدثنا عنها، فالقبائل العربية التى تسكن حول حضرموت هى القبائل الرئيسية التى سنتحدث عنها فيما يأتى.

تسكن قبيلة يافع فى الجبال الواقعة على الطرف الشرقى الشمالى لمدينة عدن وعددهم يبلغ عشرين ألفا تقريبًا.

عواليق والأخرى:

تستوطن قبائل عواليق، آل ديب، آل عبد الواحد، شيبان، عكابرة وبنى

حسن فى الأراضى التى بين مدينة مكلا، ومدينة عدن ويبلغ عدد مجموع أفرادها إلى خمسة آلاف نسمة تقريبًا.

آل حموم:

تسكن قبيلة الحموم التى يبلغ عدد سكانها ألف نسمة فى أطراف بلدة شحر وجوارها.

نبى الله هود، ومناهل، ومهرا:

تقيم قبائل بنى نبى الله هود، ومناهل، ومهرا فى الأماكن الواقعة بين قرية نبى الله هود التى ينتهى عندها وادى ابن راشد، وبلدة ظفار ويبلغ عدد سكانها إلى ألفين تقريبًا.

ويسكن فى داخل قطعة حضرموت ثلاثة آلاف من السادة الكرام الذين ينتمون إلى النبى ﷺ نسبًا ويجدون من السكان الآخرين احترامًا وافرًا. واليوم فالسادة الكرام الذين يُسمون السادة العلوية هم المعنيون بهذا الاسم والسادات العلوية الموجودون فى مكة المكرمة والمدينة المنورة متفرعون منهم.

وإن كانت الأراضى التى فى سفوح جبال قطعة حضرموت صالحة للزراعة، إلا أن خصوبتها ضعيفة وأكثر أماكنها خالية من المياه والأعشاب، لذا يتعايش سكانها بصيد السمك على شواطئ البحر، ويعلفون حيواناتهم بالسمك، ولما كان على شاطئ البلاد التى يعيشون فيها عنبر خام فهم يجمعونه ثم يبيعونه.

وكذلك الجوز الهندى، تنباكو، والعرر، والصمغ العربى والبخور والحنطة، البلح والنيلة من المحاصيل الخاصة بحضرموت، والنباتات التى تنبت فى الهند تنبت فى جبال حضرموت.

فى صحراء الأحقاف التى تقع بالجانب الشمالى من حضرموت توجد صحراء رملية متحركة والتى تسمى بحر الصاف، فكثيرون من المسافرين حينما يعبرون هذه الأماكن فى الأيام العاصفة يموتون وتغطيهم الرمال، ولما كانت غير قابلة للزراعة والفلاحة فهى غير مسكونة.

والمدينة التى ذكرت فى التواريخ بـ «الرس» و «بئر معطلة» و «قصر مشيد» كانت فى داخل قطعة حضرموت.

وكان سكان هذه المنطقة يعانون من قلة المياه، ويحملون المياه التى يشربونها من أماكن بعيدة، وفى النهاية وهبهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ واهب الوجود بئرًا غزيرة المياه، ولما كانوا من عبدة الأصنام وقتلوا نبيهم حنظلة بن صفوان انقطعت مياه البئر وهلكوا بعذاب أليم.

والبئر التى يقال لها **البئر المعطلة** هى تلك البئر. أما **القصر المشيد** كان البرج الذى بناه صد بن عاد من رؤساء العرب البائدة بغرض مقاومة الرياح العاصفة الفاسدة.

وإن كان صد بن عاد قد بنى هذا القصر لمواجهة الغضب الإلهى، إلا أنه لم يمت بمفرده بل هلك أولاده وأحفاده أيضًا وانهار قصره وأصبح مأوى البوم والغربان، ويروى أن بعض أماكن خرائب القصر مازالت موجودة إلى الآن.

ظفار:

تقع بلدة ظفار بين حضرموت وعمان وعلى ساحل البحر، وطولها على ساحل البحر ست مراحل وعرضها تسع مدن.

ولما كانت أكثر قراها ومدنها على سواحل البحر، فسكانها يعملون فى الزراعة والفلاحة كما أنهم يصطادون السمك ويتاجرون فى اللؤلؤ والصدف.

إن قبيلة آل كثير التى يبلغ عدد سكانها خمسمائة نسمة تسكن الوادى المطل على القصبان التى سكنها قبيلة قرا وشحره ويبلغ عدد سكانها ٣٠٠٠٠ نسمة تقريبًا.

إن جو ظفار مثل جو الهند فتسقط الأمطار كل عام فى فصل الصيف ويهبط الماء الناتج عنها إلى الوادى باستمرار.

فينزل الماء الذى يسقى الأراضى فى فروع كأنها نهر جار وتكون عميقة لدرجة أن القوارب تسير فيها. انتهى.

ولأن الأمطار لا تنقطع فى فصل الخريف فقوة الإنبات تصل إلى حد الكمال وتنبت فيها كل الفواكه التى تنبت فى الهند، وليس بها حاكم مستقل فهى تابعة لشيخ المنطقة.

البلاد التى تشملها عمان:

إن عمان من الأجزاء الكبيرة للجزيرة العربية:

تقع عمان فى الجنوب الشرقى للجزيرة الكبيرة وطولها من خليج البصرة إلى ساحل بحر عمان ثلاثة وخمسين درجة، وسبعة وثلاثين درجة وخمسين دقيقة من جهة الشرق وعرضها الشمالى من اثنين وعشرين درجة إلى سبعة، وعشرين درجة يحدها شرقًا المحيط الهندى وشمالا خليج البصرة وجنوبا جبل الأحقاف وغربا جبال اليمامة.

وبما أن طبيعة عمان وأرضها أخصب وذات قدرة على الإنبات أكثر من كل المناطق فهى تحتوى على كثير من القرى والقصبات، وأرضها تنبت كل المحاصيل والفواكه وطبيعة أهاليها متحضرة وليست بهم خشونة البدو.

ولأن أغلب قراها وقصباتها تقع على الساحل فسكانها يعملون بالفلاحة والزراعة وصيد الأسماك واللؤلؤ.

وكانت إدارة قطعة عمان قد أحيلت إلى عمان بن قحطان أخى يعرب، ثم استقل بعد فترة وبعد وفاته تولى إدارتها قضاعة بن مالك بن حمير وفى النهاية استولى عليها حاكم اليمن سكسك بالقوة من قضاعة. وإن كان مالك بن إلحاف حفيد قضاعة استردها من يد ابن سكسك فى زمن سلطنة يعفر، ولكن الحكومة اليمنية عندما قويت ألحقت إدارة عمان إليها وأديرت من قبل اليمن بواسطة الولاة، ثم انتقلت إدارة عمان إلى أئمة المشايخ بعد أن ضعفت حكومة اليمن.

وعندما نجت منطقة عمان من استيلاء القرامطة أديرت بواسطة الأئمة المحليين المنتخبين كما كان فى السابق. وفى سنة تسعمائة الهجرية طمع فيها البرتغاليون

والهولنديون والإيرانيون. وفى سنة تسعمائة وإحدى عشرة استولى على جميع سواحلها البرتغاليون وفى سنة ١٠٥٧ انتزع الأهالى الشواطئ من يد البرتغاليين بانتصارهم عليهم إلا أن بعض أماكنها استولى عليها الهولنديون وبينما كان الأهالى الشجعان يطردون الهولنديين تعرضت البلاد لتسلط الإيرانيين ولكن الأهالى استطاعوا أن يطردوهم أيضًا وذلك بمساعدة حاكم شحر وهمته وإقدامه.

وبناء على ذلك انتخبوا الحاكم المذكور أميرًا لهم وبايعوه سنة ١٢٦٧هـ.

ومات أحمد بن سعيد بعد حكم دار واحدًا وعشرين عامًا فى سنة ١١٨٨هـ وتولى الحكم بعده ابنه صمد وبعد أن حكم ما يقرب من عشرين عامًا أيضًا تولى الحكم سلطان بن صمد وبعد وفاته تولى الحكم أخو صمد سعيد بن أحمد بن سعيد.

وكان سعيد بن أحمد بن سعيد من بين هؤلاء الحكام أذكاهم وأعقلهم وبعد أن دبر شئون إدارة بلاده مال إلى الجهاد وتوسيع بلاده، فابتدر بإنشاء سفن حربية كافية وبعدما انتهى من بناء أسطوله استطاع أن يستولى على جزر زنجبار سوقطرة وبعض البلاد التى فى قارة أمريكا[1] كما استولى على بعض أجزاء السواحل التى كانت فى يد إيران وجزر هرمز وكشم و رج، والبحرين، وهكذا وسع دائرة حكومته ثم بدأ فى الإصلاحات الداخلية.

وقسم البلاد التى تحت حكمه ـ قبل الوفاة ـ إلى ثلاثة أقسام، وترك جزءًا منها لابنه الكبير توينى ويشمل الجزر التى فى خليج البصرة والأماكن الواقعة بين برقة والجبل الأخضر فى عمان وبعض سواحل أفريقيا وجزيرتى زنجبار وسوقطره لابنه الثانى ماجد، والأماكن التى تقع على الجانب الغربى من عمان لابنه الثالث تركى[2].

(١) كذا فى الأصل، ولعله من وهم الناسخ. والصواب أفريقيا.

(٢) اسم تركى الآخر (ماجد).

ولما كان هذا التقسيم منافيًا لقاعدة بناء الحكومة فكأنه وضع بين أبنائه نار الفتنة وكان هذا خطؤه الكبير.

ورغب توينى عقب وفاة والده فى أن يفرض سلطته على أخيه ماجد، وذلك بإجباره على دفع ضريبة معينة له وأدت هذه الفكرة الخاطئة إلى قيام الحرب بين الأخوين، وبعد هذا استمرت الحرب سنتين تدخلت دولة إنجلترا بينهما وأصلحت بين الأخوين وذلك بشرط أن يدفع ماجد لأخيه الكبير أربعين ألف ريال سنويًا وأن يستقل بجزيرة زنجبار والسواحل الإفريقية.

واستطاع توينى بواسطة إنجلترا أن يمتلك ثلثى عمان من أجود الأراضى وأشهرها وأن يكون حاكمًا على أهاليها.

ولكنه لم يكتف بذلك إذ جعل أقصى آماله أن يستولى على الأراضى التى تحت يد أخيه الصغير وبهذا ساءت العلاقات بينهما.

وإن كان توينى فى الظاهر أقوى من أخيه تركى إلا أن أغلب أهالى عمان كانوا أنصار تركى؛ لذلك لم يرضوا بأن تخرج البلاد من يده وحكمه، وفى أثناء الحرب تخلى جميع أتباع توينى عنه وعرضوا بيعتهم على تركى.

وتدخلت دولة إنجلترا مرة أخرى بين الأخوين لإصلاح ما بينهما واستدعت تركى إلى مسقط.

فانتهز توينى هذه الفرصة فقبض على تركى وحبسه، عندئذ زادت الثورة الداخلية اشتعالا، فخاف توينى على روحه وهرب، واستعان بأمير نجد الشيخ فيصل فى سنة ١٢٧٠ فقبل الشيخ المذكور طلبه وأرسل ابنه عبد الله بقوة عظيمة إلى القطعة العمانية.

واستولى عبد الله بن فيصل على أغلب الأراضى التى تحت حكم تركى، وأخضع أهاليها وأدخلهم تحت طاعة توينى وحصل على جميع النفقات الحربية من توينى كاملة، وأخذ منه عهدًا على أن يدفع لإمارة نجد عشرة آلاف ريال سنويًا ثم عاد عبد الله بن فيصل إلى قطعة نجد التى تحت حكم أبيه.

ودام تدخل أمير نجد إلى سنة ١٢٧١هـ وبعد ذلك أصبحت جميع أراضى عمان فى يد توينى مستقلاً كما بقيت إدارة زنجبار وسواحلها تحت تصرف أخيه ماجد.

ولما مات توينى سنة ١٢٨٥ الهجرية تولى الحكم ابنه سالم الذى أسرع فى القبض على عمه تركى وسجنه ولكنه نجا من السجن بتدخل الإنجليز وسافر إلى بومباى.

ولما رفع عزان أحد أقارب سالم راية العصيان وانتزع الملك من يد سالم فى السنة الثانية من حكمه سمع تركى الذى سافر إلى بومباى بالأمر فعاد إلى عمان، وقتل عزان فانتقلت البلاد التى كانت تحت حكم توينى إليه فى سنة ١٢٨٧هـ كما أن برقش أخا ماجد احتل مكانه بعد موته منذ خمس سنوات، وأصبح حاكم زنجبار وسواحلها، وهكذا لاقى توينى جزاء ما ارتكبه ضد أخويه.

مسقط:

وتقع مدينة **مسقط** على شاطئ بحر عمان وعلى بعد ألفى كيلو متر من مكة المكرمة فى الجانب الشرقى منها عند درجة ٥٩ وعشرين دقيقة على الخط الطولى الشرقى وعند درجة ٣٣ و ٣٨ دقيقة على الخط العرضى الشمالى وهى أعظم مدن عمان وأشهرها.

يمكن أن يصل عدد سكان مدينة مسقط إلى ستين ألف نسمة مرساها فى غاية الاتساع والسفن التى ترسو فى داخله مأمونة من جميع أنواع العواصف.

عمان:

وأحد مدن منطقة عمان المشهورة مدينة **عمان** التى تقع على الجانب الشمالى الغربى وعلى شاطئ البحر وعلى بعد مائتى كيلو متر وعشرين من مسقط.

ولما كانت بجوار بلدة عمان منابع ماء كثيرة تبع من جبل قريب منها فلها حدائق كثيرة ونخيل إلا أن محصولاتها الرئيسية القمح والذرة والشعير.

وقطر الذى بين حسا وعمان وجزيرتا فارستان وكرمان الواقعتان على الساحل الفارسى من خليج البصرة وجزيرتا زنجبار وسقطرة على الساحل الأفريقى

الشرقى، والأماكن التى تطلق عليها كرمد والتى تقع على رأس غار دافوى فى الجهة الشرقية من قارة أفريقية، كلها من ملحقات مسقط. وعندما يُضم أهالى هذه المناطق أيضًا لسكان قطعة عمان، يبلغ عدد سكانها إلى مليونين ومائتين وثمانين ألف نسمة.

زنجبار:

وزنجبار هذه الجزيرة من جزر المحيط الهندى، ومملكة زنجبار على سواحل هذه الجزيرة، وتقع على درجة ٣١ من الخط الطولى الشرقى وعلى ست درجات ودقيقتين للخط العرضى الجنوبى.

ويبلغ طول جزيرة زنجبار ثمانين كيلو مترًا، وعرضها خمس كيلو مترات ويبلغ عدد سكانها خمسمائة ألف نسمة.

وهواء الجزيرة المذكورة شهير ولها علاقات تجارية بجزيرة مورس وقارة أفريقيا وأراضيها صالحة للزراعة والفلاحة وفيها جميع أنواع المحصولات ويوجد على سواحلها عنبر أيضًا.

سُقُطْرة:

سقطرة إحدى جزر المحيط الهندى وتقع فى الجهة الشرقية من قارة أفريقيا وعلى بعد مائة وسبعين كيلو متر من رأس غار دافوى وعلى الجهة الشرقية منه أيضًا وعلى درجة ٥٠ و ٤٥ دقيقة وأيضًا على ٥٢ درجة وعشر دقائق من الخط الطولى الشرقى وإحدى عشرة درجة وخمسون دقيقة واثنتى عشرة وثلاثون دقيقة من الخط العرضى الشمالى.

وطول جزيرة سقطرة مائة وخمسة عشر كيلو متر وعرضها أربعون كيلو مترًا ويبلغ عدد سكانها ستة آلاف نسمة تخمينًا ومن محاصيلها الصبر الأصفر، واللبان، وأجود أنواع الصمغ الأحمر، والمرجان، وحب الهال.

الحسا[1]:

إقليم الحسا من أقاليم الجزيرة العربية المتسعة، ويضم أكثر من مائتى قرية ومدينة.

(١) يطلق عليه الإحساء أيضا.

وكانت منطقة الحسا اسم دائرة ولما استولى عليها القرامطة أطلق على المدينة التى بناها أبو طاهر القرمطى وهى هجر الحسا، ويطلق على هذا الإقليم بلاد هجر وبلاد البحرين أيضًا.

ويقع هذا الإقليم المتسع على الجانب الشمالى الغربى لمنطقة عمان وعلى طول سواحل خليج البصرة وفى الدرجة من ٤٨ إلى ٥٢ درجة فى الخط الطولى الشرقى ومن ٢٠ درجة إلى ٢٩ درجة فى الخط للعرضى الشمالى.

ويبلغ عدد سكانها مائتى ألف وخمسين ألفا تقريبًا.

وبلاد خفوف ورأس الخيمة وقطيف العظيمة فى داخل إقليم حسا. وخصوبة أراضى الحسا شديدة ولها جزر كثيرة على ساحل البحر.

وأهم هذه الجزر جزيرة البحرين ومنها يستخرج أجود أنواع الصدف واللؤلؤ. ويتكسب أغلب أهاليها قوتهم من صيد السمك واستخراج اللؤلؤ والصدف وتجارتهما.

وكان قديمًا أكثر عمرانًا من الآن، وكان سكان قارة إفريقية فى الأوائل يأتون بأموال كثيرة وأشياء عديدة إلى قطيف بحرًا ويبادلون أموالهم باللآلئ.

وكان موسم استخراج اللآلئ يبدأ من شهر يونيو ويستمر إلى شهر سبتمبر وكانوا يربحون من بيع اللألئ ثلاثمائة أو أربعمائة ألف جنيه إنجليزى. وكانوا يمتلكون ما يقرب من أربعة آلاف سفينة لصيد اللؤلؤ، وهذا دليل قاطع على ما كان عليه أهالى (القطيف) من ثروة وغنى.

ويروى أن فى قعر البحر منابع مياه حلوة، حتى إن الغواصين يحصلون على مياه شرب من فى السفينة من هذه المنابع.

وفى الحسا مياه معدنية كثيرة. إلا أنه ليس بين سكانها من يستطيع أن يحلل هذه المياه كيميائيًا ليعرفوا خصائصها الصحية، لذا فإنهم يستخدمونها فى الحمامات للاغتسال.

وتسقى الحدائق والبساتين والمحصولات الزراعية التى تحتاج إلى ماء بهذه المياه التى تتبقى من الحمامات والمياه الأخرى التى تنبع من الجهات الأخرى.

إن خصوبة أراضى قطعة الحسا وجودة مياهها تساعد كثيرا على نمو الأشجار والأغصان فالشجيرات الصغيرة التى تغرس تنمو فى ظرف أوقات قصيرة وتصبح أشجارا كبيرة. وتتضخم أشجار النخيل فيها بحيث لا يستطيع أن يحيط بجذعها عدة أشخاص حتى إن نباتات العدس والفلفل تصل إلى ضخامة أشجار الرّمان.

وتنبع أكثر أنهار الحسا من داخل الغدران فى اتساع مائة متر مربع وفى خمسة عشر باعًا فى العمق ثم تتفرع ويسقى الأهالى أراضيهم ومزروعاتهم بهذه المياه وهم يفتحون حولها قنوات قدر ما يريدون.

ولا يستطيع الإنسان أن يصف ما تضفى هذه المياه من جمال وزينة، وهى تمر من داخل البساتين والحدائق والحقول أو من حولها وهى تجرى براقة صافية فى صورة دائمة.

وعلى بعد بلدة (حفوف) بساعة منبع ماء يطلق عليه عين النجم، ولما كانت مياه هذا المنبع أكثر قوة وفى غاية العذوبة من جميع مياه المنابع الأخرى فأهلها يستغنون عن الحمامات.

والأشخاص الذين يشتكون من الأوجاع والآلام يشفون بإرادة الله بالاستدامة على الاستحمام بهذه المياه، وقد شاع هذا التداوى بين الأهالى.

وقد بُنى على هذا النبع قبة جميلة وأخذ تحت المبانى وجعلت على شكل الحمامات وذلك فى ظل الإرادة السلطانية السنية إذ أحسن إلى أهالى (حفوف).

والأراضى حول إقليم الحسا وسواحله منبسطة مستوية. ولما كان البحر لا يستطيع أن يجزر ويسحب المياه الفائضة فى حالة مد البحر وتظل مياه هنا وهناك فتتعفن المواد المختلطة بالمياه وتؤثر فى جودة الهواء وتغيره وتسبب علل الحمى والملاريا فتسوء صحة الأهالى فتذبل ألوان أهاليه وتصفر ويكثر فيهم من يصيبهم مرض الطحال.

وتقع **جزر البحرين** بين ٤٨ درجة وعشرين دقيقة فى الخط الطولى الشرقى وبين ٢٦ درجة وست دقائق فى خط العرضى الشمالى ومن هذه الجزر تستخرج أجود أنواع اللآلئ والدرر.

وعرض جزيرة البحرين فرسخان وطولها سبعة فراسخ جغرافية وفى وسطها وأطرافها أماكن مرتفعة.

ويوجد فى خليج البصرة وعلى سواحل الحسا غير جزيرة البحرين جزر آراد وتاروت والمنامة وتتبع إدارتها لقائم مقام نجد واسم جزيرة البحرين الآخر أوال.

ولما كانت أراضى إقليم الحسا منبتة، تنمو فى هذه القطعة المتسعة كل أنواع الفواكه والخضر والمزروعات المتنوعة الأخرى.

وأكثر مغروساته النخيل، كما ينبت فيه: القطن، والأرز، واللوز، والليمون، والرمان، والعنب، والتين، والقمح، والشعير، والذرة.

وإن كان يزرع فيه قصب السكر ولكنهم لا يعرفون طريقة زراعة هذا القصب ولا طريقة صنع السكر منه. وينسج فى تلك البلاد قماش صوفى يطلق عليه الكيلانى وتصنع منه أجَمل العباءات والمشالح.

وكان سكان جزيرة البحرين القدماء من العماليق. وكانت قبيلتا جديس، وطسم قد انتشرتا إلى هذه الأماكن ثم استولى على البحرين الأزديون، وقد طرأ ضعف على العرب بعد حروب بخت نصر ظلت جزيرة العرب فى يد بعض القبائل المتفرقة وانتقلت إلى يد الفرس فى عهد أردشير بن بابك، وإن كان العرب خرجوا عن طاعة الفرس بعد موت أردشير، إلا أن شابور ذا الأكتاف انتصر على العرب وألحق البحرين بالبلاد الفارسية، وفى النهاية انتقلت إلى إدارة المناذرة الذين كانوا يحكمون فى الحيرة، وفى السنة السادسة من الهجرة أسلم بعض أهاليها وطلب بعض منهم أن يبقوا على دينهم وأن يعطوا الجزية، فعين العلاء بن الحضرمى واليًا عليها من قبل النبى ﷺ.

إخطار- فى بيان القبائل العربية الساكنة فى إقليم الحسا.

ولما كان أهالى الحسا مائلين للتحضر فقد سكن بعضهم فى القرى وسكن الآخرون فى المدن. وقد ذكر فيما سبق عددهم وطريقة معيشتهم كل فى مكانه

وسيذكر فيما يأتى الذين يعيشون فى حالة البداوة قبائلهم وعدد أفرادها ومواقع إقامتهم.

المـرة:

تتكون قبيلة المرة، من ثلاثة آلاف نسمة، وتطوف هذه القبيلة دائما حول بلدة قطيف وجوارها.

بنو هاجر:

وإن كانت قبيلة بنى هاجر قبيلة مستقلة إلا أنها تشعبت من أصل قحطان. ويعيش هؤلاء أيضًا بجوار القطيف ويصل عدد أفرادها إلى أربعة آلاف.

بنو خالد:

يبلغ عدد أفراد قبيلة بنى خالد إلى عشرة آلاف ويقضى سبعة آلاف منهم حياتهم مرتحلين بين نجد وجبل (أيله) وفى الطعة المنسوبة للزبير بن العوام ـ رضى الله عنه ـ فى الأطراف الغربية، كما يعيش الباقون جائلين فى أطراف بلدة الحسا.

استطراد:

تنقسم قبيلة بنى خالد إلى قسمين، ينتهى قسم منها إلى الصحابى الجليل خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ والقسم الآخر ينتهى إلى أخى المشار إليه وأبناء عمه.

والقسمان من جماعة بنى مخزوم وبنو مخزوم من أعظم بطون قبيلة قريش.

وخالد ـ رضى الله عنه ـ ابن وليد بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، ويتصل نسبه هنا بنسب السلسلة الذهبية للنبى ﷺ.

وكان قائد الجيوش فى عهد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وهو قاتل مسيلمة الكذاب وممزق أهل الردة وفاتح بلاد نجد المتسعة.

وكان زمام إدارة بلاد نجد وإمارتها فى نهاية العصر الثانى فى يد أسرة تنتهى إلى أبناء عم خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ من قبيلة بنى مخزوم، ثم انتقلت إدارتها إلى محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

وظلت فى يد هذه السلالة السليلة إلى ظهور سعود بن عبد العزيز نسلا بعد نسل وأظهرت هذه الأسرة الهمة والنشاط فى حسن إدارة هذه البلاد، وفق عقيدة أهل السنة والجماعة وكانوا عامة من مذهب أهل السنة والجماعة واشتهروا بين القبائل باسم آل عريعر وكانوا محترمين ومقدرين بين أهالى نجد وانتزع فيما بعد نجد سعود بن عبد العزيز.

آل عريعر:

بطن آل عريعر أبناء عم أمراء بنى خالد الذين يعيشون بين برية الشام وبلدة حماة، لأن أمراء بنى خالد الذين يستوطنون بين برية الشام وحماه ويشتهرون ويعرفون بـ آل عبد القادر. وعبد القادر هذا ناصر بن العاصى بن مهنا بن سليمان بن مهنا بن محمد بن فارس ابن عبد الكريم بن مهنا[1] بن فضل بن محمد بن عبد الرحمن وهنا اللقاء بسلالة آل عريعر. وأبو عبد الرحمن المذكور هو خالد بن الوليد رضى الله عنه.

وانقسمت أسرة ناصر إلى قسمين: أحدهما بطن مراد بن جابر بن ناصر.

وكريمة ابن جابر هى زوجة السيد حسين برهان الدين الصيادى الرفاعى زيانة الخالدية.

وزيانة الخالدية مدفونة مع ابنها السيد على الحزام بن سيد حسين برهان الدين فى قضاء معرة النعمان وفى قرية حسين وضريحها المشهور من مزارات الموحدين.

والقسم الذى انفصل عن ابن ناصر والذى ينحصر فى أسرتهم إمارة عشائر قطعة الشام انقطعت الإمارة عند مراد بن جابر السالف الذكر.

(١) مهنا هذا كان أميراً ورئيس القبائل العربية التى تستوطن فى الشام وأطرافه.

القسم الثانى لأسرة ناصر هو عبد القادر الشهير أخو جابر وأمير قبائل بنى خالد. وابن الأمير عبد القادر دندن وابنه محمد وأبناء محمد الحاج درويش وعبد الرازق، وأخلاف هؤلاء وأحفادهم مازالوا إلى اليوم يتولون رياسة قبائل بنى خالد وإمارتها.

وقبائل بنى خالد التى سكنت برية الشام تنقسم إلى سبعة أبطن أحد هذه البطون هم بنو خالد الذين فى قطعة زرقا بالقرب من دمشق وعدد أفرادهم أربعة آلاف نسمة، والبطون الستة الأخرى التى تستكن فى بوادى حمص وحماة ومعرة النعمان وجسر وثغور يبلغ عدد أفرادها ثمانية أو عشرة آلاف، وبعض أفراد هذه القبائل تسكن البادية ولكن أكثرها يسكنون فى القرى وهم من أصحاب الزراعة والفلاحة منذ قديم .

منطقة نجد وما تشتمل عليه من البلاد:

من أعظم أقسام جزيرة العرب قطعة نجد المتسعة.

وتصل حدود هذه القطعة الضخمة شمالاً إلى بر الشام وشرقًا إلى عراق العرب والحسا وجنوبًا إلى الأحقاف واليمامة وغربًا إلى حدود الحجاز.

ونجد من حيث الأراضى أشهر بلاد الجزيرة العربية وأجملها وتقع بين ٣٩ درجة إلى ٤٦ درجة من الخط الطولى الشرقى. وبين ١٩ درجة إلى ٣٠ درجة من الخط العرضى الشمالى وتنقسم إلى قسمين باسمى نجد الحجاز ونجد عارض.

ويقع نجد الحجاز فى الطرف الشرقى من البلاد الحجازية كما أن نجد عارض يقع الجهة الشمالية من البلاد الحجازية والبلاد الآتية أسماؤها من ضمن نواحى نجد الحجاز وهى: عارض، يمامة، شعرا، خرق، ضرية، أفلاج، هيلك، وادى الدواسير، رس، وادى السرا، سلايل، نيرين، مرثد، بلاد الوشم، كرموسة، بلاد الفصم، تمن، سدير، بشهر، درعية، ربطة وعيينة.

وللخطة المذكورة ثلاثمائة وأربعون قرية ومدينة، وبناء على حساب المدققين فإنها تشمل أكثر من مائة وأربعين ألف من البساتين والحدائق، وأن عدد سكانها

يتجاوز مليون نسمة، كما أن فى نجد عارض ثلاثة آلاف قرية، وأن هذه القرى ظلت تحت حكم شيوخها ولم تخضع لأية حكومة بناء على بعض الروايات.

شعـراء:

تقع ناحية شعراء على خمس مراحل من مكة المكرمة وناحية ضرية فى الجهة الشمالية لشعراء، وهيلك بالجانب الشرقى على بعد ثمانى مراحل من شعرا، وفى الجهة الغربية من اليمامة.

وتشمل ناحية شعرا بعض الآبار والمزارع وضرية على غدير كبير واليمامة على بعض حدائق النخيل وكثير من المزارع.

تمـن:

تقع تمن فى الجهة الجنوبية من كرموسة، وناحية كرموسة على الجهة الجنوبية من ضرية ولناحية تمن كثير من أشجار النخيل، ولكرموسة مياه جارية من الغرب إلى الشرق ولناحية الرس بئر مشهورة. ولسكان ناحية الرس آبار أكثر بالنسبة للنواحى الأخرى.

وتبدأ أراضى نجد العارض من مكان بعيد إلى الحجاز بمسافة ثلاث مراحل وتمتد إلى الجهة الشمالية وهو فى الأصل جبل يشتهر بجبل العارض ولهذا الجبل مدخلان باسمى الدرعية والعينية.

والجبل المشهور بسرين فى هذه الأراضى ونهر وادى بنى حنيفة فوق الجبل المذكور.

وفى وادى بنى حنيفة مياه جارية وحدائق نخيل وأشجار أخرى والدرعية منشأ كثير من الملحدين مثل القرامطة ومسيلمة الكذاب والدرعية فوق جبل سرين السالف الذكر كما أن مدينة الحسا على الطريق المشهور ممر القوافل والحجاج.

وينمو بجانب مدينة الحسا وحواليها أشجار الخوخ البرية وحدائق العنب والنخيل فى واد كثير التعرج.

ومدينة ملهم المشهورة بالعنب والخوخ والبلح وقصب السكر على بعد ست مراحل من الحسا، كما أن مدينة مقرن التى تحتوى على النخيل هنا وهناك والمزارع وحصنا ترابيا يقع على الجهة الجنوبية من اليمامة وهذه المدينة أقرب المدن إلى بلدة الدرعية.

والـ (رياض) التى أصبحت مقر إدارة وحكومة عبارة عن القرى الكثيرة والمدن وهى قريبة من الحسا.

وناحية مزج فى حدود اليمامة وبلاد القصيم فى آخر الصحراء الرملية التى تسمى وادى السرا ولا توجد سواء أكانت فى ناحية مزج أو القصيم النخيل أو الأشجار. وناحية مزج صحراء رملية مستوية تمتد خمس عشرة مرحلة وبما أنه ليس لها مياه جارية تروى مزروعاتها بالمياه التى تستخرج من الآبار بواسطة السواقى.

وفى قطعة نجد نواح كثيرة ومدن وقرى وجبال مثل جبل شمر وغيره ولما كانت أكثر أراضيها رملية مستوية وليس فى كل أراضيها مياه جارية. فإن مزروعات مثل هذه الأراضى تسقى بمياه الأمطار كما أن حدائقها تسقى من الماء المستخرج من الآبار.

والخيول العربية الأصيلة وأجود أنواع الهجين العمانى تربى فى هذه القطعة، كما أن الجمال العادية تتكاثر هناك بسرعة.

وبما أن أهالى البلاد المجاورة مضطرون لشراء ما يحتاجون إليه من الجمال من نجد لذا أطلق عليها العرب القدماء أم الإبل.

ومقاطعة نجد المرتبطة بالبصرة ليست القطعة الوسيعة التى تشمل المدن والقرى ولكن هذه المقاطعة بعض الأماكن التى فصلت عن بلاد البحرين.

فى بيان القبائل البدوية الساكنة فى منطقة نجد:

عنـزة:

وإن كان عربان قبيلة عنزة تتجول فى داخل القطعة الحجازية ولكن أكثرها تعيش فى الجهة الشمالية من قطعة نجد.

الذويبـى:

وقبائل العربان من أفرع قبيلة حرب الحجازية، الذويبى، الفرم، بنى سالم، بنى نخيض تسكن بين الأماكن الواقعة بين المدينة المنورة وبلاد القصيم، ويبلغ عددهم إلى أربعة عشر ألف شخص تقريبًا.

عجمـان:

وإن كان منازل قبيلة عجمان ومأواها الأصلى المكان المسمى بوادى نجران إلا أنها تمضى أوقاتها بين بلدة الرياض والرملة وأراضيها. وعربان هذه القبيلة فى منتهى الشجاعة ومحاربون من الطراز الأول ويقرب عددهم من ستة آلاف نسمة.

قحطـان:

انقسم أفراد قبيلة قحطان إلى قسمين: ويسكن قسم منهم فى الأماكن الممتدة من رياض إلى زنبة والقسم الآخر فى بلدة حوطة وجوارها. ويبلغ عدد أفراد هذه القبيلة ثلاثين ألف نسمة.

وأقدم القبائل المذكورة بنو قحطان وأكثر القبائل العربية التى ذكرت تتفرع من هذه القبيلة القديمة.

وإحدى شعب القبيلة المذكورة فى داخل حدود عسير وهذه الشعبة انقسمت إلى أربع قبائل كبيرة التى تعرف بأسماء قحطان الشام، قحطان اليمن، رجال الماء، المتصدقة بِنُفُوسِهَا.

الدواسـر:

بما أن قبيلة الدواسر تسكن فى محل يسمى وادى الدواسر فى الجهة الجنوبية من الرياض سموا بدواسر ويبلغ عدد أفرادها خمسة عشر ألفًا.

فى بيان القبائل الخاضعة لإدارة شيخ جبل شمر:

جبل شمـر:

جبل شمر مكان واقع على الشمال الشرقى من المدينة المنورة على بعد ثمانية مراحل.

وهذا المكان تحت إدارة أسرة ابن رشيد وابن رشيد تحت إمرة وإدارة أمير نجد وأكثر مدن شمر شهرة وعمرانًا مدينة حائل التى يبلغ عدد سكانها عشرين ألف نسمة، وقد اتخذها حاكم جبل شمر مقرًا لإقامته.

وفى جبل شمر غير حائل أربعون قرية صغيرة وكبيرة. وإن كان عدد سكان هذه القرى يبلغ ثمانين ألفا إلا أن القبائل العربانية التى تحت إمرة شيخ جبل شمر تبلغ عشرين ألفًا وهى قبيلة شمر وما يزال بعض منها يسكن تحت الخيم.

ولما كان المقال الذى كتبه السيد فضل باشا عن الجزيرة العربية يحتوى على بعض المعلومات النافعة فرأينا أن ندرجه هنا بأمر الباشا المشار إليه.

مقال فضل باشا فى وصف جزيرة العرب:

مدن مكة المكرمة وصنعاء ودمشق والقاهرة عروش البلاد العربية. وبدخول هذه المدن تحت إدارة الدولة العلية دخلت تحت عداد الممالك العثمانية. ولما كانت الجزيرة العربية خالية من السلاطين والملوك فمشايخ العرب يدعون فى المنابر للسلطنة العثمانية السنية. وتعرف ذلك الدول الأخرى أيضًا.

وعُين هؤلاء المشايخ بأمر السلطان أو أوامر الولاة العظام. وهذه الأوامر محفوظة فى قلم الديوان العالى السلطانى ومن المعلوم لدى الواقفين على الأمور أن ما يحدث بين القبائل العربية من الحروب ومن الثورات والعلاقات مع الدول الأجنبية لا يخرجها من تحت تبعية الدولة العثمانية. ووسيلة معيشة أكثر العرب الذين يعيشون على السواحل هى التجارة بحرًا، وسيد السمك واللؤلؤ والمرجان والتجارة البحرية وسيلة معيشة ما يقرب من أربعين ألف سفينة، وحمولة أكبرها عشرة آلاف كيلو وأصغرها تستوعب ألف كيلو. والسفن الخاصة بغواصى اللؤلؤ والصدف والمرجان وصيادى السمك خارج هذا الحساب، وأعلام أكثر تلك السفن حمراء وسبب ذلك عدم معرفتهم صفة علم الدولة العلية، وطواقم تلك السفن من الربان، والدليل، والملاحين والغواصين والآخرين كلهم من العرب. ورجال السفن التى تبحر فى البحر بين السويس والبصرة يتجاوز عددهم خمسين ألف شخص. وتقطع هذه المسافة فى ظرف خمسة عشر يومًا.

ومن المؤكد أن إخضاع الممالك التى تحت إدارة الشيوخ للنظام وحسن إدارة مثل هذه البلاد تحت الحكومة السنية سيحقق فوائد معنوية ومادية كثيرة. وإذا تعرضت جزيرة العرب لأى تدخل أجنبى فمن الواجب حمايتها من قبل الدولة السنية. لأن اختيار السكوت يبطل حق التصرف. وسواحل البحر الأحمر وجزره تابعة للدولة العلية والسواحل المذكورة شرقا وغربا قسمان:

القسم الأول:

والجهة الشرقية لجزيرة العرب تمتد من السويس إلى باب المندب ومن باب المندب إلى نقطة قصير. ومن جهة أفريقيا الغربية كذلك من السويس إلى باب المندب ومن باب المندب إلى رأس عسير.

وموانى الجزيرة الشرقية هى: السويس، الوجه، ينبع البحر، جدة، الليث، قنفذة، اللحية، حديدة، المخا وموانيها الغربية السويس، قصير، سواكن، مصوع، عصاب.

القسم الثانى:

والموانى الموجودة من خارج باب المندب فى الجهة الشرقية من سواحل البحر الأحمر هى: عدن وباب المندب، وفى الجهة الشرقية من سواحل البحر الأحمر هى: عدن، حسن غراب، بروم، مكلا، شحر ورأس قصير وفى الجهة الغربية من البحر الأحمر هى: زيلع، بربرة، والموانى الأخرى إلى رأس عسير. وسواحل البحر الأحمر فى إفريقيا الغربية تحت إدارة الخديوية المصرية وكل سكانها مسلمون. وأجناسهم من السودانيين والدناقل والصوماليين. وفى الموانى سفن لا بأس بها. وما فى الداخل برًا أجناس مختلفة من الناس وأديانهم متعددة. ولكن بلاد الصومال مرتبطة بالدولة وتحت إدارة الخديوية المصرية وعدد سكانها أربعة ملايين ولها موانى فى المحيط الهندى وكلهم مسلمون وفيهم أمراء. وفى الصومال خيول كثيرة ويباع الحصان واحد بليرة والمسافة من باب المندب إلى عدن برًا أربعة أيام. ومن عدن إلى شحر أربعة عشر يومًا.

وفى السواحل موانى عديدة، وهى تحت إدارة بعض مشايخ العرب. والمدينة الواحدة التى تحت الإدارة الانجليزية هى عدن.

والمسافة من شحر إلى قصير ثلاثة أيام والجهة الساحلية تحت إدارة شيخ يسمى (قعيطى)، ومن البر إلى الداخل، ومن بلاد حضرموت تحت إدارة الشيخ منصور الكثيرى، ومن قصير إلى محل يسمى دمقوط مسافة عشرة أيام وفى الساحل العديد من الموانى وهى تحت إدارة بعض مشايخ العرب. ومن دمقوط إلى محل يسمى (حاسك) مسافة خمسة عشر يومًا ويقال لها ظفار، وهى تحت إدارة الأمير السيد فضل علوى باشا. والمسافة من حاسك إلى مسقط تقدر بخمسة وعشرين يومًا وفى الساحل عدة موانئ تحت إدارة بعض مشايخ العرب.

ومنطقة مسقط تحت إدارة أميرها ومساحتها المربعة مسافة خمسة أيام. ومن اليابسة إلى الداخل يتبع أمير نجد، والسواحل إلى الحسا فى يد بعض مشايخ العرب ومن الحسا إلى البصرة فى يد الدولة العلية مباشرة. والساحل الغربى لخليج البصرة من الجزيرة العربية فى يد الدولة العلية والساحل الشرقى يعرف ببر فارس وهو بين الدولتين. وإن كان هذا الخليج مشتركًا بين الدولتين ومن هنا يلزم أن تكون الجزر القريبة من الساحل الغربى للدولة العلية والقريبة من الساحل الشرقى لدولة الإيران إلا أن الخليج يتبع الدولة العلية دون اشتراك أحد ومن هنا يجب أن تتبع جميع الجزر الدولة العلية.

إخطار ـ إذا ما تأملنا بعض الخرائط الأوربية ففى الألوان والإشارات التى تبين شكل مربوطية بعض الملحقات ارتكبت أخطاء فاحشة. انتهى المقال.

عادات العرب وأيامهم

العادات والمذاهب القديمة لسكان جزيرة العرب:

أولا: العادات القديمة:

لم يكن فى عهد عمرو بن لحى ـ الذى أدخل إلى الجزيرة العربية عبادة الأصنام ـ للعقائد الباطلة والعادات الفاسدة حد ولا نهاية فى الجزيرة العربية.

إطلاق الحيوانات فى المراعى وتركها حرة عد ذلك ثوابا، وعد استخدام الحيوانات التى أطلق سراحها حراما، إسقاط ميراث العبد المعتق، وإطلاق الناقة التى تلد ذكرًا فى خامس مرة بعد قطع أذنيها فى الصحراء، وعدم استخدام النياق التى أطلقت مرة أخرى، وعدم أكل لحم ولبن وزبادى وزبدة مثل هذه الحيوانات، كل هذه العادات والبدع مما اخترعه عمرو بن لحى بالذات[1].

وكان الذين قبلوا رياسة هذا الرجل والذين أتوا من بعده من الجاهليين يطلقون سراح الناقة التى ولدت فى خامس مرة ذكرًا شاقين أذن الناقة كعلامة مميزة، ويتركونها فى المراعى ويسمونها (بحيرة)[2] ولا يركبونها ولا يشربون لبنها بعد الحلب.

وإذا ما مرض شخص، أو غاب، كانوا ينذرون بتحرير ناقة قائلين «إذا شفى مريض وأبل من مرضه فلتكن ناقتى هذه حرة».

وإذا ما تحققت رغبتهم يسمون الناقة التى نذروا إطلاقها سائبة[3] فيشقون أذنها

(١) من أراد الاستزادة فليرجع إلى تفسير الآية ١٠٣ من سورة المائدة. من كتب التفسير.

(٢) من أولاد الناقة. السائبة فى الأنثى التى تلد فى المرة الخامسة ذكرا يسمونها «بحيرة».

(٣) سائبة اسم الناقة التى ولدت عشر مرات إناثًا.

مثل (بحيرة) ويتركونها فى المراعى. بحيث لا يجوز بعد ذلك لأى شخص أن ينتفع بهذه الناقة.

وإذا ولدت نعجة فى البطن السابع ذكرًا فيذبحون هذا الحمل تقربًا لأصنامهم التى يعبدونها ثم يأكلون لحمه أما إذا كانت أنثى يتركونها لحالها.

وإذا كانت هذه النعجة ولدت توأما ذكرًا وأنثى، يسمون الذكر وصيلة[1] فيهدونه لأخته الأنثى ولا يذبحونه. وكانوا يضربون مثلاً لهذه الحالة فيقولون: «وصلت الأنثى أخاها».

وإذا ما ولدت ناقة ما عشرة صغار يفقئون إحدى عينيها ويمنعون ركوبها ويسمونها حام[2] وكى يبينوا أنها قد اكتسبت صلاحية الرعى من أى حقل وأن تشرب من الماء الذى ترغب فيه، فينزعون لجامها ويتركونها ويعتقدون أن استخدامها فى الحمل أو الركوب حرام.

وكل هذه العادات الباطلة من اختراع عمرو بن لحى الذى بذل جهوده وعمل على ارتداد السبع قبائل الكبيرة عن دين واجب التبجيل سيدنا إبراهيم الخليل ـ عليه صلوات الجليل ـ وعلى اعتناق عبادة الأوثان الدين الجاهلى الباطل.

وقدر الله ـ سبحانه وتعالى ـ صيحة هذه البدع التى أراد بها عمرو بن لحى أن يحمل القبائل العربية إلى عبادة الأوثان إذ قال الله تعالى:

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة/ ١٠٣].

وكان فى زمن جاهلية العرب من العادات مثل «وأد البنات، الوسم، التعمية، التفقية، مداواة العسر، ضرب الثور على النقر، بكاء المقتولين، رمى السن، خضاب النحر، نصب الراية، جز النواصى، الالتفات، النهق، الاعتقاد، السلوان ويروى أن هذه العادات أيضًا من اختراعات عمرو بن لحى.

(١) يقال لحمل الذكر للنعجة التى ولدت فى المرة السابعة حملين أحدهما ذكر والآخر أنثى «وصيلة».
(٢) الناقة التى فقئت إحدى عينيها حتى لا تركب.

وأد البنـات:

عادة دفن المولودة الحديثة حية. إذا ما ولدت امرأة أى رجل بنتًا فى الوقت الجاهلى كان الرجل يأخذ هذه الطفلة من شدة خجله ويدفنها حية، ويغضب من الذين يخبرونه بولادة بنت له. ويغتاظ منهم.

وكان أهل مكة قد تعودوا على أن يدفنوا بناتهم فى جبل يقال له «أبو دلامة» فأقام جد الشاعر الشهير الفرزدق وهو «صعصعة» فوق هذا الجبل وحرص على أن يشترى البنات البريئات اللاتى يأتى بهن أهل مكة لدفنهن فى الجبل بأثمان باهظة.

الوسـم:

عادة ربط جمل الشخص الذى يموت بجانب قبره، فبناء على العقيدة الجاهلية كانوا يربطون جمل الذى توفى بجانب قبره معتقدين أنه سيركبه حينما يقوم من قبره، وكان الحيوان المُسكين يظل بجانب قبره إلى أن ينفق.

وكانت هذه العادة محصورة فى أغنياء القبائل. وكل من بلغ عدد جماله ألفا كان يختار من بينها جملا ويفقأ عينه وإذا ما بلغ عدد جماله ألفين يفقأ عينيه الاثنين. ويعميه وكانوا يعتقدون أن مثل هذا التصرف ينجى بقية الجمال من إصابة العين.

التعممية والتفقية: من فقأ عين الجمل احترازاً من الحسد.

مداواة العسر: عادة وسم جمل سليم.

وكان فى العصور الجاهلية مرض يشبه ممرض الجرب. عندما يظهر هذا المرض كانوا يَسمُون الجمال ويعتقدون بأن هذا الوسم ينقذ الجمال من الإصابة بالمرض المذكور وَيُسَمّون هذا مداواة العسر.

ضرب الثور على النفر: عادة ضرب الثور النافر.

وكان أهل الجاهلية يعتقدون أن طائفة الجن تركب الثيران وتمنعها من شرب الماء، لذلك كانوا يضربون الثيران النافرة عند شرب الماء.

بكاء المقتولين: عادة البكاء لمن يقتلون.

كان من العادات الجاهلية امتناع زوجات المقتولين عن البكاء قبل أن يؤخذ بثأر أزواجهم. ويبكين وقتما يؤخذ ثأر أزواجهن.

رمى السن: وهى عادة جاهلية.

وكان الأطفال فى الجاهلية فى أوان تبديل أسنانهم يمسكون بالسن المخلوعة بين أصابع إبهامهم وسبابتهم ويرمونها نحو شعاع الشمس قائلين»: «بدلها بأجمل منها» وكانوا يعتقدون أنها إذا رميت كذلك فسوف تخرج السن مستوية وأن الأطفال لن يعانوا من وجع الأسنان طوال عمرهم.

خضاب النحر: عادة تلطيخ النحر بالدماء.

وإذا سبق أحد الخيول، الخيول الأخرى فى أثناء الصيد ووصل إلى الفريسة قبلها كان تلطيخ نحر ذلك الخيل بدماء الفريسة التى قبض عليها من جملة آداب عرب الجاهلية.

نصب الراية: عادة رفع الأعلام أمام المنازل:

كان أهل الجاهلية ينصبون أمام أبواب منازلهم راية حتى تعرف.

جز النواصى: عادة تخطيط الجباه.

عندما كانت القبائل العربية تحارب بعضها البعض وتؤخذ أسرى فإذا أرادوا أن يحسنوا للأسير كانوا يخطون خطًا على ناصيته ويخلون سبيله.

الالتفات: عادة ألا ينظر من يخرج للسفر خلفه وقت السفر.

كان العرب يزعممون فى الجاهلية أن أى واحد يخرج للسفر ويلتفت خلفه لن يعود من ذلك السفر.

النهق: عادة النهق مثل الحمير.

كان يعتقد عرب الجاهلية أنهم إذا ما نهقوا مثل الحمير عند مدخل قرية

مصابة بالمرض لن تصيبهم العلة، لذلك عندما يدخلون مثل هذه القرى يدخلون ناهقين.

السلوان: اسم نوع من الخرز.

فالمتبلون بمرض العشق إذا ما نثروا فوق الماء الخرز المسمى بسلوان وشربوا من هذا الماء يستطيعون أن يتحملوا المرض مهما كان شديداً.

إن سوء أحوال أهل الجاهلية ليدل على بطلان عقائدهم، وهناك حكايات غريبة وعجيبة ولكن حجم هذا الكتاب لا يكفى لاستيعابها؛ لذا اكتفينا بهذا القدر.

المذهب القديم:

كان جميع سكان الجزيرة العربية قاطبة قد اتبعوا دين وملة خليل الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ ولكن لشدة الأسف أصبحوا مع مرور الزمن أميين لا يعرفون القراءة والكتابة، ولم يَبْقَ كتاب يصدق أركان ذلك الدين الحنيف وشرائطه. ولم يبق بينهم من يلجئون إليه عندما يختلفون فى مسألة ما لحل مشكلاتهم من أرباب الشريعة والاجتهاد، فاشتدت جهالتهم بالتدريج فانتهوا إلى الشرك والزندقة، واستولت عبادة الأصنام بناء على رأى عمرو بن لحى وتصويبه على مدينة مكة المعظمة قبل الهجرة النبوية بخمسمائة عام، أو على قول بثلاثمائة وخمس عشرة سنة، وأخذوا ينكبون على عبادة الأصنام التى صنعوها بأيديهم.

وقد ظهر بينهم بعض السحر والكهنة وأخذوا يخبرونهم عن الغيبيات رجمًا بالغيب ولما صادف أنه تحقق بعض ما أخبروه فانخدعوا بهم، وأخذوا يستعينون فى حل مسائل دينهم ومشكلات حياتهم بهاتين الطائفتين المضلتين وأخذوا يتلقون قبولاً حسنًا كل ما يقولون بل تسابقوا فى مضمار الضلال.

وأراد قصى بن كلاب بن مرة ـ وهو أحد أجداد النبى ﷺ ـ قبل الهجرة النبوية بمائتى سنة أن يعيد أهل مكة إلى دين خليل الله، وقد انتزع رياسة مكة المكرمة واستولى عليها، إلا أنه لم يوفق فى ذلك؛ لأن العقائد الباطلة التى

انتشرت فى عهد عمرو بن لحى، كانت قد سَرَتْ فى عروق أهل مكة كما تجرى الدماء الفاسدة وتمكنت من أعصابهم.

وكان أهل الجاهلية الذين عاشوا فى عهد قصى بن كلاب فى حالة بداوة كالقبائل العربانية، وكان أكثرهم يعتنقون عبادة الأصنام والأوثان، وكان لكل قبيلة صنمها الخاص بها إلا أنهم من حيث العقيدة منقسمين إلى عدة فرق.

١- الفرقة الأولى ـ كانت تنكر الخالق والبعث وتحاول أن تثبت أن الطبيعة تحيى والدهر يفنى.

٢- الفرقة الثانية ـ كانت تعترف بالخالق وابتداء الخلق ولكنها تنكر البعث.

٣- الفرقة الثالثة ـ كانت تعترف بالخالق وابتداء الخلق ونوعًا من البعث ثم أنكروا ذلك وعبدوا الأوثان ظانين أنها ستكون شفعاء لهم لدى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكانوا يحجون بالطواف حول الأصنام ويتقربون لها بذبح الذبائح كما أنهم يحرمون ويتحللون من الإحرام.

وكان بينهم من يعبد النجوم والكواكب مثل الآشوريين، ومن يعبدون الحيوانات مثل المصريين ومن يعبد الملائكة والجن، وكان منهم من انحرف لمذهب من يعتقد فى تناسخ الأرواح.

وكان الذين يعتقدون فى تناسخ الأرواح يظنون أن أجزاء أجسام الذين يتوفون تتحد وأنه يتكون من الأجزاء التى تجمعت فى كل مائة سنة طائر، والطائر الذى يتكون من كل جنازة سيأتى إلى رأس القبر الذى تدفن فيه تلك الجنازة وكان بينهم من اعتنقوا اليهودية والنصرانية.

إلا أنهم كانوا يجتنبون الزواج بأخواتهم وأمهاتهم واستفراشهن والجمع بين أختين فى الزواج.

وكانوا يستنكرون ويستقبحون من يتزوج من زوجات آبائهم، ويعيبون عليهم ارتكاب مثل هذه الأعمال الآثمة.

وكانوا يعدون المضمضة والاستنشاق والاستنجاء واستعمال المسواك وقص

الأظافر واستخدام الموسى من عاداتهم القديمة، وكانوا يعنون بإجراء هذه الأمور أعظم عناية.

كما كان مما يرغبون فيه من عاداتهم، الاغتسال من الجنابة، الصوم، الحج وزيارة بيت الله، ولبس الإحرام والذهاب للعمرة، وطواف كعبة الله والسعى بين الصفا والمروة، والوقوف على المواقف ورمى الجمار، وقطع يد السارق، والختان، وشنق قطاع الطرق، وترك الجدال والحرب فى الأشهر الحرم، وترك الجدال والحرب فى الأشهر الحرم، وغسل الجنازات وتكفينها والصلاة عليها، والوفاء بالعهد، وقد رفضت الشريعة الغراء الإسلامية من هذه العادات مالا يتفق مع مبادئ الإسلام.

صلاة الجنازة:

صلاة جنازة العهد الجاهلى كانت صلاة غريبة. كانت الجنازة توضع على المصلى، ويتقدم وليها فيذكر محاسن الميت واحدة تلو الأخرى وما الحسنات التى قدمها الميت للآخرين يذكر ذلك بالتفصيل ويعدده ثم يسكت بعد ما يقول «عليك رحمة الله» هذه هى ما يطلق عليه أهل الجاهلية صلاة الجنازة.

وظلت هذه الضلالة إلى أن أشرقت الأنوار المحمدية وسطعت فوق الآفاق وانتشرت إلى أقطار العالم الأربعة فزال ظلام الكفر والجهالة من الجزيرة العربية واعترف الكل بوحدانية الله تعالى، وانتشرت أضواء شموس سموات الحقيقة الإسلامية فى جميع أنحاء العالم. وظلت الأرض والزمان فى داخل نور الوحدانية الإسلامية.

إخطار:

وحينما عممت القوانين والنظم المبسوطة على القبائل البدوية وطبقت أحكامها فى ذلك الوقت انقسمت القبائل العربية إلى القبائل الأخرى الصغيرة وعند اللزوم كان شيخ القبيلة الكبيرة يجمع بعض المسنين ليستشيرهم فى الأمور التى تحتاج للحل.

وقد جال بعض الراغبين فى الاطلاع على أحكام القوانين والنظم التى وضعها مشايخ العرب المحترمين قبل هذه السبعة أو الثمانية قرون، فى أكثر أجزاء الجزيرة العربية وابتدروا فى نشر ما كتبوه من الرسائل وكتب السياحة، ولكن فهم مما كتبوه أنهم لم يستطيعوا أن يطلعوا على القوانين العربية كما يجب ومن هنا وصلت معرفة أصول القوانين العربية تلك لدرجة الوجوب للذين يريدون أن يسيروا فى الجزيرة العربية سواء أكان بحكم وظائفهم أم لمحض المشاهدة والسياحة، لأجل ذلك كتب كاتب الدائرة الحكومية للمدينة المنورة على موسى أفندى رسالة باللغة العربية بتشويق من تشجيع الدكتور «رائف» أفندى من موظفى إدارة صحة الولاية الحجازية والذى أقام عدة سنوات فى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد وصلتنى نسخة من تلك الرسالة بواسطة رائف أفندى المشار إليه ومن هنا رأيت إدراج بعض الفقرات منها فى هذا الفصل.

ولما كان على موسى أفندى منذ سنين كثيرة يتولى رياسة سكرتارية القسم العربى للدائرة الحكومية فى المدينة المنورة كما استخدم فى قسم الترجمة للعربان أصبح مُطَّلعا على العادات الجارية والأطوار والقوانين بين العربان وما أدرجه فى رسالته من المواد هى نفس القوانين والأنظمة التى بين العربان وقد صدق على ذلك من يعرفون القوانين العريانية وأهالى الحرمين الشريفين موقعين على ذلك.

النظم والقوانين الجديدة عند العرب كا
(الخمسة، والسمية، والعوانى، والمنن، والمجبودة)

الخمسة، والسمية:

يطلق على اتصال شخص بالآخر بنسب حتى الدرجة الخامسة والرابعة والثالثة خمسة، والطوائف التى يتصل نسبها بعد الجد الخامس يطلق عليهم «سمية».

إن أفراد طائفة السمية يوردون أسماءهم بإضافة اسم آخر مخلص «حتى يضيفوا لاسم جدهم السادس شهرة وليضيفوا لنسبهم شرفًا ومكانة.

مثلا إن أحدًا من العربان المسمى بـ «عويضة» يسمى ابنه باسم سمية وعويضة وذلك ليبين أن ابنه هذا وصل للبطن السادس، مثلاً إذا كان اسم ابن عويضة الرابع «حميد بن حمدان بن حمود بن حمد» فحميد يعد من «السمية».

ويمكن أن يكون تحت السمية سميات أخرى متعددة. أى يمكن أن يكون لجد إحدى السميات أولاد متعددة ولهؤلاء الأولاد أطفال كثيرون فيكون هؤلاء قد كونوا سميات كثيرة متعددة مشهورة بأسمائهم.

مثلاً إذا فرض أن لعويضة ابنان وهما «سالم، وحامد» وإذا كان كل من سالم وحامد كثير الأولاد فيعتبرون هؤلاء من سمية عويضة وينقسمون إلى سميتى سالم وحامد. ولكن بما أن سالم وحامد قد تفرعا من سمية عويضة يقال لهما سمية عويضة أيضًا.

واختراع القبائل العربانية مثل هذه الأشياء وعادات «خمسة، وسمية» وقبولهم ذلك بسبب الحصول على حقوقهم من أعدائهم بسهولة، مثلاً إذا ما قتل أحد من عربان القبائل أو ضرب أو نهبت أمواله وممتلكاته، وإذا لم يستطع المضروب

القبض على الفاعل الأصلى فإنه إذا قبض على خمسة متفرع من جده الخامس أى إذا قبض على أى واحد من أبناء الفاعل الأصلى يأخذ حقه منه ويستوفيه. والموظفون فى الحكومة يعملون وفقًا لهذا القانون فى زماننا.

ويعود سبب اتباع الحكومة للقوانين العربانية إغارة العربان على أبناء السبيل والحجاج والزوار ونهب أموالهم ولا سيما الغرباء، والتجار يتعرضون من جراء هجماتهم لخسائر عظيمة.

وإذا ما قتل أحد العربان واحدًا من أبناء السبيل فى أى وقت كان أو نهب وسلب أموال التجار والمسافرين يهرب إلى الصحارى والجبال حتى لا يقبض عليه ويختفى. وتحاول الحكومة أن تقبض على الجانى لتستوفى حقوق المجنى عليه وتتعرض لمشكلات كثيرة فى سبيل ذلك وفى النهاية تفشل. وبناء على ذلك لجأ عقلاء المدينة المنورة لاستيفاء حقوق الناس وفقًا للقوانين والنظم التى كانت مرعية بين العربان قبل هذا بثلاثة قرون أو خمسة وعملوا على تعديل وإصلاح ما كان صالحًا للقبول، وقبلت الحكومة أيضًا بعد إصلاح بعض أحكامها ليتسنَّى لها العمل بهذه القوانين.

وإحدى المسائل التى قبلت من قبل عقلاء أهل المدينة وعُدِّلت مسألة «الدم والمال فى الخمسة» التى يراعى حكمها بين القبائل البدوية.

وإن هيئة تعديل القوانين العربانية التى تكونت مقدمًا من سادة الأهالى صححت الفقرة القانونية التى تكفل البحث عن القاتل والسارق الأصلى أو عن خمستهما بفقرة «الدم فى الخمسة والمال فى السمية» أى تقرر أن تؤخذ دية دم المقتول من قبل الورثة من الذين تسلسلوا من جد القاتل الخامس مثل العم وأبناء العم كما أن المال المسروق يؤخذ من خمسة السارق ومن سميته أى من أعمامه الذين تشعبوا من جده الخامس والسادس وأبناء عمه، وعملت الهيئة على أن تجرى الأمور الخاصة بالحقوق على هذه الصورة وأخذت موافقة العربان على هذا التغيير وتصديقهم. وبهذا قدموا أعظم خدمة بالنسبة للذين سيأتون من بعدهم.

ويستعمل عربان القبائل قانونى الخمسة والسمية فى بعض الأحكام الأخرى. مثلاً، إذا ما فرض أن أحد من سمية قبيلة ما تسلط على شخص من عشيرة أخرى بالقتل أو النهب لأموال فحكم القانون الخاص بحالته يجرى فى حقه وحق خمسته.

إذا كانت الحالة متعلقة بقتل النفس وفر القاتل دون أن يقبض عليه فأقارب المقتول الذين لهم حق استيفاء القصاص وخمسته يقبضون على أى واحد من خمسة القاتل، ويجرون عليه نفس الحكم الذى كان يجرى على القاتل وإذا كانت الحالة خاصة بالدية يستوفون حقهم من خمسة القاتل بالكامل.

وإذا ما سرقت الأموال أو أشياء أخرى وعرف أن الناهب قد هرب ففى هذه الحالة لا يبحث عنه بتاتًا بل يتجهون رأسًا إلى خمسته ويحصلون منهم على ما سرق.

وإذا كانت الأشياء المسروقة خاصة بالحكومة أو التجار أو أبناء السبيل ويكون قد بحث عن السارق مدة طويلة ولم يقبض عليه فالحكومة أيضًا تلجأ إلى قوانين العربان وتحصل على الأموال المنهوبة من خمسة الفار أو سميته.

لما كانت القوانين الخاصة بالخمسات والسميات معترفا بها لدى القبائل العربية ومعتبرة فأفراد العربان يعنون أشد العناية بحفظ أنسابهم وليس بينهم من لا يعرف نسبه. وكان مَنْ سُئل منهم عن نسبه يستطيع أن يعد نسبه قائلاً» أنا فلان بن فلان..»، ويصل إلى عشرين بطنًا من أجداده.

وإذا ما قبض على أى شخص من هؤلاء العربان على أنه سمية قاتل من قبل خمسة المقتول وادعى هذا الشخص أنه ليس من خمسة القاتل وأخذ بيده عصا رفيعة وقبض عليها بأصابعه أمام بعض الناس وأخذ يعد قائلاً «أنا فلان بن فلان حتى يصل إلى جده الخامس وكل ما يذكر اسمًا يرفع أصبعًا من أصابعه وفى النهاية تقع العصا من يده ويذكر اسم جده السادس وأثبت أمام شاهدين صحة ادعائه وحلف على ذلك يمكنه أن ينقذ نفسه، وإلا فلا طريقة أخرى لذلك، وهذا يتوقف على حفظ النسب.

ويقدم ذلك الشخص الشاهدين الذين أحضرهما للموجودين ويحلف يمينا خاصًا بالعربان، لذا رأينا إدراج صورته الصحيحة هنا.

صيغة اليمين:

أحلف بمن رفع السموات العلية، قاطع المال والذرية، ومفرق الخمس قضابة الجنبية، أنّي ما عددت إلا الصدق وأني لست للضارب بخامس».

واليمين الخاص بالعربان قراءة هذه العبارة.

وعربان القبائل يهتمون فى عصرنا بحفظ أنسابهم، خمساتهم وسمياتهم، وكان الأمر كذلك فى الجاهلية لأن الافتخار بالآباء والأجداد كان مما يهتم به عرب الجاهلية أعظم اهتمام.

وكانت القبائل التى تتجمع فى مواسم الحج فى صحراء منى، تتفرق قبائل وقبائل وكان فصحاء القبيلة وبلغاؤها يصعدون فوق مكان مرتفع ويبدأ كل واحد منهم فى ذكر مفاخر قبيلته وخصالها الحميدة وسخاء أجدادهم وشجاعتهم فى ميدان القتال.

ولما كانت هذه العادة الجاهلية وإصرار العرب على ذلك ينافى المبادئ الإسلامية نزل قول الله تعالى:

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

ومن المصطلحات العربية، مثل خمسة وسمية؛ عوانى، منن، مجبودة من فروع تلك المصطلحات.

وكلمة عواني تعنى «المهلة» وهى جمع «عانى» ومنن تعنى النقود التى تعطى مقابل المهلة وجمع كلمة «منة».

والمجبودة:

أيضًا بمعنى المهلة إلا أن مدة المجبودة أكثر أو أقل عن مدة عانى بثلاثة أشهر.

سواء أكان «عوانى» أو «منن» أو مجبودة من القوانين البدوية المستقلة ومازال حكمها جار إلى اليوم بين العربان ومَرْعِيَّ الجانب.

عانى:

عبارة عن إعطاء مهلة مدة سنة وشهرين وأحد عشر يوما وثلث يوم والمثال على ذلك: إذا ضرب أى واحد من أفراد القبائل شخصًا آخر سواء أكان من قبيلته أو من القبائل الأخرى، وجرحه وكان هذا الجرح غير مهلك، وعرف هذا الضارب ذلك؛ فالواجب عليه أن يدخل فى دار أو خيمة أحد رؤساء العربان ويعرض ما حدث منه ويحكيه.

وإذا تلقى صاحب البيت الداخل قبولاً حسنًا وذبح غنمًا أو حملاً وأطعمه؛ كان هذا تأكيدا لحسن قبوله، وإيماء بأنه سيعمل على حل الموضوع الذى أتى من أجله. وفى اليوم الثانى يجتمع مع كبراء قبيلته ليبحثوا معًا موضوع الضارب وإيجاد حل لطلبه. وهذا الاجتماع لبحث ذلك الموضوع يقال له «جاهية».

وبعد أن يبحث صاحب البيت مع الهيئة الجاهية ويتشاور معهم فى خصوص هذا الموضوع يذهب مع الهيئة المذكورة إلى دار المضروب أو إلى بيت أحد أقاربه ذى الحيثية ويجلسون.

ويتقبل صاحب البيت الهيئة الجاهية بترحيب عظيم واحترام وفير ويحاول أن يقدم للهيئة وليمة عظيمة. إلا أن جماعة الجاهية ـ إذا كان الضرب الذى تعرض له المضروب خفيفًا ـ لا تشرب حتى القهوة التى يقدمها صاحب البيت قبل أن يضمنوا أنهم سيوفقون فى تحقيق الغاية التى أتوا لأجلها وأخذ تعهد بذلك.

ويقبل صاحب البيت رجاء جماعة الجاهية قائلا «فى وجهى» عندئذ يشرب أفراد جماعة الجاهية قهوة صاحب البيت ثم يطلبون مهلة سنة وشهرين وأحد عشر يومًا وثلث يوم حتى يسووا الموضوع وفق قانون «عانى».

ويطلق على تأجيل هذا الموضوع قدر هذه المدة «قانون عانى» وأقوى أنواع التعهد هو أن يمسح المتعهد بيده اليمنى وجهه بدءًا من جبهته إلى لحيته وتلفظ كلمة «فى وجهى» الذى يعنى أن رجاءكم مقبول وأتعهد بإلغائه.

المـنن:

هو قانون إعطاء الضارب للمضروب مقدار النقود الذى عينته جماعة الجاهية. وتأخذ جماعة الجاهية من المضروب شخصيًا أو من أقاربه تعهدًا بأن الضارب لن يصيبه أى أذى فى المدة التى اتفقوا عليها وبعد أن يقرروا حل الموضوع وفق قانون «عانى»، وفى ظرف هذه المدة يقرر أفراد جماعة الجاهية المبلغ الذى سيدفعه الضارب للمضروب، ويسمى تسديد الضارب للمضروب المبلغ الذى حدد دفعه «منن».

المجبـودة:

يطلق لفظ «المجبودة» على تعديل وتجديد حكم قانون عانى السالف الذكر بناء على وعد مقطوع. وإذا ادعى أعوان المضروب أنهم لن يستطيعوا أن ينتظروا انقضاء المدة التى حصل عليها أفراد جماعة الجاهلية، ففى هذه الحالة تعدل أو تنقض مدة «عانى» ويحكم على الضارب بأن يعطى مبلغًا آخر من المال للمدة التى سيعينها أطراف المضروب.

والمجبودة. هى المدة المعينة الجديدة التى من أجلها حكم على الضارب بإعطاء مال زائد للمرة الثانية، ويتعهد المضروب وأعوانه ثلاثة أشهر أو أقل أو تنقيص المدة أقل من المدة المعينة.

ولما كان بين البدو قضية السماحة فإذا كان أطراف المضروب من القبائل الكبيرة الشرفاء ذوات الحيثية فلا يقبل أفرادها النقود التى تقرر إعطاؤها فى المقابل سواء كان «عانى» أو «مجبودة».

وبعد أن يأخذ الضارب مهلة وفق القانون المذكور يستطيع أن يعيش حياته

العادية ويمارس أعماله إلى وشك انقضاء المدة سواء أكان بذاته أو بخمسته حتى يحصل على مدة جديدة وفق قانون «عانى» أو «مجبودة» ويضطر إلى أن يختفى ويستتر عن الأعين إلا أنه إذا استطاع أن يجد بعض المال لتجديد المدة وإطالتها وفق قانون عانى» أو «مجبودة» عندئذ يظهر ويسير حرًا فخوراً.

وإن كانت مدة «عانى» أو «مجبودة» تتجدد كل سنة إلا أنه ما لم يرض المضروب وأعوانه إن حددوا دية من الضارب ولم يأخذ المضروب من الضارب أو من أحد خمسته الثأر فإن له أن ينتقم منهم أى (الضارب أو أحد خمسته) بانتهاء المدة وعدم تجديدها.

وهذا بشرط أن يكون جرح المضروب غير قاتل، وإن كان الجرح مضراً وقاتلاً ففى هذه الحالة يدخل الضارب بيت رجل عظيم النفوذ ذا قدر كبير وإن كان هذا الشخص يرضى بدخول هذا الضارب فى بيته إلا أن هيئة الجاهية لا تتصل بالمضروب أو أعوانه ما لم يتبين أن المضروب لن يموت من أثر هذا الجرح. وعندما يعلمون أن جرح المضروب أخذ الطريق إلى الشفاء تلجأ هيئة الجاهية إلى أعوان المضروب ليعملوا على أخذ المدة كما سبق شرحه.

وبناء على قانون (عانى) أو (مجبودة) يحاول الشخص الذى استقبل هيئة الجاهية جاهداً أن يكرمهم، ويلح فى ذلك ولكن الجماعة المذكورة لا تمد يدها إلى الطعام، وإن ظل فوق المائدة أربعًا وعشرين ساعة ما لم تجد جماعة الجاهية صاحب البيت قد وافق على قبول مدة «عانى».

وإذا مات المضروب من أثر الضرب فلا يستطيع الضارب أو خمسته الإقامة فى منازلهم ويعيشون مختفين مستترين فى أماكن أخرى إلى أن يقبل أعوان المضروب الميت الدية، ومدة «عانى» وقد حدث أن كثيراً من الناس عاشوا فى ديار القرية خمسة عشر عامًا أو عشرين مساكين عرايا محتاجين نتيجة لمثل هذه الأحداث.

وإذا قتل أحد من جماعة المضروب الميت، بعد أن يقبلوا الدية، ومدة عانى القاتل أو واحداً من خمسته، قبل انقضاء مدة عانى؛ فإنه يقبض عليه أفراد

القبيلة التى ينتسب إليها لأنه لم يراع أحكام القوانين المعهودة وحفظًا للقانون، يسلمونه لجماعة القتيل الأخير فى ميدان خال. ويسمحون لهم أن يقتلوه بنفس الطريقة التى قتل بها المقتول. وسبب ذلك مسح أحد خمسة المقتول فى غاية الاحترام وجهه قائلاً «فى وجهى». لأن قانون عانى لا يكون سارى المفعول ما لم يسمح هذا الرجل الوقور المهم من خمسة المقتول يده على وجهه قائلاً «فى وجهى»، وفى الوقت الذى يتلفظ به هذا الرجل بهذه العبارة يمسح القاتل وخمسته بأياديهم فى وجوههم وكأنهم بهذا يدخلون تحت حماية هذا الرجل العظيم.

وإذا حدث قبل انقضاء مدة عانى، وتعرض الضارب لأذى خلاف المأمول فيوقف صاحب الحماية إنقاذًا لسمعته وحماية لشرفه الشخص الذى سبب الأذى ويعامله بالمثل.

لما كان مدة عانى دستورًا للعمل بين البدو وقانونًا مقبولا بينهم وبعد معاهدة المدة المذكورة، وبعد التعاقد فيعطى كل واحد من الطرفين للآخر سندا يحتوى على قرار مدة عانى ويشترط أن تكون الشهود الذين كتبت أسماؤهم فى هذه الوثيقة من هيئة الجاهية.

قتل الإنسان بالسيف أو الرصاص ليس له أثر كبير بين البدو ولا يجلب الشهرة إلا أن خنق الإنسان يعد من الجنايات العظيمة. وبناء على ذلك إذا ما قبض على مثل هذا القاتل من قبل خمسة المقتول المخنوق يقتلونه ومعه ثلاثة من خمسته، أما إذا لم يستطيعوا القبض على القاتل بالذات يقتلون أربعة أشخاص من خمسته.

وإذا عرض خمسة الخانق الدية على جماعة المخنوق الفضوا، وفى هذه الحالة يحكم من قبل جماعة الجاهية بإعطاء دية أربعة أشخاص.

والدية الكاملة لإنسان «ثمانمائة ريال» ومن عادة البدو أن يدفع هذا المبلغ على أقساط ثلاثة فى ظرف ثلاث سنوات، وتعطى الأقساط المذكورة وفقا للأصول الآتية.

صورة تأدية الدية:

تسدد فى السنة الأولى ثلث الدية نقدا بالريال فى السنة الأولى، والثلث الآخر الخاص بالسنة الثانية يدفع نصفه نقدا بالريالات ونصف النصف الآخر يسدد بالأشياء ونصفه الثانى نقدا بالريالات. والثلث الأخير الخاص بالسنة الثالثة يدفع بالكامل الأشياء والمواشى وتقدر هذه الأشياء والمواشى بضعف ثمنها وبعد أن يؤخذ من القاتل أقساط الدية بهذه الصورة يأخذ خمسة القاتل من قبل جماعة المقتول كفيلا لضمان أنه لن يحدث أى تعد من قبل المقتول بعد أخذ الدية.

وجـوه:

معنى «وجوه» حماية وهى قانون من القوانين البدوية المستقلة إن المسألة المهمة التى تتضمنها كلمة «وجوه» تجرى تحت بعض الأصول والقوانين، والمعاملات الخاصة بها تنبنى كليا على إيفاء القوانين والنظم التى سبق ذكرها.

ولما كان قانون «الوجوه» القديم يكفل استيفاء الناس حقوقهم، وقد تقرر قديمًا عدم الإخلال بهذه النظم بالاتفاق. والآن نبين أن هناك ثلاث قواعد مرعية بين العرب لأجل الوجوه».

١ - القاعدة الأولى:

إذا قتل بدوى بدويًا آخر أو أحد أبناء السبيل ولجأ إلى دار شخص ذى مكانة - حتى لا يُقبض عليه وفق قانون عانى الذى سبق شرحه، يرسل صاحب الدار إلى دار المضروب عدة أشخاص يكلفهم قبول أداء الدية، ويطلق على مجموع الأشخاص الذين أرسلوا ناحية المضروب «جاهية».

إذا لم تستطع هذه الجماعة أن تقنع المضروب بقبول الدية، ولم تستطع الحصول على عانى أو مجبودة أو منن، يراقب الضارب أحد من عظماء خمسة المضروب ويحدثه أن جماعة الجاهية التى أرسلت قد قبلت من جانب المضروب ويقول له «أنا داخل على الله وعليك عن سيئته».

فإذا ما وافق هذا الشخص على حماية الضارب المذكور فيرسل إلى جهة المضروب شخصًا يقول له «إننى أخذت فلان الفلانى مدة كذا إلى الوجه» يعنى للحماية فليكن فى معلومكم» فإذا ما بلغ هذا الشخص المضروب بهذه العبارة لا يستطيع المضروب ولا خمسته أن يتجرءوا على أذية الضارب.

وإذا ما حدث قبل انقضاء المدة المخصصة وقام المضروب لأخذ ثأره من الضارب يكون قد تعدى على حقوق الحامى وضمان حمايته. وبما أن هذا الحامى لن يستطيع أن يظهر بين العربان لشدة خجله فيحاول لحفظ شرفه أن يقتل هذا الشخص الذى تجرأ على التعدى على حق حمايته.

ولما كانت مادة «الوجه» والتدخل من القوانين والنظم المهمة ومرتبطة ومقيدة بتلك النظم. وعندما تحدث حالة ضرب كما سبق ذكره، يظل المضروب وخمسته مختفين متسترين من هذا القريب المحب ذى المكانة الذى لا يستطيعون رد كلمته حتى ينتقموا من الضارب حتى لا يسمعوا أن الضارب قد دخل فى وجه أحد الأشخاص العظام فلا يترك الحامى البحث عن المضروب وخمسته، وحيثما يقابلهم يرفع عقيرته قائلاً «إننى قد أخذت فلانًا وخمسته تحت حمايتى» فيسمعهم ويسمع الناس»، وإذا كانوا قد ذهبوا إلى مكان آخر يرسل الناس من خلفهم والذين يعلنون لهم قائلين: «إن فلانًا بن فلان أخذ الخبر قبل مجيء الحامى أو رسوله فقتل الحامى أو رسوله أو عمل على منعهما وزجرهما قبل تبليغ الحماية».

وإذا قتل فى هذه الفترة الحامى أو الشخص الذى جاء من طرفه فبناء على القانون الجارى بينهم يربطون هذا الحادث الجديد للدية أو إلى مدة عانى، ويتركون فصل القضية القديمة والنظر إليها إلى وقت آخر.

٢- القاعدة الثانية:

إذا كان شخصان يتجادلان مع بعضهما وأدرك شخص قريب منهما أن المناقشة ستؤدى إلى أنهما قد يقتلان بعضهما بعضا وكان هذا الشخص من عظماء العربان تدخل بينهما قائلاً: «إنى أقرعكم عن بعضكم بوجهى».

وإذا لم يكن هذا الشخص من عظماء العربان يذكر اسم أحد أكابر العرب ويعمل على إصلاح ما بين المتعارضين قائلاً: «إننى أفرق بينكما بوجه وحماية فلان بن فلان».

وإذا أراد المتعارضان أن يتركا النزاع بطاعة ذلك الشخص المتوسط وإذا لم يريدوا لا يهتمون بوساطة ذلك الشخص ويستمرون فى النزاع حتى نهاية المجادلة فيشتمون بعضهما وقد يضرب أحدهما الآخر ثم يحكمان أحد الأشخاص المعروفين بينهما، بالحق والعدل ليفصل فى هذه القضية. فإذا تبين بعد أن يحكم بينهما هذا الشخص ظلم أى واحد منهما فصاحب الوجه لا يترك هذا الشخص وحيثما يجده يضربه مرة إما بخنجر أو رمح أو عصا.

وإذا مات المضروب من أثر الضربة الواحدة فتجرى الأحكام المسرودة فى حق قتل النفس.

ويجرى هذا النظام فى حق من أخذوا الجانى تحت حمايتهم، وإذا أعطيت حمايته غيابيًا لأحد الأشخاص، وبما أن هذه الكيفية ستبلغ لهذا الشخص فإذا قبل ذلك الشخص الحماية فيجرى قانون حمايته حسب النظام المذكور. ولكنه إذا استنكف الحماية يخبر بذلك أحد الناس والشخص طالب الوجه يستفسر عن الموضوع من العارفين به بينما ينصرف الذى استنكف الحماية من جانبهم.

٣- القاعدة الثالثة:

إذا أراد أحد الوجهاء أن يتهم بعض الأشخاص وضيعى القدر والمكانة بالضرب والقتل ولكنه امتنع عن تأكيد كلامه باليمين فالشخص المتهم يدخل تحت حماية شخص من أمثال خصمه ومنزلته ويتخذ الأصول المرعية لجلب رحمته وإثارتها.

وذلك بأن يمسك كوفيته التى يتعمم بها من طرفيها ويجعلها فى رقبته ويقول له: «إن فلانا أسند إلى جنحة بطريقة ما فأقسمت له ولكننى لم أستطع أن أقنعه لأجل ذلك لجأت إلى حمايتك وهى دار الأمان عن شره، فأرجو أن تحمينى من شره».

ويقبل هذا الملجوء إليه ويبلغ للشخص الذى ضده حمايته بالذات أو بالواسطة، ويبين له إذا كان له حق الاستماع إلى الموضوع أن يعين حكما يثق فى كلامه.

وبناء على هذا القرار يستمع الشخص الذى تعين حكمًا إلى أقوال الطرفين، وإذا كان رأيه تبرئة ذمة الرجل فلا يتدخل لذلك الشخص بعد ذلك أبدا».

رفقة الطريق وما يتعلق بها:

لما كان منذ زمن بعيد قد حددت الأراضى التى تسكنها القبيلة من قبل رؤساء القبيلة وميزت بوضع علامات معينة ولكن نفوذ كل فرد من أفراد القبيلة يُعدُّ جاريًا فى داخل هذه الأراضى، لذا لا يأمن واحد من عربان القبائل الأخرى أو أحد أبناء السبيل الذى يمر من هذه الأراضى على نفسه ما لم يدخل تحت رفقة واحد من شجعان القبيلة والمشهور بها ولا ينعم بسلامة الوصول.

وإذا اتخذ شخصًا متصفًا بالصفات السابقة دليلاً له فهو يأمن على روحه وماله، ويسلم من كل خطر وبلاء ويصل إلى نهاية البلاد والأراضى التى ينتمى إليها الدليل. ولكن بعد الخروج من هذه الأراضى تسقط حماية ذلك الدليل عن الحكم فيضطر المسافر إلى أن يدخل تحت حماية شخص آخر من تلك البلاد التى يسير فى أراضيها حتى يسلم من الخطر. وبناء على هذا يكسب المسافرون والسياح فى الجزيرة العربية سلامتهم بمراضاة الأشخاص الذين يدخلون تحت حمايتهم وذلك بدفع النقود لهم.

ولو سافر أى سالك سبيل أو مسافر بمفرده دون أن يهتم بنظام الحماية لو قتل فى الطريق أو نهبت أمواله وتعرض للسلب أو أية مصيبة تهدر جميع حقوق هذا الرجل سواء أكانت بالنسبة لروحه وحياته أم بالنسبة لأمواله ولا يلزم نحوه أى شىء وفقًا للقوانين البدوية.

التبييضية:

وهى قانون تبييض وجه الحامى بين العربان. وإن كان تعرض البدو إلى

الشخص الذى وضع تحت الحماية غير ممكن إلا أنهم يدرون إن مثل هذه الأحداث قد تقع.

فإذا ما تعرض الرجل الذى وضع تحت الحماية للسلب والنهب فلا يسكت حامى المظلوم، فإذا كانت هذه الواقعة ليلا من قبل رجال قبيلته فيسترد الأموال المنهوبة منهم ويعطيها للمحمى.

وإذا ما كانت الحادثة قد وقعت من قبل قبيلة أخرى تعهدت بعدم التعرض للأشخاص الذين يحميهم فعندئذ يتبع الحامى أفراد هذه القبيلة ويطالبهم بالأموال المسلوبة. وإذا لم يرضوا برد الأموال يصطحب معه بعض سميته ويذهب ليطلب الأموال المنهوبة. فإذا رفضوا فى هذه المرة أيضًا فإن الحامى يمسك بندقيته ويطلق رصاصة واحدة لقتل واحد من السارقين.

وهذا التصرف من الحامى هو ما يعرف بين العربان بـ «تبييضية» وبهذا التصرف يكون الحامى قد أنقذ شرفه.

وإذا لم تصب الرصاصة التى أطلقها الحامى واحدًا من اللصوص أو أصابته ولكنها لم تؤثر فيه ففى هذه الحالة يكرر محاولته فيقتل واحدًا منهم أو يجرحه جرحًا بالغًا مميتًا وهكذا ينقذ عرضه ويعود مع سميته ويعيد الأموال المسروقة من أموال نفسه وسميته ويعطيها للشخص الذى تحت حمايته.

وإن كانت هذه الخدمة تؤدى بدون مقابل. ويحدث أحيانًا أن تُطلب النقود نظير الخدمة أو أن النقود لا تطلب ولكنها تعطى كنوع من المروءة.

رفيق الجنب:

هو قانون يحدد سلوك الرفقاء ورفاقة الطريق.

إن مسألة الحماية ليست من الضرورى أن تكون نظير أجر مادى مترجم إلى نفوذ، بل من الجائز أن تحدث الحماية بعد أن يتناول الطرفان الطعام سويًا أو يشرب أحدهما قهوة عند الآخر، وبهذا يحق لهما حماية بعضهما البعض.

فمثلا لو أن أحد الأعراب المقيمين على جانبى الطريق الذى ستسلكه القافلة، توجه إليها وأكل طعامها أو شرب قهوتها، فمن حق هذه القافلة عليه الحماية والرعاية طالما أنها تجتاز حدود منطقته. وإذا اعتدى أحد سميته على القافلة أو فرض أتاوة عليها، فالواجب يفرض عليه حماية القافلة من أى تعد، رعاية لأصول الحماية.

وإذا ما نظر الشخص المعنى إلى الأمر نظرة استخفاف أو لا مبالاة، فإنه بذلك يكون قد أظهر عدم اكتراثه، وقوض حيثيته وكرامته وشرفه بين العربان. ويعتبر بذلك حقيراً وضيعًا بين بنى قبيلته وعشيرته.

ولما كانت هذه العادات والأصول مرعية بدقة بين الأعراب، فقد كان يكفى عابر السبيل رشفة ماء من قربة أحد قطاع الطرق، حتى يكتسب حمايته ويسلم من مضاره وشروره.

وإذا لم يحترم أحدهم هذه الأصول والأعراف وأصاب بالأذى هذا الرجل الذى احتمى به، فإن صاحب الفوية التى شرب منها الماء، يكون ملزمًا بتخليصه من شره وأذاه، وإذا ما أصاب هذا المسافر نوع من الخوف أو الهلع من توقع اعتداء قاطع الطريق هذا عليه فى المراحل التالية، فإن صاحب القربة يرافقه الطريق حتى يوصله إلى بر الأمان والسلامة.

وكانت هذه الخدمات إذا ما قدمت بدافع الحمية والشهامة العربية، تتم لقاء أجر معين. وهذا كان نادر الحدوث.

وهكذا فإن هذا القانون المسمى (رفيق الجنب) والمعروف بين العشائر العربية كان ينظم رفاقة الطريق.

أما القانون الذى يطلق عليه بين العربان «**رفيق الجنب**»:

فهو عبارة عن قانون خاص بسلوك الرفقاء والصحبة فى الطريق.

طنيب الطنب:

هو قانون خاص للمحافظة على حق الجوار وذلك باتصال عدة خيام بخيام جماعة أو قبيلة ما.

وبما أن عربان القبائل يعيشون فى حالة ترحال فلا يتخذون مكانا ما مأوى ومسكنا بصفة دائمة، فينقسمون إلى عشرينات أو ثلاثينات أو أربعينات أو خمسينات أو ستينات من الخيم فينزلون حيث يعجبهم أو يقومون ويرتحلون حسبما يريدون، وإنهم لا يتركون أماكنهم ما لم تعد حيواناتهم جائعة من المراعى أو ما لم يكتشفوا مراعى أكثر عشبًا.

وعندما يعم الجفاف لا يسكنون فى مكان واحد أكثر من ثلاثة أيام وفجأة يتركون منازلهم، ويتفرقون بين عربان القبائل الأخرى ويحصلون على موافقة شيوخ القبائل الذين لجئوا إلى ديارهم بإعطائهم رأسًا من الغنم عن كل خيمة.

وهؤلاء الشيوخ يحمون الجماعات الواردة يصاحبونهم حيثما انتقلوا ويحسبونهم من جماعاتهم، وبناء على ذلك لا يتعرض لهم أحد بالأذية فإذا وجد من يتعرض لهم بالأذى فلا يستطيع أن ينجو من انتقام القبيلة كلها.

ويقولون لمثل هؤلاء الناس ـ أى الذين ينتقلون إلى أراضى غيرهم ويدخلون تحت حمايتهم ـ «طنيب الطنب» ومعناه الاصطلاحى الجيرة التى حدثت باتصال خيم هؤلاء بخيمهم.

المعاونة للدخيل: (إغاثة الملهوف):

من مقتضى القوانين القديمة بين العربان معاونة الدخيل، أى قبول الهاربين وإكرامهم قدر الإمكان وإعانتهم.

فإذا ما فر إنسان سواء أكان ذكرًا أم أنثى بعد ارتكاب ذنب أو جنحة أو جناية وأطلق المطاردون من خلفه رصاصا أو رمحًا قبل أن يدخل فى خيم أحد العربان سواء أصابه ما أطلق أولم يصبه فأصحاب الخيم ينظرون إلى جهة توجه الرجل الفار.

فإذا توجه الهارب نحو خيم الحريم، وقع الحادث المذكور قبل التقرب إلى الخيم بأربعين ذراعًا فبناء على القوانين العربانية لا يلزمهم شيء.

وإذا حدثت المطاردة السابقة فى داخل هذه الحدود أى أن المطاردين أطلقوا الرصاص أو الرمح فى مكان أقرب من أربعين ذراعًا وأقل منه وتبين ذلك فيكون المطاردون قد تعدوا على حقوق وحماية أصحاب الخيم وبناء على ذلك يتعقب أصحاب الخيم المطاردين ويقتلون من استطاعوا قتلهم بإطلاق الرصاص.

وإذا كان توجه الفار نحو خيم الرجال ووصلوا إلى جانب حبال الخيم التى تسمى طنب وخارجها فلا يدافع عن هؤلاء الفارين الهاربين وفق القوانين العربانية ولكن إذا حدث ما حدث فى داخل حبال الخيمة سواء أصابت الرصاصة التى أطلقها المتعقبون الفارين أو لم تصبهم، فبناء على القوانين العربانية فأصحاب الخيام يطاردونهم ولا يعودون إلا بعد قتل بعضهم.

ملاحظة:

فتعيين هذه المسافة الكبيرة والفرق الكبير بين خيم الرجال والنساء أى تحديد المسافة لحق حماية خيم النساء بأربعين ذراعًا يدل على مدى غيرة البدو على أعراضهم، وأنهم فى هذا السبيل يضحون بكل شىء.

وليس هناك بين البدو الخلص من يعرف ما هو الزنا، وإذا حدث مثل هذا الفحش فرضًا يقتلون الفاعل والمفعول، وفى هذا الموضوع لا يرحمون حتى أولادهم.

وبعد أن يراعى جانب الدخلاء من قبل أصحاب الخيم فجملة الجيران يستضيفون هؤلاء كل واحد منهم فى يوم خاص. ثم يعطى لهم الأغنام والحملان والجمال كمساعدة.

بعد ما يتم العون المقدم للدخيل يأخذ ما قدم له من العطايا، ويرجع إلى مقره الأصلى فيسوى أموره بدفع الدية وينهى الموضوع بالصلح.

وإذا كانت الإعانات المعطاة من تلك القبيلة كافية لتسوية أموره أو إذا لم يقدم له العون من قبل حماته ففى هذه الحالة فالأمر كله يحال لأفراد القبيلة الذين

يشمرون سيقانهم متفقين فيجمعون بينهم النقود الكافية لتسوية الأمر على أحسن وجه.

وهذا النظام من القوانين البدوية والعادات المرعية التى مازالت سائدة إلى يومنا هذا.

حفظ الأمانات والعادات الخاصة بها:

حفظ الأمانات أيضًا من القوانين العربية القديمة، وبناء على هذا إذا ما أعطى أحد العربان للآخر جملاً أو ناقة أو نعجة أو أشياء أخرى على أنها «أمانة الله» فالشخص الذى تسلم الأمانة إذا كانت حيوانًا مثلاً فإن المؤتمن يحرص على العناية بهذا الحيوان أكثر من حيواناته فيعلفه ويحرسه ويكثر نسله بالتوليد.

وإذا ما مات هذا الإنسان، فالحيوانات التى كانت أمانة فى يده تحفظ من قبل ورثته وتسلم لأصحابها وقت ما يريدون.

ومن الثابت المشهور أن عربان العرب إذا ما أخذوا ناقة أو ناقتين يكثرون عددهما بالتوليد دون أن يخونوا الأمانة وفرضًا أن الورثة لم يعرفوا صاحب الأمانة فإنهم يتحرون عنه حتى يجدوه ويردوا له أمانته.

والحملان التى تولد من النعاج والعنزات فإن الذكور يبيعونها ليشتروا بدلها النعاج حتى يزيدوا من عددها.

ولا يأخذون مقابل هذه العناية والإكثار شيئًا غير الانتفاع بلبنها.

ولما كان خلط الفساد فى أمور الأمانة يقلل من بركة أموالهم من الأمور المجربة لديهم لذا يبتعدون عن الغدر والخيانة فى هذا الموضوع.

وإذا ما نفق أحد الحيوانات التى تحت الأمانة فإنهم يقطعون جزءًا مميزًا منه ليروه لصاحب الأمانة.

وإذا ما نُهب هذا الحيوان من قبل قبيلة أخرى فيتتبعون هذه القبيلة ليخبروها أن المسلوب أمانة ويحاولون تخليصه من أيديهم ويبذلون الجهد لتخليص ما يمكن تخليصه.

والأمانات التى تعطى من قبل أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة مثل الهجن والحيوانات الأخرى للعربان تحفظ وفق النظام الذى ذكر أعلاه.

الملحس[1]: قانون خاص بلحس النار.

حدث منذ زمن أن أحد أهالى العرب المتدينين خرج ليزور قبر النبى ﷺ وبينما كان سائرًا بين عربان قبائل عوف اعتلت صحته فاضطر أن ينزل ضيفًا عند أحد أفراد القبيلة المذكورة. وقد أكرمه صاحب البيت أعظم إكرام ورعاه كأعظم رعاية، ووهب له جملاً لركوبه وقد سر الضيف من هذه العناية فى الاستضافة أعظم سرور ولما كان مضطرًا أن يقابل هذه المجاملة بمكافأة طلب من صاحب الدار سكينًا «على أن يظل حكمه وتأثيره باقيًا ما لم يبتعد عن الحق وأن ينتقل من بعده لأولاده وأحفاده» ثم أدخل هذا السكين فى داخل النار الموقدة فى مكان خال من الناس حتى احمر أشد الاحمرار ثم أخرجه من النار، وتلا عليه بعض الأوراد ولعقه بلسانه وجعل صاحب الدار أيضًا يلحسه. وبعد ما أثبت الضيف أن هذا السكين لن يضر لسان صاحب البيت بالفعل.

ثم أراد أن يبين أن هذا الفعل منحصر فى الصدق والاستقامة فقط، وقال لصاحب البيت «خذ هذا واحفظه فى مكان أمين وعندما أطلبه منك أنكر ذلك قائلاً: «لا ليس لى علم بمثل هذا الشىء».

فأعطى لصاحب البيت شيئًا ما، وبعد مدّة رجع وقال له «كنت أعطيت لك كتابًا بالحفظة إننى محتاج إليه الآن فأحضره لأننى أريد أن أطلع عليه» فرد عليه صاحب البيت مجيبا لا! إنك لم تعطنى كتابا ولا غيره لابد أن فى الموضوع خطأ. عندئذ أخرج الضيف ذلك السكين المحمر من أثر النار، وقال له إذا كنت لم تأخذ الكتاب الذى أعطيته لك العق هذا السكين! وعندما لعق الرجل السكين احترق لسانه إلا أن الضيف سقاه قطرة من الماء فانتفخ المكان المحروق والتئم مباشرة.

وقد تعجب صاحب البيت من حالة هذا الرجل واستعظم الخواص التى رأها

(١) مشهور بين أبناء المنطقة الشمالية الشرقية فى مصر باسم «البشعة».

فى الضيف ولم يكن يعرف أنه يريد أن يسدى له معروفا؛ لذا قال له «يا أيها الشيخ ما أعجب هذه الحالة» فرد عليه الشيخ قائلا: هذه خصلة جليلة تفرق وتميز بين الحق والباطل وغرضى أن أعلمك مقابل ما قدمته لى من معروف فلتعلم أننى قرأت على السكين عبارة كذا وبعد هذا كل من يراجعك لحل موضوع ما فسخن سكينًا حتى الاحمرار ثم اقرأ عليه العبارة التى علمتك إياها واجعل المدعى عليه يلحس هذا السكين! إذا كان الشيء الذى أسند إليه كذبًا وبهتانًا وافتراء فلا تؤثر سخونة السكين وشدة حرارته فيه، وإذا لم يكن بهتانًا يحترق لسان الرجل» وأعطى له إذنًا بأن يمارس هذا العمل كما رأى منه ليترافع عن الناس، ثم لقنه هذه التعليمات قائلاً «بعد هذا سيراجعك الناس من جميع الجهات يجب عليك ألا تنحرف عن طريق الحق فى إحقاق الحق والتمييز عن الباطل ويجب عليك أن تحقق وتستفسر عن المراجعين أولاً عن الموضوع الذى يراجعونك لأجله، إذا كان شيئًا مهما خذ المدعى عليه فى مكان خال وحاول بعبارات ملائمة أن ينهى الموضوع صلحًا وأن يسكت خصمه بإعطائه بعض الأشياء وبعد ما تأخذ منه وعدا بذلك الصلح بينهما حسب العهد الذى قرره على نفسه. وإذا ما امتنع المدعى عليه عن الإقرار بما هو واقع ففى هذه الحالة يقبل منه المدعى مقدارًا من المال مقابل الجناية التى ارتكبها واطلب كفيلاً يضمن ذلك وإذا ما أعطى كفيلا تباشر العملية وفصل الدعوى وفق قانون ما بشرط أن يعطى لك عشر المال أو الأشياء التى يدور عليها القضية، وهكذا علم الشيخ خواص هذه الحالة ثم فارقه مودعًا.

وأخذ صاحب البيت يمارس علمه وفق ما تلى من ضيفه من تعليمات ويفصل بين المتخاصمين ولما سر منها المتخاصمون اشتهر اسمه بين العربان وظل اسمه بعد ذلك ملحسا.

بعد هذه الواقعة اضطر الذين يعجزون عن إثبات شيء ينكره فاعله لمحاكمة الملحس للفصل بين الحق والباطل والتمييز بينهما، ويراعى الآن جميع القبائل وأهل العراق البدوى الملحس ليعرفوا أن المتهم بالقتل أو جنايات أخرى برئ

الذمة من ذلك، وإنهم يثقون تمامًا فى الحكم الذى سيصدره الملحس بعد أن يلحس المتهم السكين.

ولما كان سر هذه الخاصية انتقل إلى أحفاد وأولاد ذلك البدوى فالعربان يراجعون البدوى الملحس فى قضاياهم المعقدة الصعبة وبعد ما يستمع الملحس لادعاءات الطرفين يأخذ منهما عشر مادة الخلاف فإذا كانت الجناية قتلاً يأخذ عشر الدية قبل أن يُلحس السكين المدعى عليه.

وإذا ثبتت الحالة والتهمة على المتهم بالقتل يربط المدعى بكفيل قوى على أن يأخذ حقه من المتهم حيث يجده وألا يقتله بجانبه، ثم يجعل المتهم يلحس سكينة محمرة من شدة الحرارة فيأخذ حقه بناء على الحكم الذى ثبت من الجهة غير المحقة فى القضية ويرد نقود المحق، وإذا رضى المدعى بتسوية الموضوع فى القتل عن طريق دفع الدية، عندئذ يربط الموضوع على دفع الدية مقسطًا حسب قدرة المتهم المالية وما تظهر من قضايا بعد ذلك يحلها وفق ما سبق بيانه.

الجـرة:

الاسم الخاص لقانون تتبع الآثار. وفراسة العرب فى تتبع الآثار شىء مثير للتعجب.

وأكثر العربان يستطيعون أن يخبروا عن الوقت الذى مر فيه ومن أى مكان ما حيوان أو إنسان بالنظر للآثار التى تركتها قوائم الحيوان وأرجل الإنسان.

وقد جرب البدو الأحوال التى تحدثها الرياح على الأرض كما جربوا صلابة الأرض وليونتها، وجعلوها تحت ملاحظتهم. وبما تقرر بينهم من فن المقايسة والموازنة ودلالته الواضحة يدركون الوقت الذى مر فى هذا المكان صاحب الأثر وإن كان الوقت ليلاً.

وإنهم يدركون ما تقع تحت أبصارهم من الآثار وهم سائرون ليلاً، فيعرفون أن طائفة ما من العربان مرت من هناك قبل يوم أو يومين أو قبل ذلك كما يعرفون عدد جمالهم ومقر القبيلة التى تتجه إليه حتى إنهم يخبرون عن أفكار

تلك الطائفة قائلين بأنها كانت ذاهبة إلى القبيلة الفلانية للإغارة عليها والاستيلاء على أموالها، وإنهم يثبتون صدق مدعاهم بموافقة ما أخبروه للأحداث.

حتى إن قبيلة ما حينما تتجه إلى مقر قبيلة للإغارة عليها ليلاً فإذا رأت آثار أقدام كثيرة، فهم بدلالة فن تتبع آثار الأقدام أن هذه الجماعة لايمكنها أن تقاوم أعدادها لذلك تبدل طريقها وتغير جهة سيرها.

وإذا رأى العربان العائدون دون أن يوفقوا فى القبض على الجماعة التى كانوا يقصدونها آثار أقدام عربان أخرى فيتتبعونهم حتى يدركونها وينهبون أموالها، ويسلبونها ويطلق العربان على هذه المقاتلات بينهم للسلب والنهب اسم غزوة».

وبين العرب طائفة تعرف بـ «القصاصون» ولما كان شغلهم الشاغل الاهتمام بتتبع الآثار، لذا فهم يتفوقون على سائر العربان فى هذا الخصوص.

وإذا ما قتل أحد البدو الآخر أو سرق ماله، أو ارتكب منكرًا آخر فهرب من خوفه، فإذا لم يعرف أفراد القبيلة الهارب فإنهم يأتون برجل من طائفة القصاصين ليتتبع آثار الرجل، وهكذا يبدأ الرجل فى تتبع آثار الرجل بشم رائحة الحجارة ويتعقبه، وحس القصاص فى هذا الخصوص مصيب لأقصى درجة حتى إنه يستطيع أن يعرف إذا كان صاحب الأثر رجلاً أو امرأة، وإذا كانت امرأة هل هى بكر أو ثيب وإذا كانت ثيب، هل هى حامل؟ أم لا؟ كما يعرف من آثار الإبل هل هى محملة أو غير محملة وذلك من تأثير قوائمها على الأرض.

ولما كانت آثار أكثر الناس قد ثبتت فى أذهان القصاصين فإذا ما رأوا آثارهم يخبرون قائلين: «هذا أثر قدم فلان بن فلان. ويؤكدون صحة أقوالهم بمطابقتها بالواقع.

وقد حدث مرارًا وبعد التجارب أن قصاصًا قد تعقب آثار أقدام حيث اختفى صاحبها فى مكان ما أو فى منزله وقبض عليه. وعندما يُدَل أحد القصاصين على أثر قدم فالقصاص يخبر بهوية هذا الرجل وأين ذهب وما القصد من ذهابه وما

أمله، كل ذلك بالنظر لآثار أقدامه. وبناء على هذا لا يتتبع آثار ذلك الرجل ويصدق ما قاله القصاص. ويعاقب صاحب الآثار الذى ارتكب الجرائم وفق قانون الجزاء والمؤاخذة بعد إجراء التحقيقات.

وإذا وجد قصاص مشهور فى قرية ما أو فى قبيلة ما فلا يتجرأ أحد من تلك القرية أو القبيلة على السرقة.

لما كان أحد القصاصين قد برع فى فن تتبع آثار الأقدام واكتسب مهارة عظيمة فكان اللصوص لا يتجرءون على السرقة ليس فى قرية ذلك القصاص فقط بل حتى فى القرى المجاورة لقريته. وأراد أحد البدو أن يجرب مدى علم هذا الرجل فحاصره فى ليلة حالكة الظلام وضربه بعصا حتى أغمى عليه ووقع على الأرض، ولما أفاق المضروب بعد ساعة نظر إلى آثار أقدام الضارب ولكنه لم يستطع أن يتبينها لشدة ظلام الليل، وظل فى مكانه حتى الصباح وفى الصباح عاين الآثار بدقة فى ضوء النهار وعلم أن صاحب الآثار قد عاد إلى منزله، ولما كان صاحب دكان شغل بعمله. ولكنه كان يزن كل من يمر من أمام دكانه بميزان الملاحظة والمقايسة.

وبعد هذه الحادثة بثلاث سنوات بينما كان جالسًا فى دكانه وثب فجأة وضرب رأس أحد أبناء السبيل بعصا وأوقعه على الأرض. وقال للذين سألوا عن سبب ذلك: «كان هذا الرجل ضربنى قبل ثلاث سنوات فى المكان الفلانى على رأسى بعصا وأوقعنى على الأرض ليلاً وفر. وإننى كنت نقشت أثر الرجل فى ذاكرتى.

وكان أثر قدم هذا الرجل مطابقًا تمامًا للأثر الذى فى ذهنى لأجل ذلك ضربت الرجل بعصا مقتصا منه».

ولما سُئل المضروب قال: «نعم كنت قد تجرأت قبل هذا بثلاث سنوات على ارتكاب هذا الفعل لأجربه فى مدى مهارته فى فن تتبع الآثار». انتهى.

وفى الواقع أن فن تتبع الآثار قديم بين القبائل العربية، وقد ذكر فى كتب

السير أن النبى ﷺ حينما هاجر واختفى فى غار ثور قد أخبز به القرشيون من قبل القصاص الذى عينوه كما أن القصاص أخبرهم أن النبى ﷺ لم يتقدم خطوة إلى الأمام بعد هذا الغار. ولكن القرشيين وجدوا أمام ذلك الغار بيوت عنكبوت عديدة فوقه كما وجدوا أمامه عش حمامة وقالوا: «إن هذا المكان لم يدخله إنسان حتى قبل ولادة محمد عليه السلام» وبهذا الادعاء كذبوا القصاص، وكلما أصر الرجل على رأيه كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ يصرف أذهان هؤلاء عن تصديقه.

تتبع أخبار الأحداث واضطرارهم لذلك:

كان عربان القبائل يخافون من السيل والأمطار ومن الظلم والتعدى، كما يحترزون من التقلبات الجوية والرياح والعواصف وكانوا مهتمين أشد الاهتمام بأخبار الوقائع والحوادث، ويحصرون أفكارهم فيها حتى لا يصابوا بكارثة دهياء.

وأصبحت لديهم عادة الاطلاع على جميع أحداث الأماكن المختلفة، لذلك يسألون من يصادفونهم من أبناء السبيل عن المكان الذى يأتون منه وعن الجهات التى يتجهون إليها، وعمن رأوهم فى الطريق من قطاع الطرق، وعن العربان المغيرين، وعن مرض الحصبة والأمراض الأخرى، وعن الأماكن التى أمطرت السماء فيها، وعن السهول والوديان والمراعى.

وإذا كان آتيًا من بلاد ما يسألونه عن أثمان الأغذية والأوزان ولا يغادرونهم إلا بعد أن يستوفوا إجابة أسئلتهم.

ولكن مثل هؤلاء المسافرين يحترزون من إعطائهم الإجابات الصحيحة لأسئلتهم، ولا سيما عن الأماكن التى يتجهون إليها خوفًا أن يقطعوا طريقهم ويغيروا عليهم.

وإذا مر أحد المسافرين فى مجمع خيم البدو وأراد أن يستريح قليلاً فيأتى

واحد من جماعة البدو يبدأ أسئلته قائلاً «إيش علومك» ويتطلع إلى مدى علمه بالأخبار فيجيبه المسافر قائلا «خص وأنا أقص» أى عين وحدد سؤالك بالضبط وأنا أجيب عليك.

وعندما يقول المسافر «خص وأنا أقص» يبدأ السائل فى الاستفسار عن الأشياء التى سبق ذكرها، ويعود بعدما يتلقى الإجابة عنها. والمسافر مضطر للإجابة على أسئلة كل واحد منهم، فلا يستطيع أن يقول قد أجبت على أسئلة واحد منكم فاستفسروا منه».

وبما أن كل واحد من هؤلاء المستفسرين يبلغ قبيلته بما سمع وهؤلاء يبلغون الآخرين فحادثة ما إذا حدثت فى ركن من أركان الجزيرة العربية تنتشر على الألسنة وتذيع فى جميع أنحاء الجزيرة العربية.

سياسة الأمراء:

وسياسة أمراء العربان مرتبطة بقوانين معينة، إذ يستمع كل أمير إلى قضايا المدعين الذين يأتون لفض المشكلة. وكل من يخسر القضية يأخذ منه الأمير رأسًا ما يجب عليه دفعه، ويسلمه لصاحب الحق سريعًا ويأخذ ضعف ما يثبت عليه تنكيلاً به وبعد ما يدفع نصفه للمدعى يضع النصف الثانى فى صندوق بيت المال الذى تحت إدارته.

إذا ما تعدى أحد العربان على الآخر يتحرى سبب المشكلة من قبل الأمير أولاً فإذا كان هذا التعدى قد حدث قصاصًا مقابل جناية وقعت لأحد خمسة الجانى منذ زمن بعيد فيعفو عنه.

أما إذا تبين ظلمه فإنه يسجن فى مكان مكشوف أمام دائرة الأمير، ويعاقب بحرارة النهار وبرودة الليل إلى أن يصلح ما بينه وما بين خصومه.

ويعين الأمير جواسيس بين القرى والمنازل التى يحكمها ليطلعوا على الأحداث، وبالتالى يطلع الأمير على ما يحدث فى الأماكن التى يحكمها. وإذا

ما عرف بوجود جياد أصيلة أو إبل كريمة عند أحد الناس فيأخذ إناث هذه الحيوانات من أصحابها لزيادة نسلها فإذا ما قدم له طلبه كهدية فيعطيه فى مقابل خلقه بعض النقود أو يخلع عليه خلعة، وهكذا يراعى جانب المُهْدِى.

أما إذا تردد صاحب المال فى تقديمه فقد كان الأمير يجمع رجاله ويهاجم هذه القبيلة بغتة، وينهب كل ما لدى هذا الشخص من خيول وجمال وأغنام، بل كثيراً ما كان يصل الاعتداء على الأرواح أحياناً، وبعد السلب والغارة، كان الأمير ينتظر بعض الوقت للراحة فى مكان قريب من هذه القبيلة، فإذا وفد إليه بعض رجالها للاسترحام وعرض الولاء والطاعة والندم كان يرد إليها أموالها ومواشيها.

ولما كان الأعراب لا يسلمون من الغارة والهجوم، لذلك لم يكن أى منهم يهتم بالثروة الثابتة، بل كان كل ثرواتهم من الأشياء المنقولة، وكانوا لا يهتمون بالعمل بالزراعة والتجارة لأنها تتطلب الإقامة الدائمة، وهم يفضلون حياة التنقل والترحال، ولذلك استنوا لأنفسهم سنة فيما بينهم تقضى بأنه إذا تعرض البعض منهم إلى النهب والسلب وسلبت كل أمواله ومواشيه، كان كل منهم يقدم إلى المغبون عونًا يتمثل فى بعض الأغنام أو الإبل حتى يتلافى ما ضاع منه. وكان الجميع ملزمين بهذا القانون

ليس للحجاز مثل البلاد الأخرى أَنْهَارٌ ومياه جارية وآبار ولحكمة الله ينزل المطر هناك فى السنة عدة مرات. أو فى عدة سنين مرة واحدة، لذا لم يمل سكانها للمدنية والاستقرار وتنقلوا حيثما سمعوا أن هناك أمطاراً وحيثما تشبع حيواناتهم انتقلوا هناك مفضلين البداوة على المدنية. ورأوا فى التسكع هنا وهناك فخراً ولم يجدوا فيه عاراً، والغرابة تكمن فى هذه النقطة.

إذا أراد أمراء العربان فى غير الحجاز واليمن أن يحضر أحد الأشخاص للمنازعة والمناقشة أو أى مطلب كان فإنهم كانوا. يكتبون على ورقة صغيرة أمر استدعائهم له ويرسلونها إلى ذلك الشخص وعندما يصله هذا الاستدعاء فإنه كان لا يتأخرو يستعجل للحضور، وهذا من ضمن أحكام قوانينهم الموضوعة، وعندما

يحضر المدعوون يضرب الأمراء على العصيان التى فى أيديهم بخناجرهم ثلاث مرات، ويعود المدعوون ويظهرُونَ أثر ضربات الخناجر لخصومهم فيذهب هؤلاء بدورهم إلى حضور الأمراء والويل كل الويل لهم لو تأخروا.

والآثار والخطوط التى تحدث فوق العصيان يطلق عليها بين البدو «وَقَر».

إذا أراد أحد أمراء العربان أن يحارب أميرًا أو قبيلة فبما أنه ليس عنده جنود منظمة يبعث إلى شيوخ القبائل الذين يتبعونه مبينًا عدد الأفراد الذين يريد إحضارهم والمكان والوقت الذى سيتلاقون فيه. ويحضر هؤلاء إلى المكان المعين وقد أعدوا لوازمهم الحربية ومؤنهم الغذائية.

ولما كانت قيادة هؤلاء الأشخاص الذين حشدوا فى يد الأمير الذى استدعاهم فيتولى الأمير قيادتهم ويتوجه بهم إلى مقر إقامة القبيلة التى يريد أن يغير عليها. وقبل أن يتحرك يرسل عددًا من الجواسيس ليطلع على أحوال القبيلة التى يريد أن يحمل عليها.

ولما كان استخدام الجواسيس من عادات أمراء العرب فإنهم كانوا يستخدمون فى هذا الأمر أناسًا موثوقين فى كتمان الأسرار فالجواسيس الذين يذهبون لاستطلاع أحوال القبائل وكشفها لا يمدون أحدًا بالأخبار إلا الأمراء.

وبعد ما يتعرف الأمير الذى يريد أن يخوض الحرب على أحوال القبيلة الداخلية معرفة جيدة بواسطة الجواسيس يلقى للأفراد الذين تلقى قيادتهم أشعارًا مؤثرة وخطبًا حماسية فيملأهم حماسًا وشجاعة ويقطع المسافة التى تقطع فى يومين فى ليلة واحدة ويفاجئ القبيلة التى يريد أن يغير على مخيمها فجرًا بالهجوم.

وفى مثل هذه الحملات يرسل الأمراء الذين تولوا القيادة، البدو فى مقدمة الجيش كالقناصة ويسوقونهم بينما هم يظلون فى المؤخرة كقوة احتياطية فى جهة ما منتظرين النتيجة. فإذا ما أحسوا آثار ضعف أو انهزام فى القناصين يهاجمون عامة وهذا من عادات العربان الجارية وقوانينهم المرعية.

وإذا ما قدر لهذه الحملة أن تنكل بالعدو وتغنم منه أغنامًا كثيرة، فقد كان الفرسان يحتفظون ببعض الغنائم لأنفسهم ويقدمون الباقى لقائدهم.

وإذا أعلنت إحدى القبائل الخاضعة لأحد الأمراء العصيان عليه وخالفت أوامره، كانت القبائل الأخرى تنصرف عنها، ولا تتعاون معها فى أى أمر من الأمور مالم تعد إلى طاعة أميرها. بل إن الأمر كان يبلغ أكثر من ذلك، فقد كانت تمتنع عن المشاركة فى القتال معها، إذا ما تعرضت لعدوان من قبائل أخرى.. وكان سبب ذلك بالطبع هو قوة الأمراء وظلمهم وتعسفهم.

قضاة وفقهاء الحكومة

إن أمراء العربان يستخدمون نوعان من القضاة أولهما القاضى والآخر الفقيه.

وإذا ما رأوا بين الجماعة من طال شاربه يستوقفونه على باب المسجد، ويأمرون بأن يعاقب الذين لا يداومون على أداء الصلاة مع الجماعة والذين يستخدمون الدخان والتنباكو، والنشوق وفق القوانين المرعية. ووظائف هؤلاء فقهاء البدو لا يتعدى مثل هذه الأمور.

أما القضاة فكانت مهامهم تتلخص فى الفصل فى الدعاوى المخالفة للأحكام الشرعية، وكذلك الدعاوى القديمة. وكانوا لا ينظرون أية دعوى مالم يقم أصحابها بتسديد الرسم الذى يقرر حسب أهمية الدعوى، والذى كان يطلق عليه اصطلاحًا «خبذ».

ويطلق على أحد أنواع الأسلحة فى مصطلح البدو «خبذ» أيضًا. وبعدما يؤدى الرسم المذكور يعرض المدعى قضيته وبينته أمام مجلس يتكون من عدة أشخاص مسنين كما أن المدعى عليه، يعرض إجابته أمام تلك الجماعة.

وبعد ما يستمع القاضى لادعاءات الطرفين يسجلها مضبوطة فيترك حل القضية والفصل فيها لآراء الحضور.

ولكن قبل أن يحكم أعضاء المجلس بالإجماع فى القضية يأخذ أحد أعضاء المجلس المدعى والمدعى عليه خارج المجلس ويحاول أن يحل القضية بالصلح

ناصحًا لهما وذلك بأمر القاضى وتصويبه، وإذا لم يستطع أن يصلح بينهما يبعث شخص آخر من قبل المجلس وتستمر النصائح إلى غروب الشمس وفى هذه الفترة يذهب كل واحد من أعضاء المجلس لإصلاح ذات بين المتخاصمين واحدًا تلو الآخر ويسعون لتسوية الأمر.

وإذا لم تنجح مساعيهم. يسأل القاضى الحضور قائلين: «هل حدثت مثل هذه القضية من قبل؟» ويجيب كل واحد من الموجودين بإجابة ما، ثم يقبل القاضى أقرب الإجابات لتلك القضية وأنسبها، وبعد أن ينفذ الحكم يعطى القاضى مهلة لتسوية الدين ويطلق سراح كفيل المحكوم.

وإذا اقتضى أن يحلف أحد المتخاصمين يمينًا. فإن اليمين بين العربان نوعان: أحدهما يمين خاص بمواد عادية والآخر خاص بالمواد المهمة.

والمواد العادية عبارة عن «الأموال المسروقة وارتكاب المنكرات» أما المواد المهمة عبارة عن جنايات خطيرة مثل القتل والزنا.

اليمين الأول عبارة عن تلاوة العبارة الآتية».

«والله العظيم والله الكريم، والله الذى لا إله إلا هو خالق البرية، العالم بكل خفية، رافع السموات العلية، قاطع المال والذرية ومفرق الخمس قضا بة الجنبية».

واليمين الثانى هو تكرار لفظة والله والله أربعين مرة، وصورة اليمين الثانية هى صورة اليمين الأول يطلق العربان على مثل هذا الحلف «أيمان شديدة».

وقد انقسم تحليف اليمين عند العربان إلى ثلاث أقسام.

«يمين مخففة مفردة، يمين مخففة غير مفردة، ويمين مغلظة».

القسم الأول:

اليمين المخفف المفرد وهو عبارة عن قول «والله العظيم وبالله الكريم».

٢- القسم الثانى:

هو اليمين الذى سبق تعريفه وهو «والله الذى لا إله إلا هو خالق البرية،

العالم بكل خفية، رافع السموات العلية، قاطع المال والذرية، ومفرق الخمس قضا به الجنبية» ويقال لهذا اليمين المخفف غير مفرد.

٣- القسم الثالث:

هو الحلف بقول «والله والله» أربعين مرة ويقال له: «الأيمان المغلظة».

ويكلف العربان بحلف الأيمان المخففة فى حالة المال المسروق. والحقوق المالية المتكررة. ويحلف الأيمان المغلظة فى حالة الجنايات مثل القتل والزنا والجنايات العظيمة.

الطب العربى

بما أن أفراد القبائل البدوية لا يقتنعون بعلاج أطباء العرب وجراحيهم المتمدنين، لذا قرروا أن يعالجوا مرضاهم بالأدوية المجربة بينهم.

الصفراء:

ويحمل العربان كل من يصفر لونه قليلاً على أنه حدث له من التهاب الكبد، وعلى هذا يطلون عقب المريض بزيت زيتون ثم يكوونه بإبرة كبيرة أو سكينة[1] صغيرة ملتهبة من الحرارة على شكل صليب وبطريقة مؤثرة ثم يسقون المريض قدرا من الماء المختلط بالفلفل الأسود. فيزول مرض المعلول بحكمة الله تعالى بتأثير تلك العملية.

وإن كان الأطباء يعالجون هذه العلة بأدوية مركبة من بعض مياه معدنية وأحيانًا بسولفات، ولكن بما أن هذا المرض له أنواع مختلفة فلا يعالج إلا إذا عرف نوعه وشخص.

الإمساك:

فالذى يجد صعوبة فى التبرز يسقونه لبن النياق فيحدث هذا اللبن فى داخل جسمهم ليونة فيزول عنهم ما يعانون منه.

ويستعمل الأطباء الآن لإزالة الإمساك الزيت الهندى والملح الإنجليزى وأدوية مماثلة لهما.

الصداع:

ويداوون الصداع بكى أحد الأوردة التى فى الرأس برأس مسمار ملتهب كما أنهم يكوون أحد الأوردة التى فى الرأس لوجع العين.

(١) هذه الإبرة الكبيرة الملتهبة أو السكين تسميان (واقب).

ولما كانت العملية التى تجرى لوجع العين مجربة كذلك من أهالى المدينة المنورة، لذا قد حدث مرارًا أنهم قد عالجوا المرضى الذين تعرضوا لوجع العين بأخذهم إلى أحد العربان الذى اشتهر فى الكى وجعلوه يكويهم. وهذا جار حتى الآن.

والأطباء يعدون أدوية الصداع حسب نوعه، لذا يجب أن يستعمل فى مداواة مرض العين الدواء الذى يناسب نوع هذه العلة.

وقد تقدم فى زماننا معالجة أمراض العين تقدمًا عظيما حتى ظهر أطباء حُذَّاق ومشتهرون وتعالج علة العين بواسطة هؤلاء المتخصصين.

إذا ما شق بطن أحد الناس بالرمح، أو الخنجر، أو أية آلة حادة وخرجت أمعاؤه خارج البطن، عندئذ يقطعون من داخل المجروح شحمًا من داخل بطن الرجل كمية صغيرة، ثم يسخنونها على النار حتى توشك على الذوبان ثم يرتبون الأمعاء ويضعونها فى أماكنها ويطعم المجروح بهذا الشحم الساخن ثم يخيطون الأماكن التى قطعت من بطنه.

وبعد أن يخاط جرح المجروح يُكْوَى، وهذا من مقتضيات الطب البدوى. وبعد أن يخاط جرح المجروح يوضع عليه قطعة من القماش وعليها عسل مخلوط بكمون ويربط الجرح عدة أيام ويغير هذا القماش عدة مرات حتى يلتئم الجرح ويطعم المجروح بحساء العظم أو اللحم فقط.

وهذه العملية الخاصة بفن الجراحة قد تقدمت تقدمًا عظيمًا والأمعاء التى خرجت خارج البطن يدخلونها وفق فن الجراحة فى داخله، ثم يخاط بواسطة الإبر والأدوات الخاصة بهذه العملية، ويوضع عليه ما يلزم من الأدوية ويغطى بقطعة قماش ويلف ثم يعالج حسب ما تقتضى حالة الجرح علاجه.

ومن عادات البدو قبل إجراء العملية إطلاق رائحة المسك والبخور. وبناء على اعتقاد أفراد البدو إذا ما أطلق فى أثناء إجراء العملية عطور ذات رائحة طيبة وشمها المجروح فإنه لا يتأثر من تعفن جرحه.

وإن كان إشمام البدو للمريض روائح طيبة، حتى لا يصاب بإغماء ولكن الأطباء اليوم يسقون المريض بعض الأدوية مثل «فوردى يال» حتى لا يصاب بإغماء.

ويستخرج حكماء البدو وأطباؤهم الرصاصة من داخل الجسم بسكينة ملتهبة فى النار بمهارة فائقة من الجسم بعد أن يشقوا مدخلها.

وإذا كانت الرصاصة قد وصلت إلى العظام وهشمت العظم ولم ينتبه المداوى لتلك الحالة والتأم الجرح ثم انتكس الجرح عندئذ يفتح المداوى الجرح كالمرة السابقة بسكينة ملتهبة فى النار ويخرج قطع العظم المهشمة ثم يخيط المكان الذى فتحه ويعالجون الجرح بتركيبة من العسل والكمون إلى أن يتم الشفاء ويلتئم الجرح.

يستعمل الجراحون فى عمليات استخراج الرصاص أنواعًا من الآلات التى صنعت خصيصًا لذلك الغرض.

وإذا ما تورم عضو من أعضاء أحد الناس وأصيب بالغرغرينة فى الداخل ولم يظهر له فتحة أو رأس عندئذ يشيرون إلى محل التورم بتراب الفحم ثم يدخلون الإبرة الكبيرة التى التهبت فى النار من شدة الحرارة فى سرعة ساحرة فى المكان الذى أشير ويخرجونها وبعد أن تخرج من الداخل التقيحات يصنعون فتيلاً من قماش ويغمسونه بـ (خيليت). ويدخلونه فى داخل الجرح. ويستعملون هذا الفتيل ما يقرب من ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع يضغطون على الجرح إلى أن يخرج الدم الأسود والماء الأصفر. وبعد ذلك يتركون الفتيل ويضعون على الجرح بصلا مقطعًا ويستعملون هذا الضماد.

والأطباء فى زماننا يستعملون بعض الأدوية ليقضوا على هذا النوع من الأورام وإذا لم تأت الأدوية بنتيجة حاسمة فإنهم يتدخلون جراحيًا ليزيلوا التقيحات الداخلية.

والعرب يكوون رأس من وقع من مكان عالٍ ومن فوق الحصان أو الجمل فتأثرت ضلوعه أو انكسرت.

ولما كان تكسر العظم شديد الألم فالأطباء يعالجون ذلك حسب شكل وأهمية العظم المكسور.

ويطعم العربان من تعرض للفتق بذرة القطن المطحونة المخلوطة ببياض البيض.

أما بين الأطباء لا علاج للفتق إلا «رباط الفتق».

أما من تعرض لمرض (داهنه) يدلكون جسمه بالزيت المخلوط برماد الخشب المحروق ثم يمسحون الزيت ويدخلون فى المنافذ التى ظهرت فى الجسم ابرة ثلاث مرات ويخرجونها.

وإن كان المريض لا يحس بألم الإبرة التى تدخل ولما كان المكان سينزف عند إخراج الإبرة فالإبرة التى أدخلت مرة ثانية تؤلم أشد الألم وإدخال الإبرة للمرة الثالثة يسبب ألما لا يحتمل.

واشتداد الألم بناء على اعتقاد البدو دليل على برء الجرح وعندما يشتد ألم الإبر يتركون إدخالها وإخراجها.

الداهنة:

داء خاص بالقبائل البدوية ومن يصاب بهذا المرض يحدث فى أصل كل شعرة من جسمه ابتداء من صرته حتى قدميه ثقب صغير ونتيجة لهذه الثقوب يصيب المعلول ضعف ويشعر بألم شديد حتى يظن أن عظامه تتألم.

ومن يصاب بداء الرياح والغازات والقولون يجعلونه يأكل الخبز الساخن غامسًا فى مسحوق النعناع إلى أن يشفى ومن جهة أخرى يطلونه بزيت الزيتون وزيت النعامة.

كما أنهم يكوون من تلدغهم الحية أو الثعبان بعصًا مدببة محروقة وبما أن هذه العصا تمسك السم ولا تسمح بانتشاره وتجمعه فى فتحة الجرح فيداوونه بالعسل والكمون.

وإن كان هذا النوع من التداوى يوافق الطب الحديث إلا أنهم الآن يداوونه بطريقة أخرى.

والمريض الذى أصابته رياح السموم يسقونه قدراً من المسلى الطبيعى وينيمونه ويغطونه بأغطية كثيرة قدر تحمله ويجعلونه يعرق ويستفرغ ويمنعونه من شرب الماء قدر ساعتين.

والأطباء يعالجون مثل هذه الأمراض نتيجة لوخامة الهواء والجو بطريقة أخرى أيضًا.

أما الذى تعرض للرياح والبرد حتى لا يستطيع أن يتحرك يداوونه بحفر حفرة عميقة قدر طوله ويوقدون فى داخلها النار ويسخنون التراب ثم يبردونها قدر التحمل فينيمون المعلول داخل هذه الحفرة، ويغطون كل جسمه بالتراب ماعدا رأسه كما أنهم يغطون رأسه بقماش حتى لا يتعرض للتيارات الهوائية ويجعلونه يعرق ويتركونه حتى آخر قدره من التحمل ثم يخرجونه، ثم يزيتون جسمه بالزيت ويلفونه بأقمشة غليظة ويتركونه هكذا مدة ثلاث ساعات ثم يسقونه حساء اللحم.

ولما كان هذا المرض من نوع «رثية المفاصل» المشهورة فالأطباء يداوونه بالمياه الساخنة والمعدنية وهذا النوع من العلاج مرغوب لدى الأطباء الأوربيين.

كما أن المستشفى به يداوونه بهذه الصورة، إلا أن المستشفى به يخلعون عليه فرو الحيوان المذبوح ثم يرقدونه فى داخل الحفرة ويجعلونه يعرق.

وعندما يخرج من الحفرة تكون بطنه قد رجعت لحالتها القديمة أى أن التراب يكون قد امتص جميع ما فى بطنه من الماء الفاسد.

والمصاب بمرض الاستسقاء الذى يصل إلى هذه الدرجة يدهنون جسمه ويقومون بتكملة التداوى.

والأطباء يستخرجون هذا الماء بواسطة آلة خاصة، وكلما ساءت الحالة وتدهورت يخرجون الماء بالآلة المذكورة.

والمرضى الذين يتعرضون للقيء والإسهال يكوون أخمص أقدامهم بحديد ملتهب فى النار على شكل صليب.

وما زال هذا النوع من التداوى والعمليات الجراحية تجرى بين العربان حتى اليوم. وأفراد القبائل العربانية لا يعرفون شيئًا أكثر من ذلك. كما أنهم لا يقبلون تداوى إلا من يعرفونه.

الكرم العربى:

يشتهر قبائل العربان العربية عامة بالكرم والجود والسخاء حتى الفقراء منهم يجب أن يقدموا لضيوفهم ما يستطيعون تقديمه وإطعامهم على قدر إمكاناتهم.

وهم منذ القديم يشتهرون بالجود والمروءة والشهامة لأجل ذلك فالكرماء منهم ممدوحون والبخلاء مذمومون غير مقبولين بينهم.

ومهما كان البدوى فقيراً أو محتاجًا لنصف رغيف خبز فهو مجبر على استقبال الضيف حسب قوانينهم. لذا تجد فى خيمة كل واحد منهم مكانًا لإقامة الضيف وصنع القهوة.

ولما كان بعض العربان يفرحون غاية الفرح بظهور الضيف فإنهم ينتظرون كل صباح ورود الضيف ويناجون الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يبعث لهم ضيفًا.

وإذا ما جاء فى قرية بدوية ضيف، سواء أكان معروفًا أو نكرة، يحرص أهل تلك القرية على استقباله بل يتنافسون فى سبيل ذلك، والذين ظلوا فى الخلف يرمون عصياتهم من فوق من سبقوه ويدعون بهذا بأنهم سبقوهم فيأخذون الضيوف إلى منازلهم.

وإذا صادف أن لقى أحدهم ضيفًا وفى بيته ضيف ورأى هذا الضيف شخص آخر من القرية وشكى من عدم وجود ضيف فى منزله منذ عدة أيام ودعا الضيف الثانى إلى بيته فيوافق صاحب البيت الأول وضيفه على ذلك حتى لا يكسروا خاطر ذلك الرجل.

وأول تحية عربان العرب لضيفهم أن يقدموا لهم ثلاثة فناجين قهوة متتالية، ولكن بن هذه القهوة لا بد أن ينضج بعد ورود الضيف ويطحن فى المطحنة ويسوى فى إبريق من الفخار يطلق عليه «جبه نه» وألا تكون القهوة زائدة عن حاجة الضيف وأن يكون فى فم جبه نه ليف.

إضافة:

ومن عادات قرى الأناضول تسوية القهوة فى الفرن بهذه الصورة. فإذا سمع أحد القرويين فى الأناضول أن ضيفًا وصل إلى غرفة الضيافة يأخذ شيئًا من البن النيئ ويسرع بإعطاء البن لصاحب المقهى الذى يحمص البن ثم يسويه ويقدمه للضيف وبعد ذلك يخاطب صاحب القهوة الضيف ويطيب خاطره قائلاً: «مرحبًا».

إلا أن بعض القادرين يقدمون للضيف قبل القهوة تمرًا أو زبدة وبعد الماء اللبن الرائب وبعد ذلك يقدم قهوته ثم يسأل عن أحواله وصحته، وهكذا يقوم بمراسم الضيافة ثم يحضر ما جهزه من الطعام، ويبتدر راجيًا أن يأكل الطعام قائلاً: (حياك الله على موجودنا) وكأنه يعتذر عن قلة طعامه.

وليس من عادات العرب أن يتناول المضيف الطعام مع الضيف، لذا فهو ينسحب إلى ركن وإذا كان فى الحجرة بعض الأشخاص يتناولون الطعام مع الضيف.

وإذا كان الطعام الذى قدم خروفًا أو حملا، قسمه الضيف ثلاثة أرباع أمامه؛ وربعًا يرسله إلى أهل البيت عن طريق أحد الموجودين، ويأكل من كل أعضاء الخروف ما عدا رأسه وذلك لأهل صاحب البيت ويبدأ فى تناول الطعام مسميًا باسم الله.

وبعد الانتهاء من تناول الطعام يخاطب أحد الحاضرين صاحب الطعام قائلاً: «يا مُضيفنا أنعم الله عليك» وعندئذ. يتقرب صاحب البيت من الضيف ويقول

له: «هنيئا وعافية، ولا علينا فيما قصرنا به قدركم عند الله أعظم». وهكذا يعامل الجميع.

ويأكل صاحب البيت ما بقى من الطعام مع جيرانه، والذين لا يقدرون على ذبح كبش يذبحون شاة أو نعجة أو يحلبون لبنها ويطعمون ضيفهم.

ولا يستقبل بعض العربان ضيوفهم هكذا من بعيد، وحيثما نزل الضيف يتلقاه صاحب البيت بالترحاب وإذا لم يكن موجودًا فحرم صاحب البيت تقوم بالواجب نحو الضيف.

والذين لا يملكون غير ناقة يحلبونها يقدمون لضيفهم لبن ناقتهم معتذرين، كما أن بعضهم يشترون من السوق أو من جارهم معزة أو نعجة ويطعمون ضيوفهم وإذا لم يجدوا وقتًا لذلك ففى هذه الحالة يمسكون بنعجة أو معزة جارهم ويذبحونها وبعد ذلك يقدم له ثمنها والجيران لا يقولون له شيئًا بل يستحسنون هذا الفعل.

والضيف الذين يردون عندما يشح لبن النياق، أو يندر فيه الحيوانات يكرمون ضيوفهم بالجبن الذى خزنوه فى الصيف.

إذا ما حضر ضيف بينما يتناول طعام فى خيمة ما فعلى الضيف أن يجلس على المائدة بدون تكليف. إذا لم يجلس الضيف على المائدة ينظرون إليه نظرتهم إلى الخائن، وإذا كانت المائدة قد رفعت بعد أكل الطعام فالخادمة تدعو الضيف.

وعندما يدخل الضيف فى الحجرة أو الخيمة يقوم الحاضرون على خدمته فيسقى الضيف ثلاثة فناجين قهوة ثم يجلسون ويستفسرون عن حاله وخاطره وعن العشيرة التى ينتمى إليها وعن سبب مجيئه.

وإذا نهب ضيف فى الطريق بعدما خرج من البيت الذى كان ضيفه ثم عاد لنفس المكان الذى كان فيه ضيفا فيحظى مثل هذا الضيف على قدر مكانته بصحابة صاحب الدار.

وإذا فرضنا أن الضيف قد شرب قهوة صاحب البيت فقط يسير معه مسافة أربع ساعات وإذا كان شرب لبن يسير معه اثنتى عشرة ساعة ويقوم بحمايته ويسترد ما سرق من الضيف ويسلمه للضيف وإذا كان الضيف قد تناول طعامه أيضًا فعليه أن يسير معه مسافة ٢٤ ساعة وأن يسترد من اللصوص ما سرق من ضيفه ويرده له وهذه الأمور من أحكام القوانين البدوية وعلى صاحب البيت أن يقوم بها على أكمل وجه.

وقد يضحى صاحب البيت فى سبيل حماية ضيفه ووقايته بنفسه أو أولاده وعياله وعشيرته، وعلى الضيف أن يعد نفسه واحدًا من أفراد صاحب البيت وأن يدافع عنهم إذا ما تعرضوا لهجمات الأعداد وأن يحل ما قد يظهر من المشكلات.

معجزة:

إذا كان بين البدو من لا يقبل الضيف ولا يحبه فعليه أن يستقبل ضيفه ويحتفظ بكرهه له فى قلبه.

يروى أنَّ النبى ﷺ كان قد شرف منزل بدوى من هذا القبيل ولما كان صاحب الخيمة غائبًا فقد قامت زوجته بمقتضيات الضيافة وأحضرت حساء العدس الذى أعدته لزوجها ورجت النبى ﷺ أن يتناوله. وفى هذه الفترة وصل زوجها ولما وجد حساء العدس الخاص به أمام النبى ﷺ غضب غضبًا شديدًا ولكنه حسب القانون اضطر أن يكتم غيظه فى نفسه. وفى نفس الوقت أصاب فرسه التى فى الخارج مرض فتحير البدوى ولم يدر ما يفعله فاستنجد بالنبى ﷺ، وأراد النبى ﷺ أنْ يظهر رضاه عن زوجة البدوى فقال: «امرأة بشوشة ورجل عبس، الضيف محمد، والطبيخ عدس أخرج أيها المفزعن هذه الفرس» ونفخ فى الفرس فطابت الفرس وفهم البدوى هوية ضيفه واعتذر مستغفرًا وطلب العفو.

والآن كل من يكتب هذا الحديث على بيضة ويكسرها ضاربًا على جبهة الحيوان المعلول ويمسح فم الحيوان بهذه البيضة يزول عن الحيوان بإذن الله أوجاعه.

تحمل الجوع والعطش:

أغنياء البدو وأصحاب الثروة منهم قليلون جدًا. والفقراء وأصحاب الحاجة فيهم كثيرون. وعربان القبائل من الأقوام التى تتحمل الشدائد وتصبر على الفقر والجوع وليس فى العالم قوم يتحملون ذلك مثلهم. والذى يشبع منهم مرة فى خلال أربعة وعشرين ساعة يُعد نفسه سعيدًا ولا يحصى عدد الذين يظلون جوعى عدة أيام متحملين ذلك وصابرين على الجوع.

والبدو الذين يخرجون إلى الطريق للذهاب إلى مكان ما يأخذون معهم زاد يوم واحد بدلاً من زاد أسبوع. وإذا صادفوا فى طريقهم بعض خيم البدو ينزلون عندهم ضيوفًا ويشبعون بطونهم. وإذا لم يصادفوا فى طريقهم مثل هذه الخيم أو لم يمروا بقرية ما، فإنهم يعيشون بهذا الزاد القليل مدة أسبوع. كما أنهم يعيشون بتناول الأعشاب التى تنمو بجانب الأغادير التى تكونت من أثر مياه الأمطار. وعندما يتجهون إلى مكان ما للإغارة على بعضهم بما أنهم لا يملكون القمح والأرز فإنهم يطحنون الدخن وأوراق الأشجار التى يطلقون عليها اسم «بروق» ويعودون بما يلزمهم قدر حاجاتهم من الدقيق وكلما يجوعون يضعون فى أفواههم قدرًا منه ويشربون ماء. ولا سيما عندما تقل الأمطار ويزيد القحط والغلاء يعيشون ببذور أشجار العرر.

ويصل قدر تحمل البدو للجوع إلى هذه الدرجة إلا أن تحملهم للعطش أكثر من ذلك إذ يطوون البوادى الخالية من المياه ومسافات طويلة، عندما تهب رياح السموم بكل قوة وفى المواسم التى لا يستطيع الإنسان أن يسير من شدة الحرارة، سائرين على أرجلهم أو راكبين.

وبما أنهم يعيشون هكذا جوعى دون مداواة يلزم أن تكون صحتهم أقل من

الأقوام الأخرى (من أهل الحضر) إلا أنه بالعكس فصحتهم جيدة وأجسامهم قوية إلا أن قوة أجسامهم لا تكتمل فبنية أجسامهم نحيفة وهم فى غاية خفة الدم.

وبينهم من تجاوز سنهم المائة ومع ذلك يحتفظ بصفى أسنانه كاملين.

ولما كانت هذه الطوائف تنتقل من بادية إلى بادية غير مستقرة فى مكان ما ولا ينهمكون فى تناول أطعمة مختلفة، ويعيشون فى أماكن ذات هواء نقى سليم فإنه ليس فيهم من أصابته الحصبة إلا قليلاً.

ولما كان العربان مقتنعين بأن الحصبة مرض معد مهلك جرت عادتهم إذا أصاب أى واحد منهم هذا المرض وإن كان ابنه الوحيد فإنه يتركه عند من أصابه المرض من قبل وإذا لم يجد مثل ذلك الرجل يترك وحيداً. هذه العقيدة خاصة بالبدو الذين يسكنون فى الصحارى، إلا أن سكان القرى والمدن فى الجزيرة العربية والأماكن الأخرى والمتمدنين منهم لا يهربون ممن يصاب فى صباه بالحصبة، بل يعدون الأدوية الخاصة بها ويعالجونه.

غزوات العرب وأيامهم، وما يتعلق بذلك من عاداتهم وتقاليدهم.

الغزوة:

تطلق الغزوة بين البدو على إغارة بعضهم على بعض ونهب أموالهم ومواشيهم وأغنامهم.

والغزوة مقبولة وممدوحة لدى البدو كما أن الاشتغال بالزراعة والتجارة مذموم ومقدوح لديهم.

وقد أحل هؤلاء ـ لجهلهم وقلة درايتهم بالأمور الدينية ـ (الغزوة) ظانين أنها مأخوذة من لفظة «غزاة» الإسلامية، ويتجرءون على أن يسلبوا أرواح الأقوياء إذا ما وجدوهم ضعفاء وأن ينهبوا أموالهم وممتلكاتهم، وبناء على ذلك تجد هؤلاء الذين يملكون أموالا كثيرة ومواشى وفيرة قد ضاعت منهم ثروتهم وغناهم فى لحظة واحدة بينما الذين كانوا لا يملكون حتى شاة يصبحون أصحاب الثروة والغنى.

والعربان الذين يخرجون للنهب والسلب يتخذون أحدهم رئيسًا وقائدًا ولا يخرجون عن طاعته ورأيه. ومن أحكام السلب والنهب أن يكون نصف الخارجين فرسانًا والنصف الآخر من المترجلين.

وفى أثناء قتالهم لا يستخدمون الأسلحة النارية ولكنهم يقاتلون بالأسلحة البيضاء مثل السيف والرماح وما يشبهها من الآلات الجارحة.

وبعد ما يهيئون مهماتهم الحربية ويتخذون تدابيرهم القتالية ويقتربون من مقر القبيلة التى يريدون أن يقتحموها، يختفون فى مكان ما.

ويبعثون اثنين منهم للتجسس، ويصعد الجاسوسان على قمة جبل ما ويرصدون إذا كان ليلاً عدد ثيران أعدائهم وإذا كان نهاراً يرصدون جمالهم

وأغنامهم والجهة التى ترعى فيها ومدى بعدها من الخيم فيخبران بهذا وإذا كان الوقت ليلاً واقتنع المغيرون بأنهم يستطيعون التغلب عليهم يقتحمون مقر القبيلة صباحًا، فينهبون أموالهم وحيواناتهم. وإذا كانت الغارة بالنهار يقيدون الرعاة فى جذوع الأشجار ويسوقون ما نهبوا من الحيوانات بسرعة شديدة حتى لا يلحقهم أفراد القبيلة المنهوبة، ويعودون إلى مأواهم.

ويستدل أصحاب الحيوانات من عدم رجوعها وقد حل الليل على أن حيواناتهم قد تعرضت للسلب والنهب فيركبون ما احتفظوا به من الجمال والخيول فى جانب الخيم ويتتبعون المغيرين بضعة أيام فإذا ما أدركوهم واستردوا أموالهم بالحرب عادوا إلى أماكنهم فرحين مسرورين، أما إذا أدركوهم ولكنهم لم يتجرءوا على حرب أعدائهم لكثرة عددهم وقوتهم يعودون يائسين متألمين.

أما إذا اعتمدوا على كثرة عددهم أو على بسالة وشجاعة أفراد جماعتهم فإنهم يتتبعون آثار ناهبيهم إلى مأواهم فيستردون أموالهمم بالحرب كما ينهبون أموال أعدائهم وحيواناتهم ويشتتون أفرادهم . ولا أهمية بين البدو لمن سقط ميتًا فى أثناء الحرب والدفاع.

ويتفق أحيانًا خمسة أو ستة من أصحاب الهجين مع خمسة وستة من الرجال ويخرجون إلى الطريق فيقطعونه ويسلبون أموال وأشياء من يصادفونهم فى الطريق من العربان والمسافرين ويتركون أصحابها يندبون حظهم العاثر.

وأحيانًا يتفق ما يقرب من خمسة عشر شخصًا أو عشرين من المترجلين ويصعدون إلى قمم الجبال حيث لا يمكن الوصول إليها بالحيوانات فينهبون ما يقدرون على نهبه من الأموال والمواشى ويتركون هؤلاء المساكين منتحبين عرايًا مثل الحجاج الذين نهبوا فى طريق الحج.

وإذا صادف مثل هؤلاء النهابين ـ قل عددهم أو كثر ـ الذين فارقوا مأواهم عصابات أخرى أقوى منهم يكونون كمن أضاعوا ما فى خيمهم من الأكل.

وهم يذهبون لشراء الأرز من دمياط، وأحيانًا قد يدفعون حياتهم ثمنًا له.

والذين يتعرضون لمثل هذه المصيبة ويعجزون عن المقاومة يختفون فى مكان ما فى الجبال لينجوا بأرواحهم وإذا اضطروا للحرب يهاجمون بعضهم بعضًا بتحريض رئيس كل واحد من الطرفين.

وإن كان عدد أفراد الفريق الذى شرع فى القتال أقل من عدد أفراد الفريق الآخر فالمعتقد بين البدو أن الذى بدأ الهجوم أولاً هو الذى يكسب المعركة. وإذا فرض أنهم قد انهزموا فلا يبالون به ويرمون بأنفسهم فى ميدان المعركة لأن الموت فى أثناء المعركة فخار لهم.

وقبل الهجوم يردف الركبان المشاة خلفهم ويسيرون وعندما يصلون إلى مكان فيه أشجار ينزلون من على جمالهم ويقاتلون مع مشاة الطرف الآخر متخذين الأشجار والأحجار متاريس لهم كما أن الركبان يحاربون مع ركبان الطرف الآخر إلى أن يتبين الغالب من المغلوب.

وإذا فهم أن المنتصرين سيقتلون المغلوبين ففى هذه الحالة يدخل أفراد القبيلة المغلوبة فى «وجه» وتحت حماية الطرف الغالب ويعرضون ذلك على الفرقة الغالبة وفى هذه الحالة تكتفى الفرقة الغالبة بالاستيلاء على أموال وأشياء الجهة المغلوبة.

والفارون سواء أكانوا راكبى الخيول أو الإبل فالذين يتتبعونهم يبلغونهم صائحين أنهم مؤتمنون على أرواحهم.

وفى النهاية يعطونهم الأمان لأرواحهم ونصف أموالهم.

وإذا اقتنع الفارون أنهم يستطيعون أن يهربوا بأموالهم استمروا فى الهروب، أما إذا تعبوا وعجزوا عن السير فيستسلمون وقت ما يعرفون بأنهم ائتمنوا على أرواحهم ونصف حيواناتهم ويسوون الموضوع بأن يسددوا النقود التى قدرت بها نصف حيواناتهم بما عندهم من النقود أو الأشياء.

ويؤخذ جمل الذى قتل فى الحرب وما عليه من الأشياء من قبل قاتله، وإذا لم يكن قاتله معلومًا فيكون جمله وما يمتلكه من نصيب الذى يمسكه أولاً وينهبه ويجرده من أشيائه.

مناخ:

مناخ هذا نوع من المعارك العربية التى تجرى بين البدو. وتتم صورته هكذا، إذا طالت المعركة والقتال بين قبيلتين وإذا كانت تلفيات كل من القبيلتين وخسائرهما بالنسبة لعدد القبيلة تمثل زيادة مفرطة واشتد غيظ وغضب كل من القبيلتين وقرر أطراف كل من القبيلتين الاستمرار فى الحرب حتى تختار كل قبيلة أجمل بناتها وتركبها فى محفات يطلق عليها الهوادج وتسوقها إلى ميدان المعركة.

وعندما يتلاقى الصفان تكشف هذه الفتيات عند اشتداد القتال ستائر هوادجهن وترفعن نقابهن وتأخذن فى تشجيع المقاتلين إلى انتهاء المعركة كل واحدة تشجع مقاتلى قبيلتها بصيحات عالية ببعض القصائد الحماسية وأناشيد الفخر الشعرية المنظومة، ويأخذ رجال القبيلتين فى القتال ببطولة نادرة ويهلكون بعضهم البعض.

ومن قواعد مقاتلة المناخ أن تستولى الفرقة الغالبة المنتصرة على خيم المغلوبين ومواشيهم وكل ما يملكونه.

وليس من عادة العرب أن يعتدوا على أرواح الفرقة المغلوبة ولا على عرضها وشرفها. إلا أن أشجع المقاتلين من الفرقة الغالبة وبطلهم له الحق أن يأسر أجمل فتيات الهوادج من الفرقة المغلوبة فتعرض عليه قبيلة الفتاة مالاً كثيرًا ونقودًا وفيرة، فإذا طمع فى هذا المال يأخذه ويترك الفتاة إلى قبيلتها ولكن إذا لم يطمع فى المال واستطاع أن يكسب ود الفتاة وقلبها فله أن يعقد عليها ويتخذها زوجة.

الجرود:

وإن كان الجرود يعنى جنود البدو والعربان فأفراد العربان ينقسمون إلى قسمين أو فرقتين.

فرقة منهما تظل تحت إمرة الأمير الذى تتبعه، والفرقة الأخرى تعيش مستقلة وعندما تظهر حادثة تستعد للدفاع مع القبيلة.

فجنود العربان الذين يطلق عليهم جرود عبارة عن هاتين الفرقتين اللتين تحتشدان فى نقطة واحدة للدفاع عن القبيلة ضد أعدائها.

ويهيئ الذين يتبعون أميرهم ويخضعون له الذخائر والأدوات اللازمة للحرب ويذهبون بناء على تنبيهه وأمره إلى المكان المعين للاجتماع ثم يفوض الأمير قيادة المحتشدين لأحد الشيوخ ويأمرهم بأن ينتظروا حتى يصدر لهم أمره الأخير ثم يسوقهم إلى محل ما أو ضد قبيلة عاصية.

ويتولى قيادة فرقة (جرود) عند غياب الأمير شيخ يعينه الأمير. ويذهب هذا الشيخ إلى المكان الذى عينه له أميره ويظل منتظراً بذاته أو ورود أوامر الأمير، إذا لم يذهب الأمير بذاته وأصدر أمر الإغارة على القبيلة العاصية، فيقسم شيخ فرقة الجرود قوته الموجودة إلى ثلاثة أقسام: «يكلف قسمًا منها بالاستيلاء على أموال ومواشى القبيلة العاصية وسوقها، والقسم الآخر يكلفه بحماية النقط الاستراتيجية التى قد يرد منها العدو والقسم الثالث يكلفه بأداء مهمة الشرطة. وبعد ذلك يهاجم مقر القبيلة التى قرر الإغارة عليها.

وإلى أن يطلب أفراد هذه القبيلة الأمان والحماية ينهب أموال ومواشى كل واحد منهم بل قد يقتلهم. وإذا ما انقادت القبيلة كلها ولم تدافع عن نفسها فلا يؤخذ شىء من أى واحد منهم.

وبعد أن يعطى أميرهم التابعين له الضمانات الكافية المناسبة للشيخ وبعد أن تتقرر الضرائب السنوية التى ستدفعها القبيلة المغلوبة يعود إلى موطنه.

ومن قوانينهم المرعية أن يحمل عظماء القبيلة المغلوبة ما جمعوه من النقود إلى الأمير الغالب بأنفسهم وأن يوصلوها ليده بالذات. وأن يرجوا من الأمير أن يخفف ما قرر من الضرائب ويحصلوا على موافقته.

وكل فرد من هؤلاء العربان الذين هيئوا للحرب عليه أن يدبر أمر طعامه وأكله وشربه ورصاصاته وباروده. أما الأمير فيشترى بعض الأشياء التى تكفى لأهل دائرته مثل: «الدقيق والأرز والبلح وذخائر حربية كافية وبعض المهمات فإذا ما امتدت الحرب واحتاجت جماعة لذلك وزعها عليهم.

وإذا ما اشترك الأمير فى الحرب. ولكنه لم يشترك فى القتال وظل منتظرًا فى جهة ما مع الفرقة الاحتياطية منتظرًا النتيجة يأخذ من الغنائم ربعها.

وأما إذا شارك هو والمغيرون فيأخذ ثلث الغنائم. ويوزع الباقى على العربان الذين يكونون فرقة الجرود، بالتساوى.

وإذا حصل أحد البدو على غنائم دون تعب فإنه يسلمها إلى شيخ القبيلة حتى يوزعها بناء على الأصول القبلية. أما إذا قتل عدوه وأخذ جمله أو حصانه وما معه فهذه الأشياء تخصه وحده قانونًا.

والعربان الذين يعيشون منفردين غير تابعين لأى أمير عندما تحدث حادثة يجتمعون حول الشخص الذى يستمد منهم العون.

يوم أبيض:

إذا ما اعتدى شخص على امرأة واغتصبها وإذا ما استغاثت المرأة فى أثناء محاولة اغتصابها وجاء الناس لاستغاثتها وأخذوا يتعقبون الجانى لأخذ الثأر، دوما كان موضوع العرض والشرف من أعاظم الجرائم عندهم، فلا يكذبون استغاثة المرأة التى تقول (أراد أن يغتصبنى) فحيثما أدركوا ذلك الشخص يمزقونه تمزيقًا بالخنجر المسمى عندهم جنبية.

وإذا كان الجانى من قبيلة أخرى فيجتمع أفراد قبيلة المرأة ويعلنون أنهم سيحملون على أعدائهم والقبيلة الأخرى تستعد أيضًا ويحرص الطرفان على القيام بحرب عظيمة.

ويطلق العربان على يوم حدوث هذه المعركة (يوم أبيض) وهذه العبارة تعنى أننا وإن لم نستطع القبض على الشخص الذى تسلط على عرضنا وأن نقتله ولكننا بيضنا وجوهنا إذ قاتلنا قبيلته قتالاً عظيمًا.

وعند وقوع مثل هذا الحادث يتعاون أفراد القبيلة مع بعضهم أشد التعاون حتى إن الذين بينهم قضية ثأر يتصالحون فيما بينهم حتى ينتصروا على أعدائهم. ولكن فى ختام الحادث يستأنفون مرة أخرى فكرة الثأر والانتقام.

التدابير والحيل الحربية:

يستخدم العربان الأسلحة ذات الفتائل، ومن عاداتهم المرعية عندما تقف الفرقتان متقابلتين أمام كل واحدة منهما الفرقة الأخرى يصيحون بصوت عال قائلين (الله أكبر) لترهيب العدو ويولولون ويملئون ميدان القتال بالصيحات إلا أنهم لا يحاربون فى ميادين وأماكن متسعة بل يحاربون فى الجبال والمضايق ومن خلف المتاريس الحجرية من حيث يتخذون أعداءهم أهدافًا لإطلاق الرصاص كما أنهم يمتنعون من إطلاق الرصاص متتابعًا حتى لا تذهب رصاصتهم التى أطلقوها عبثًا دون جدوى، وفعلاً ما يطلقونه من رصاصة لا تذهب عبثًا بل لابد أن تصيب إنسانا، أو حيوانًا.

وبما أنهم واثقون من رصاصاتهم فهم لا يحملون معهم أكثر من ثلاثين (طلقة) ويعدون حمل أكثر من ذلك من الذخائر عبثًا.

وأنهم عندما يحاربون العدو يتركون الكمائن خلفهم كقوة احتياطية وعندما تبدأ الحرب فهؤلاء الذين فى الكمائن يهاجمون العدو من الخلف مولين صائحين ليشتتوا أفكار العدو.

وفى أثناء الحرب يتخذون الشمس والرياح خلفهم حتى يجعلوا عدوهم مقابل الشمس والرياح ويعدون هذا التدبير من أسباب النصر. كما أنهم يبيتون عدوهم ليلاً إذا ما وجدوا فرصة بناء على قاعدة الحملات الليلية. وهذا ما يحرص عليه البدو.

ويحارب الفريقان بإطلاق الرصاص إلى أن يواجهوا بعضهم وجها لوجه إذ يمسكون قبضة سيوفهم فيحارب الفرسان الفرسان والمشاة المشاة فلا يسوق الفرسان خيولهم ضد المشاة المترجلين.

وبين فرسانهم شجعان يستطيع فارس أن يواجه مائة فارس إذ يقتحم صفوف الأعداء ويروى سيفه من دمائهم ويشتت أكثرهم.

وحتى يكسب هذه الشهرة فهو ينشد أناشيد الأبطال السابقين والشجعان فى

ميادين القتال من أسلافه ويذكر أسماء أجداده مفتخرًا متباهيا ثم يخوض ميدان القتال ويقتحم صفوف الأعداء.

وهؤلاء قسمان الصنف الأول منهم العربان الذين فى طريق الحرمين فحروبهم منحصرة على الجبال، وبما أن هؤلاء لا يستطيعون أن يواجهوا الناس لا يحاربون فى معارك الميادين المتسعة بل يحاربون مستترين خلف الحجارة كاللصوص.

والصنف الثانى هو أفراد القبائل التى تسكن فى نجد وجبل شمر وصحارى العراق والشام.

ويركب هؤلاء خيولهم ويكونون صفًا واحدًا متينا أمام أعدائهم ويتحركون وفق أمر واحد منهم وهكذا يشعلون وطيس الحرب وكل من اشتهر بين العربان بالشجاعة ينتمى لهذا الصنف.

لصوصية البدو:

يطلق على الجانب الشرقى للمدينة المنورة «نجد» وعلى الجانب الغربى منها «غور».

ويعمل عربان جهة نجد على ضرب بعضهم بعضًا والإغارة على أموال وحيوانات بعضهم. أما عربان الغور ومصر فهم مكبون على الإغارة على قوافل الحجاج والزوار وأبناء السبيل والقوافل التجارية، ولذلك فإن تعديات الغوريين أخطر وأكثر ضررًا من تعديات عربان نجد.

ويحمل الغوريون فى أيديهم دبوسًا وسكينًا حادًا، كما أن لبعضهم بندقية. ولما كان شغلهم الشاغل اللصوصية والنهب فهم سريعو الجرى حتى إن الفرسان لا يُدركونهم إلا بصعوبة. وإذا ما رأوا خُرْجًا أو صندوقًا أو أى شىء يحمل يستطيعون أن يحملوها حتى الجبل مهما كانت ثقيلة.

وما يضع إنسان تحته من أكياس وصرر وما يضعه تحت رأسه لحفظه من صرر وخرج يستطيعون أن يأخذوا ما فى داخلها من أشياء ثمينة بِخِفَّة كأنهم وضعوها بأيديهم.

ولما كانت السرقة فى نظرهم مباحة، فما يكسبونه من السرقة من النقود والأموال يكادون أن يحسبوها حلالاً.

وفيهم من ينفق أمواله التى اكتسبها من السرقة فى غرس الأشجار وحفر الآبار حتى يشرب منها المسافرون ويأكل من ثمارها المارون.

وإذا وجد أى إنسان أمتعته المسروقة فى يد أحد العربان وأثبت أنه ملكه يستطيع أن يستردها منه. وإذا قال هذا الشخص أن هذه الأمتعة قد اشتراها من شخص آخر وأرى هذا الشخص حلف يمينًا، عندئذ يدفع المال والنقود التى دفعها هذا الرجل من قبل صاحب المتاع.

إذا كان صاحب الأمتعة منهم فيبحث عن السارق حتى يجده ويسترد منه بقية أشيائه المسروقة كما يأخذ منه ما دفعه من النقود ويسترده تمامًا وهذا بعض أحكام قوانينهم.

وإذا ادعى العربى الذى فى يده الأموال المسروقة أنه اشتراها من عربان آخرين وحلف أنه لا يعرف الشخص الذى اشترى منه المتاع فيدفع له صاحب المال ما دفعه الثانى للشخص الذى اشترى منه المتاع ويسترده منه ثم يؤجر عيونًا وجواسيس ويبعثون إلى الأطراف للبحث عن السارق الأصلى فيستردون منه أمتعته الباقية المسروقة وما دفعه للشخص الذى استرد منه بعض بضاعته وما أنفقه من أموال للجواسيس تمامًا.

الأعراف والعادات المتبعة فى تربية الأطفال

والختان والولائم

تربية الأطفال:

يكلف العربان أطفالهم إلى أن يبلغوا السنوات الثلاث من عمرهم برعى الجدى والحملان حول قريتهم وعندما يبلغون السنة الرابعة من عمرهم يرعون الماعز والحملان فى أماكن أبعد من ذلك.

ولما يبلغون الخامسة من عمرهم يعلمونهم الجلوس على ظهر الجمال، ولما يبلغون السادسة يعلمونهم ركوب الجمال بمفردهم.

ويكتسب أطفال البدو مهارة عظيمة فى ركوب الخيول والجمال حتى أنهم يستطيعون أن يركبوا جملاً مهما جرى سريعًا ومهما كان الحصان العربى سريعًا. فركوبه والجرى به يعتبر بالنسبة للطفل العربى من قبيل اللهو وهم يعلمون الأطفال الذين تجاوزوا هذه السن إطلاق الرصاص من البندقية واستخدام (جنبية) الخنجر ويصاحبونهم فى الحروب ويتركونهم تحت الشمس نهارًا وتحت السماء ليلاً عرايا.

والأغنياء منهم يلبسون أطفالهم فى الشتاء قميصًا واحداً ويرافقون الذين يذهبون للحرب.

وخلاصة القول: إن أطفال البدو يتعلمون ركوب الحيوانات والنزول منها كما يعودون على احتمال مشقات السفر. وخاصة على الحرب والقتال قبل بلوغهم سن الرشد، لأجل ذلك ترى فتيان الحرب حينما يستدعون للحرب يذهبون إليها فرحين مسرورين كأنهم يذهبون إلى العرس متسابقين ولا يتأثرون من حرارة الشمس وبرودة الجو وحيثما يكونون يسيرون عرايًا.

وعندما تبلغ الصبية الصغيرة السنة الأولى من عمرها أو الثانية تستر مكان

عورتها بخزام مصنوع من فرو الغنم أو الماعز. وهذا الخزام شراشيب مختلفة فى طول ذراع أو نصف ذراع ويوضع فوق الجسم العارى.

وتظل الصبايا إلى أن يبلغن السنة العاشرة من عمرهن من الأطفال يرعون الغنم والماعز، ويعلموهن فى هذه الفترة حلب النعاج والماعز وصنع اللبن الرائب والجبن وعندما يقتربن من سن البلوغ تنزع من عليهن الأحزمة ويلبسن القمصان ويستخدمن فى نسج قماش الخيم من الصوف.

وعندما يبلغن يجدون لهن زوجًا مناسبًا ويزوجوهن، ولكنهم لا يزوجون بناتهن قبل أن يعرضوهن على أبناء أعمامهن أو أبناء خالاتهن ولو كانوا متزوجين بثلاث زوجات.

وهؤلاء إن أرادوا أن يتزوجوهن ويعقدون عليهن وإن لم يرغبوا فى ذلك لا يسمحون بالزواج لهن إلا بعد ما يأخذوا بعض الأموال من الذين يطلبون الزواج منهن وبذلك يزعجون الفتيات وطالبى أيديهن.

صورة التأهيل وأصول الزواج:

يعد أبناء العم وأبناء الأخوات أكفاء لبنات العربان إذا كان واحد من هؤلاء غير مقيد بالزواج أو متزوجًا غير راض بزواج البنت من طالب يدها فمثل هذه البنت لا تتزوج. وإذا لم تكن للبنات مثل هذه العلاقات أو هؤلاء قد رضوا بزواج هؤلاء البنات عندئذ يبحث الذين يريدون تزويج بناتهم عن أكفاء إذا كان الراغب فى الزواج كفؤًا لابد أن يكون الرجل الذى يتزوجها كريمًا، شجاعًا فى الحرب، مشهورًا من حيث النسب.

ورجال العربان الذين يريدون أن يتزوجوا لا يتحرون عن جمال البنت ومالها وممتلكاتها بل عن قوة القبيلة التى تنتمى إليها وعن سطوتها، وعن كثرة أقاربها وعصبيتها.

والشخص الذى يتصف بالصفات السابقة، يأخذ موافقة أبى البنت وأقاربها ويرسل هدية عدا المهر الذى اتفق على دفعه حسب منزلته.

والمهر بالنسبة لأغنيائهم عبارة عن «بساط كبير وسوارين للمعصم من الذهب وفستانين، وبعض الإبل والأغنام».

وأما بالنسبة للفقراء فالمهر يتكون من «سوارين من فضة وفستانًا من دمور أسود».

ويقدم فى وليمة العرس الأرز المطبوخ وعليه لحم شاة ذُبحت من قبل وأعدت للضيوف وهذا من العادات العربانية الجارية.

وإذا كان أبو البنت من الأغنياء فإنه يعطى البنت ما عدا المهر الذى بعثه زوجها عددًا من الجمال والغنم وجارية وكَلْبًا.

وإذا كان فى القرية أحد من طلبة العلوم أو المشايخ ويرجع إليهما فى عقد الزواج وإذا لم يوجد فيذهب الطالب فى زواج البنت إلى أبى البنت أو أخيها، ويقول: «إننى أريد أن أتزوج بنتك أو أختك». فيرد عليه قائلاً «أعطيتها لك». ويعدون هذه المقابلة دليلاً على صحة عقد الزواج ويبادرون فى إجراءات الزفاف.

ويحدث فى بعض الأماكن أن يمسك أبو البنت أو أخوها عصًا ويمسك بأحد طرفيها طالب البنت والطرف الآخر أبو البنت أو أخوها ثم يخاطب الشخص الذى يمسك أحد طرفى العصا قائلاً: «أعطيت فلانة لك» للشخص الذى يمسك الطرف الآخر وبعد ذلك يكسر العصا من وسطها ويلقيها على الأرض.

وإجراء هذه العملية يُعد بين العربان تزويج تلك البنت لذلك الرجل وعلامة على صحة العقد.

والعربان يشترون جارية سواء أكانت بيضاء أو سوداء ويستخدمونها فى منازلهم. وبما أن الجارية مجهول نسبها فهم لا يميلون لاستفراشها.

واستفراش الجارية يعد عند العربان من الأمور المذمومة. وإذا حدث أن أنجب واحد منهم من تلك الجارية ولدًا ينظر إليه بين العربان بحقارة وذلة على أنه «ابن جارية» حتى ولو كان أحد أبناء الأعيان، وعندما يكبر ويريد أن يتزوج فلا يرضى

أحد أن يزوجه بنته ولو كان وضيع القدر قائلين فأخوها خاله لذا فهو وضيع النسب.

والأشراف الذين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة وحواليهما يحبون التسرى كلهم وكذلك بعض مشايخ العربان. إلا أن الأولاد الذين يولدون من جواريهم يظلون مثل العبيد بجانب أولادهم الذين ينجبونهم من زوجاتهم العربيات والناس ينظرون إليهم كذلك بنفس النظرة.

حفل الختان:

يختن العربان أولادهم الذكور فى صورة مسنونة[1] فى اليوم السابع من ولادتهم، وبعضهم فى يوم الأربعين وبعضهم فيما بعد.

وقد تعود عربان بنى هذيل الذين يسكنون بجانب مكة المكرمة ألا يختنوا أبناءهم إلا عند الزواج فعندما يقررون عقد زواجهم عندئذ يختنونهم. وعندما يقرر ختان ذلك الفتى فمن عادة القرى المجاورة وكل واحد من المدعوين أنهم يهدون لصاحب الحفل كل على حسب قدرته خروفًا واحدًا أو أكثر أو جملاً أو شاة أو ثورًا.

كما أن من عادتهم أن يسوق كل فرد ما يريد أن يهديه من الحيوانات أمامه وأن يذهب إلى القرية التى سيحتفل فيها قبل الختان بيوم أو يومين.

ولما كان الذهاب إلى محل الحفل منفردًا خلاف الأصول، فيتجمع المدعوون فى جماعات تتكون من خمسين شخصًا، أو ستين ويذهبون معًا، لذا كلما يحتفل بحفل ختان يتجمع سكان عدة قرى معًا ويخرجون إلى الطريق وهم يطلقون بنادقهم ومسدساتهم وعندما يقتربون من القرية التى فيها العرس يشرعون فى إلقاء القصائد الشعرية التى تمدح صاحب الحفل وتتغنى بأوصافه عن فهم واحد ويأخذ بعضهم يرقص أمام المدعوين ممسكًا بالبندقية وسنان الرماح والحراب.

وحينما يعرف صاحب الحفل أن المدعوين قد وصلوا إلى خارج القرية يستقبل

(١) يعنى أن الختان سنة من سنن الفطرة فى البيئة العربية.

أهالى القرية الضيوف مطلقين البنادق والمسدسات ويلقون أمامهم القصائد والأبيات ويمدحونهم ويوصلونهم إلى أماكنهم الخاصة بهم.

ولما يصل المدعوون إلى أماكنهم الخاصة بهم التى أعدت من قبل يعطى صاحب البيت لكل عشرة منهم خروفًا ومقدارًا كافيًا من الأرز وقدرًا كبيرةً ويرجوهم أن يتصرفوا كما يحلو لهم حيث يوجدون.

والأماكن التى يقيم فيها المدعوون ليست فى المنازل والبيوت وإنما فى واد خارج القرية أو على سفح الجبل.

ويذبح المدعوون فى هذا المكان ما أهدى لهم من الخرفان ويسلقونها فيقطعونها ويأكلونها ثم يضعون فى حسائها الأرز ويتناولونه.

ثم يجتمع كل أهالى الخيم والقرى فى المكان المعين لهم حيث يوقدون نارًا عظيمة وينقسمون إلى قسمين حول النار قائمين وواقفين ويلقون المدائح ويظهرون مهاراتهم الكلامية وهكذا يقضون أوقاتهم فى الفرح والسرور.

ويجتمع المدعوون فى اليوم الثانى فى المكان الذى سيختتن فيه الغلام سائرين من أماكن نزولهم وهم يرقصون الرقصة التى يطلقون عليها «آردا»[1] جاعلين الغلام الذى سيختتن أمامهم مع بعض أقاربه وتاركين النساء خلفهم فى موكب حافل حتى يصلوا إلى مكان الاحتفال بالختان، وبعد ذلك ينسحب اثنان من أقارب الغلام الذى ستجرى له عملية الختان وأقارب البنت.

ويفصل الغلام الذى سيختتن عن الجماعة وفى يديه خنجر جنبية ويقف أمام الشخص الذى سيجرى العملية قائمًا ويأخذ فى الفخر ملقيًا بعض الأشعار الحماسية وقائلاً «أنا ابن فلان بن فلان» ويأخذ فى تعداد آبائه وأجداده ويخرج من يقوم بإجراء الختان سكينا فى غاية الشحذ ويبدأ فى سلخ جلد الغلام ابتداء من منبت الشعر إلى مقعده ويخرج الجلد كاملاً فى ظرف دقيقتين مع جلد ذكره.

وبناء على ذلك فمهما شعر المختتن بالآلام والأوجاع فيجب عليه أن يصبر وأن

(١) نوع من الرقص الذى يؤدى بالبنادق وهو من رقصات الحرب.

يتحمل ويظهر ثباتًا وهو يلقى كلمات فخر وأشعار نظمت لأجل هذا الغرض دون أن يتوقف أو يتألم حتى انتهاء العملية.

والذى يتحملون آلام الختان بكل صبر وجلد دون أن يبالى بآلامه الرهيبة يقابل من جانب عشيرته بكل ثناء وتمجيد كما يستحسن من قبل الخطيبة وبمجرد أن يلتئم جرحه يتزوجان.

ولا تلتئم مثل هذه الجروح إلا بعد أربعة أشهر وبما أنه لا ينجو من هذه العملية أربعون فى المائة من المختتنين، إلا أن أفراد القبيلة المذكورة يعدون هذا النوع من الختان علامة الشجاعة والرجولة فإنهم لا يتخلون عن هذه العادة وإن تأكدوا أن المختتن سيموت.

وإن كان أفراد قبيلة هذيل محبين لهذا النوع من عملية الختان ومصرين على إجرائها متحدين قبليا إلا أن الأطفال لا يختنون قبل بلوغ خمس عشرة سنة أو عشرين. ويجرون عملية الختان هذه فى أيام العيد.

ويعد عربان تلك القبيلة إجراء العملية التى تخالف الشرع والإنسانية من المحسنات الدينية وفق مذهبهم.

وإذا وجد بينهم من لا يرضى بهذا النوع من الختان وفضل الختان وفقًا لأحكام الشريعة الغراء فلا يعد ابنه بين النساء رجلاً ولا ترضى أية فتاة بالزواج بمن اختتن على هذه الصورة.

وبعد أن يختتن الفتى على هذه الصورة وينجو بنفسه من يد المختن يتقدم عدة خطوات إلى الأمام ويأخذ فى الفخر قائلاً: «أنا فلان بن فلان» ويدعى الشجاعة ويجرى ما يقرب من مائة خطوة ليثبت شجاعته عمليًا، ثم يجعل المحتفلون الفتى أمامهم ويلفون به أطراف القرية الأربعة بينما الرجال يطلقون البنادق. والنساء تضربن على الدف وتنشدن المواويل ثم يؤتى به فى بيته حيث يرقد ثم يأكلون ما أعده صاحب البيت من طعام الحمير ويعودون إلى منازلهم.

وطعام الحمير هذا الدقيق المطبوخ وعليه زيت الزيتون. وبينما يرقد الفتى على السرير أو الفرش ينثر أقاربه على رأسه حفنة من الزبيب وبهذا يعلنون نهاية الحفل.

وبما أن الآلة التى يسلخ جلدها ستظل معوجه لذا يفردونها على خشبة ويشدونها شداً جيداً.

النخيـل:

تتحمل أشجار النخيل العطش وشدة حرارة الجو ويستفاد من أغصانها وفروعها وليفها غير بلحها وتعمر مائة سنة. وإنها الشجرة المباركة وهى لا تحتاج إلى الزراعة والحراسة والماء، كما أنها تتعرض فى الأراضى الحجازية لكثير من الآفات لذا يعنى بها العرب ويتحملون متاعبها، لأنها سبب من أسباب الثروة ويتعيش أصحابها بجزء من محاصيلها ويبيعون الباقى.

وبما أن هذه الأشجار المباركة لا تنمو فى كل أماكن الحجاز لذلك يحرص غارسوها أن يغرسوها على أطراف ممرات السيول وحيث يكون الماء قريبًا من سطح الأرض والأماكن الرطبة، وعندما يغرسونها يظلون يسقونها أربعين يومًا حتى تتمكن جذورها فى الأرض ثم يتركونها لحالها معتمدين على الأمطار.

والأشجار المغروسة منها فى أراض وفيرة المياه تثمر فى نهاية السنة الثالثة والرابعة والتى تغرس فى الأماكن الجافة تثمر بعد خمس أو ست سنوات.

ويقال للبلح أول ما يظهر «زهو» وعندما يحمر ويبدأ فى النضج يطلق عليه «رطب» كما سبق ذكره فى مجلد مرآة الحرمين.

والبلح فاكهة مغذية مقوية. فالبدو وأهل المدينة يفضلون أكل البلح الطازج منه ويبيعون الرطب.

ويحفظون البلح الخاص بالمدينة والذى يسمى «جلبى» وأنواعًا أخرى ويتاجرون ببيعها للزوار والحجاج.

وأما البدو فإنهم يجففون مثل هذا البلح ويأكلونه بدل الخبز إلى أن ينمو البلح الجديد. لأن البدوى عندما يجد التمر لا يفكر فى القمح أو غيره.

الخيـل:

يطلق فى بلاد العرب على ذكر الحصان «خيل» وعلى أنثاه فرس.

إنهم يربون الخيل ليأخذوا ذريته فقط، لذا لا يحتفظون بذكور المهر بل يبيعونها للبلاد المجاورة لهم. ولكنهم يحتفظون بأنثى المهور ليركبوها فى الحروب ويحرصون على الاحتفاظ بها، ولا يهتمون بفرس غير ثابت الأصل والجنس.

ويحدد صاحب الفرس الجنس الذى ينتمى إليه. ويكتب أجناس بعض الأفراس فى سجلات النسب وكلما تلد الفرس يضاف المهر لنسب أبيه وأمه.

ولا يستطيع أن يمتلك مثل هذه الأفراس الأصيلة أحد من فقراء الناس إذ يشترك عدة أشخاص فى ملكيتها. ويبيعون مثل هذه الأفراس فيما بينهم بستين أو سبعين ألف قرش.

وإذا ما باع أحدهم فرسًا يشترط أن يكون مهرها الأول الأنثى أو الثالث ملكا له. أو نسلها بعد المرة الثالثة يكون ملك المشترى.

وإذا كانت الفرس حاملاً فنتاجها سواء أكان ذكرًا أم أنثى ملك البائع، ويعطى له.

والذين يشترون الفرس الحامل مهما ولدت لا يكتمون ذلك ويصدقون القول فإذا ما ولدت أنثى وادعى الشارى كذبًا أنها ولدت ذكرًا «يعنى لو يكتم الحقيقة» فلا يعيش ذلك المهر المولود ويهلك، ولما كانت هذه المسألة من الأمور المجربة لدى العربان فلا يكتمون الحقيقة.

الوسم:

أكثر ما يملكه البدوى من الدواب الجمال. وبما أن هذه الدابة شديدة الشبه ببعضها فمن الصعب جدًا التعرف على ما سرق منها أو ضاع، لذا اتخذت كل قبيلة وسمًا خاصا بها.

وتطبع هذه الأوسمة على أذن الجمل الأيمن وفى وسط الجهة اليمنى من رقبته، وخلف أذنه وفى وسط الجهة اليسرى من رقبته، وعلى خدوده وجباهه وفوق أنفه. وعلى رجليه الخلفيتين اليمنى واليسرى وفى وسط عظمة فخذه وعلى ركبته. أى أنهم يكوون بالحديدة التى تحمل شكل الوسم المذكور والملتهب فى النار، والوسم هى تلك العلامة التى يعرفها الناس جميعًا.

وإذا بيع جمل أحد القبائل لقبيلة أخرى فالشارى يسم الجمل بالوسم الخاص بقبيلته، وعلى الجمل المباع من الأوسمة عدد القبائل التى اشترته، والجمل المسروق أو الضائع يعرف بوسمه الأخير وأينما وجده صاحبه يتعرف عليه من وسمه ويسترده، لذا ترده القبائل التى تعرف ذلك الجمل الذى أتى إلى محل قبيلتهم واختلط بجمالها.

علامات الأوسمة التى ذكرت من قبل تتنوع كالأشكال التى رسمت فى الشكل التالى(*) وكل واحد من هذه الأوسمة خاص بقبيلة معينة.

وقد تتفق عدة قبائل فى بعض الأوسمة إلا أنها تتميز وتفرق باختلاف الأماكن والمواقع.

ويدقق أفراد قبيلة نهابة قبل سرقة الجمال فى أوسمتها فإذا وجدوا أن تلك الجمال تخص قبيلة معروفة لا يمسونها، وإذا ما نهبوا الحيوانات ليلاً وكان بينها مثل هذه الجمال يتريثون حتى يأتى أصحابها فيسلمونها لهم.

ولا توجد علامات خاصة للأغنام والماعز، ولما كانت حيوانات كل جهة لا تشبه حيوانات جهة أخرى فإن كل واحد من أصحاب تلك الحيوانات يستطيع أن يميز حيواناته ويخرجها من بين قطيع من عدة مئات وكأنه قد وضعها بنفسه.

نماذج من أشكال وسم الحيوان عند القبائل العربية

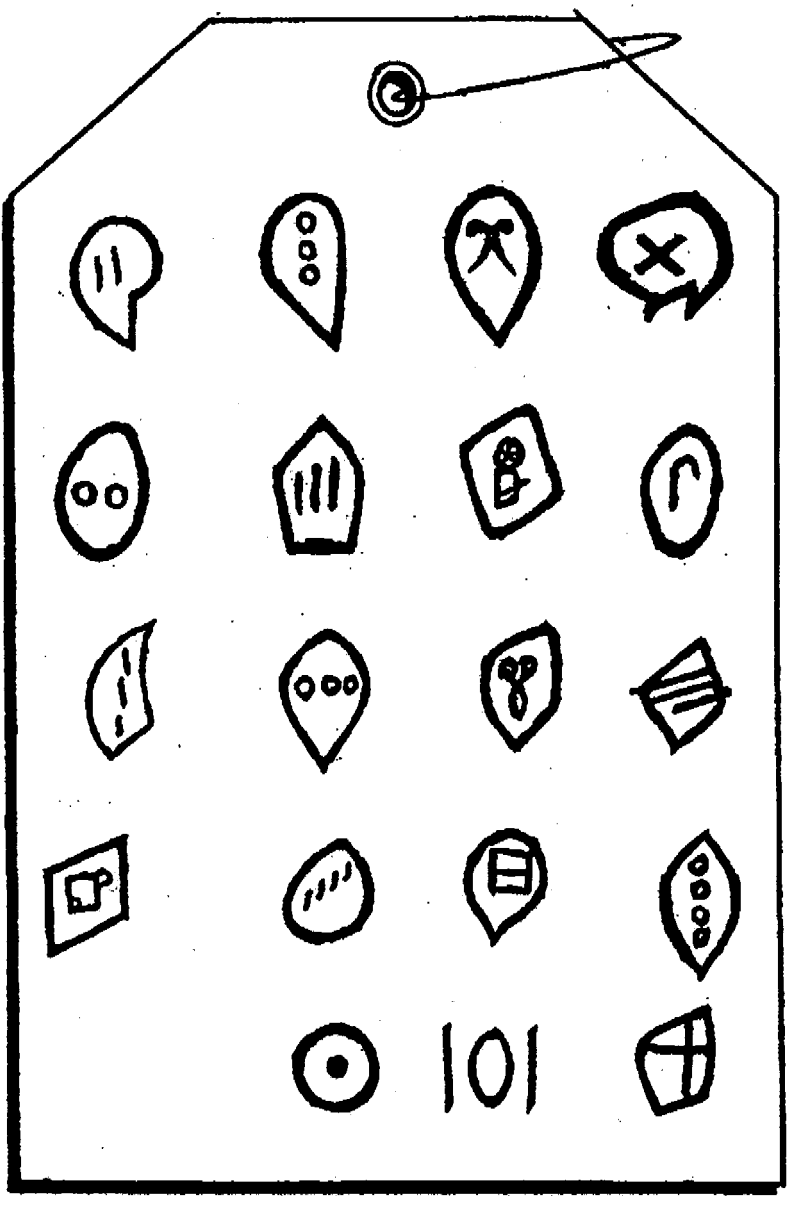

مع ملاحظة أنه إذا اشتركت بعض القبائل فى نفس العلامة فإن
موضع هذه العلامة من جسم الحيوان هو الذى يفرق بين القبائل

حماية الأراضى المنبتة:

إذا أحاط شخص ما بقطعة من الأرض تنبت فيها أعشاب بعد المطر بسور أو ببعض العلامات فى داخل أرض خاصة بقبيلة أخرى فلا يسوغ القانون للآخرين التدخل فى هذا الموضوع.

وإذا لم يراع أحد منهم هذا النظام ـ عمدًا أو جهلاً ـ فالشخص الذى أحاط المكان بالسور أو العلامات له أن يؤاخذ ذلك الرجل وفق أحكام القانون، وله الحق أن يصادر وأن يستولى على الحيوانات التى تركت فى داخلها لترعى.

وإذا دخل فى هذا المكان خيل أو حيوانات أخرى بدون علم أصحابها فيمسك صاحب هذه الأراضى هذه الحيوانات ويحتفظ بها وعندما يأتى صاحبها يسلمها له بعد ما يأخذ منه ما يستطيع عليه باسم «طراصه».

وإذا دخل إنسان من قبيلة أخرى فى مثل هذا المكان لرعى حيواناته عدة ساعات فلا يقال شىء لمثل هؤلاء الأشخاص من قبل صاحب المكان.

ولما كانت فى مواسم الصيف كل الأماكن معشوبة فالحيوانات ترعى خارج حدود مثل هذه الأماكن ولكن عندما تقل الأمطار فى أيام الصيف وتجوع الحيوانات فأصحاب الأماكن المسورة يدخلون حيواناتهم فى داخلها حيث ترعى وهكذا يدبرون أمور مواشيهم بهذه الطريقة.

حتى الناس الذين لا يملكون الحيوانات ولهم أراضى مسورة يحافظون على ما فى داخلها من أعشاب إلى أن تجف ثم يحصدونها ويقطعونها ويجعلونها أحزمة ثم يبيعونها لأهالى البلاد المجاورة. وطريقة معيشة مثل هؤلاء العربان الذين لا يملكون المواشى تتم عن طريق التجارة بمثل هذه الأشياء.

خاتمة

إفادة مخصوصة:

تم بحمد الله تأليف مجلد مكة المكرمة من أثرى «مرآة الحرمين» الذى شغلت بتأليفه منذ سنة ١٢٨٩ هـ وعرض للبيع فى السوق كما طبع عقب ذلك مجلد «مرآة المدينة» التى تحتوى على مفاخر مهجر رسول رب العالمين ونشر.

ووفقت كذلك فى عهد السلطان الذى سهل كل شىء فى إنهاء المجلد الثالث من التاريخ المذكور تحت عنوان «مرآة جزيرة العرب»، وطبعته وعرضته على أنظار الباحثين عن الحقائق وأهديته لهم والمنة لله.

وإننى لا أتردد فى ادعاء أن مرآة الحرمين من حيث إحاطته بواقع تواريخ الأقطار الحجازية أنه أكمل التواريخ وأكثرها تفصيلاً. وإن كان بعض المؤرخين من الأسلاف قد كتبوا عدة أجزاء من التواريخ عن أحوال الأقطار الحجازية إلا أن بعض هذه الكتب خاص «بمكة المكرمة» والآخر بالمدينة المنورة كما أنهم فضلوا فى طريقة التعبير وتحرير الوقائع الإيجاز والاختصار لذا لا تجمع هذه الكتب ما تجمعه «مرآه الحرمين» بين صفحاتها من الأسرار والحكم والأخبار الإسلامية والجاهلية.

والتوفيق فى تأليف مرآة الحرمين وطبعها يعود بدون شك لما اتسم به عهد سلطاننا خليفة رسول الله من آيات التوفيق والهداية. وهذا لطف لا ينكر للعبد العاجز.

وهذا مظهر من مظاهر لطف الله الذى سأتباهى وأفتخر به إلى يوم القيامة وقد أنهيت مرآة الحرمين بهذا المقال العربى.

التحدث بالنعمة:

قد أحسن واهب النعم ـ سبحانه وتعالى ـ بإتمام كتابى المنقسم إلى ثلاثة مجلدات والمسمى «مرآة الحرمين» وقرت به من أهل الإخلاص والصفا كل عين، وقد وفق الله فجاء أكمل من أكثر التواريخ التى صنفت بشأن البلدتين المباركتين على أنه نظم ما فى البلدتين من المآثر وذكر ما لها من المفاخر. وجمع ما يحتاج إليه القارئ من أخبار تلك الديار الزكية فى الإسلام والجاهلية، وأتى بفضل الله بغوامض وأسرار تاريخية جليلة حافلة بغرر الفوائد الجميلة ولم يجتمع كل ذلك فى كُتُبٍ أخر وما ذلك إلا بعناية روح سيد البشر وصاحب التاج والمغفور له عليه صلوات الله وأكمل تسليمات الله وبنفحة آله الطاهرين وأصحابه المرضيين وقد ساعد على جمعه وترتيبه وطبعه والانتهاء من تأليفه فى زمن سيدنا ومولانا الخليفة المعظم ظل الله فى العالم، حضرة أمير المؤمنين وناصر كلمة الحق والدين الملك المنصور المعان إمامنا الغازى السلطان عبد الحميد خان نصره الرحمن.

وإنه أيد الله شوكته وصان دولته، نشط الهمم بالتفاته للعلوم وأصحابها والمعارف وأربابها، وتباهت أيامه على الأيام السالفة بوجوده الكريم، وافتخرت على الأعصار الخالية بتموج بحر إحسانه العميم، فعلى هذه التوفيقات الصمدانية، منا فى كل آن، الشكر لله وعلى هذه النعم الجمة الربانية، فى كل طرفة عين الحمد لله.

اللهم إنى أسألك بحرمة القرآن القديم، والذكر الحكيم وبحبك لنبيك الكريم، أن تجعلنا من خاصة أهل التوحيد، واكتبنا فى ديوان عبيدك الذين أطلقتهم من وهدة التقييد، وأثبتنا فى دفاتر الصديقين، واحشرنا مع عبادك الصالحين، تحت لواء نبيك سيد المخلوقين وإمام المرسلين «عليه أفضل الصلوات وأشرف التسليمات» وألزمنا بسلك الفقراء والأولياء الأبطال، ووفقنا للتخلق بأخلاقهم الشريفة فى جميع الأفعال والأقوال، واختم لنا بالصالحات وأمتنا عند ختام الأجل على الإيمان الكامل يا مجيب الدعوات، وصل وسلم على نبيك وسيد رسلك وحبيبك سيدنا ونبينا وشفيعنا محمد ﷺ وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين وآل كل وصحب كل أجمعين والحمد لله رب العالمين.

يقول العبد الفقير مؤلفه كان الله له ولوالديه وللمسلمين.

تم تأليف وطبع هذا التاريخ الخصوصى المسمى «مرآة الحرمين» بفضل الله وعونه فى أوائل جمادى الآخرة سنة ست وثلاثمائة وألف من هجرة النبى الأعظم صاحب العز والشرف.

التقريظ الذى كتبه الشيخ محمد ظافر يجامل به العبد العاجز جامع هذه الحروف.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الإنسان من العدم، وشمله بأنواع اللطف والنعم، والفضل والكرم، علمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيما، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، وبعد فقد أطلعت على الكتاب الذى جمع معاهد أرض الحجاز، والتزم فيه مؤلفه «رضى الله عنه» الحقيقة لا المجاز، ووسمه بمرآة الحرمين الشريفين ولا غرو فإنه اسم على مسمى من غير شك ولا تردد وكيف لا وجامعه الهمام الأوحد والأديب الفاضل المفرد، ذو السعادة أيوب صبرى باشا حفظه الله تعالى وبلغه من كل خير ما شاء ووفقه لجميع الخيرات بجاه سيد السادات ﷺ آمين.

كتبه خادم الفقراء محمد «ظافر المدنى» كان الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

مرآة الجزيرة العربية ٧

الوجهة الأولى

فى ذكر أنساب العرب وأحوال قبائلها وملوكها قبل الإسلام ٩

الصورة الأولى: فى ذكر أنساب الأمم السابقة من العرب وأحوالها ١١

- أقوام العرب ١١
* العرب البائدة ١١
- عاد الأولى بين إرم بن سام بن نوح ١١
- ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح ١١
- العمالقة ١٢
- طسم ١٢
- جديس ١٢
- أميم ١٢
- بنوجرهم الأول ١٢
- حضرموت ١٣
* العرب العاربة ١٣
* العرب المستعربة ١٤
* العرب المستعجمة ١٦

الصورة الثانية: فى التعريف بأحوال القبائل العربية فى الجاهلية والإسلام ... ١٨

- أهل المدر ١٩
- أهل الوبر ١٩

الصورة الثالثة: فى ذكر ملوك الجزيرة قبل الإسلام ٢٤

- ملوك عاد الأولى ٢٤
- قوم ثمود ٢٥

- ملوك اليمن ٢٦
- سد مأرب - العرم - سبل العرم ٢٨
- ملوك الغساسنة ٣٣
- المناذرة ٣٤
- بنوجرهم ٣٤

الوجهة الثانية

فى ذكر الخلفاء والملوك المسلمين الذين

ظهروا فى جزيرة العرب بعد ظهور الإسلام ٣٧

الصورة الأولى: فى أحوال رسول الله ﷺ وذكر الملوك المسلمين الذين ظهروا فى جزيرة العرب بعد ظهور الإسلام ٣٩
- ذكر نبينا ﷺ ٣٩
- الخلفاء الراشدون ٣٩
- الملوك الأموية ٤٠
- العباسيون ٤٣
- الفاطميون ٤٣
- الدولة الأيوبية ٤٤
- العباسيون فى مصر والملوك التركمانية ٤٥
- الملوك التركمانية ٤٦
- الملوك الشراكسة ٤٦
- السادة الكرام ٤٦
- كيفية تأسيس ولاية مكة وصورة تشكيلها ٤٧
- جدول بأسماء الذين تولوا ولاية مكة المكرمة ٤٨
- تبعية المدينة المنورة لمكة المكرمة ٥١
- جدول بأسماء من تولى منصب الولاية بالمدينة المنورة فى العهود الإسلامية المختلفة ٥١

ـ أمراء الحرمين ٥٩
* أمراء مكة ٥٩
١- طبقة سادات بنى حسن ٥٩
٢- الطبقة الثانية من الأشراف الحسنية ٦١
٣- الطبقة الثالثة ٦٥
٤- الطبقة الرابعة ٦٧
الشريف حسن بن عجلان ٧٤
الشريف بركات بن حسن بن عجلان ٧٥
الشريف أبو نمى ٧٧
رؤيا حاجب السلطان سليم النبى ﷺ ٧٨
خلاصة واقعة جلالى ٨١
جدول بأسماء السادة الأشراف الذين سعدوا بتولى
إمارة مكة المكرمة ٨٤
الطبقة الأولى منهم ٨٤
الطبقة الثانية ٨٥
الطبقة الثالثة ٨٦
الطبقة الرابعة ٨٦
* أمراء المدينة ٩٢
جدول يشتمل على أسماء السادة الكرام الذين سعدوا
بتولى إمارة المدينة المنورة ٩٦
الصورة الثانية: فى ذكر الخارجين فى البلاد اليمنية ٩٨
جبلة بن الأيهم من ملوك الفساسنة ١٠٠
بنو طاهر ١٠٠
الأشراف الحسينية ١٠٢
الصوورة الثالثة: فى بيان ظهور طائفة القرامطة ١٠٤

الاختلافات التى حدثت فى الأذان ١٠٧
التسبيح على المآذن ١١٥

الوجهة الثالثة

الأحوال الجغرافية لجزيرة العرب ١١٩
الصورة الأولى: الموقع الجغرافى ١٢١
الصورة الثانية: فى ذكر البحار التى تحيط بالجزيرة العربية ١٢٣
البحر الأحمر ١٢٣
بحر عمان ١٢٤
خليج البصرة ١٢٤
بلاد الحجاز ١٢٥
جبل سيناء ١٢٥
جبل حوراء ١٢٥
الصورة الثالثة: فى بيان الطبيعة الجغرافية لبلدتى جدة والطائف ١٢٧
جدة ١٢٧
الطائف وآثارها ١٣٩
الصورة الرابعة: فى تعريف ينبع ورابغ وخيبر وحناكية ١٤٦
بعض أحوال الأراضى الحجازية ومحاصيلها الداخلية
وطريقة معيشة سكانها وصورة إدارتهم ١٥٠

الوجهة الرابعة

فى ذكر الطرق الرئيسية بالجزيرة العربية ١٥٣
الصورة الأولى: الطريق السلطانى ١٥٥
الصورة الثانية: طريق الفرع ١٥٩
الصورة الثالثة: طريق المدينة الذى يسمى «غاير» ١٦١
الصورة الرابعة: الطريق الشرقى بين المدينة ومكة ١٦٣
الصورة الخامسة: طريق ينبع البحر ١٦٥

الصورة السادسة: الطرق الأخرى التى تؤدى إلى مكة المعظمة ١٦٦
ـ أسماء الذين تولوا إمارة الحج منذ فتح مكة إلى سنة ٣٣٥ الهجرية ١٨٥

الوجهة الخامسة:

فى بيان القبائل العربية الساكنة فى الأقصار الحجازية ١٩٩

الصورة الأولى: فى بيان القبائل العربية الساكنة فى الأقطار الحجازية ٢٠١
ـ بنو هاشم (الأشراف والسادة) ٢٠١
ـ قبيلة عنزة ٢٠٣

الصورة الثانية: قبيلتى حويطات وجهينة ٢٠٦

الصورة الثالثة: عربان قبائل نخاولة وبنى حرب ٢١٠

الصورة الرابعة: قبائل مطير وبنى سليم وبنى عتيبة وقريش وهذيل وثقيف وبنى عدوان ٢١٣

الصورة الخامسة: القبائل العربية التى تسكن بين مكة وجدة وقنفذة وفى ساحل البحر الأحمر (وتهامة الحجاز) ٢١٧
بنو لحيان، وبنو جحادلة ٢١٧

الصورة السادسة: فى تعريف اليمن وملحقاته والقبائل المستقرة فيه ٢١٨
ليت ٢١٩
قنفذة ٢٢٠
اللحية ٢٢١
أبو عريش ٢٢١
الحديدة ٢٢١
المخا ٢٢٢
عدن ٢٢٢
وادى كننونه ٢٢٢
نفس اليمن وصنعاء ٢٢٤

زراعاتها وخيراتها ٢٢٥
عربان عسير ٢٢٧
قحطان ٢٢٧
بنى مطر ٢٢٨
بلاد حضرموت ومكلا وشحر وتريم ٢٢٩
الوديان (وادى حجر ـ دوغن ـ ليسر ـ العين ـ عمد ـ
رخية ـ دهر ـ ابن راشد) ٢٣١
قبائل يافع وعواليق ٢٣٣
آل حموم وبنى بنى الله هود ومناهل ومهرا ٢٣٤
ظفار ٢٣٥
بلاد عمان ٢٣٦
مسقط ٢٣٩
عمان ٢٣٩
زنجبار ٢٤٠
سقطرة ٢٤٠
الحسا ٢٤٠
القبائل العربية فى إقليم الحسا ٢٤٣
(المرة ـ بنوهاجر ـ بنو خالد ـ آل عريعر ٢٤٤
منطقة نجد ٢٤٦
شعرا ٢٤٧
تمن ٢٤٧
القبائل العربية التى تسكن نجد (عنزة ـ الذويبى ـ
عجمان ـ قحطان ـ الدواسر) ٢٤٨
بيان القبائل الخاضعة لإدارة شيخ جبل شمر ٢٤٩
مقال فضل باشا فى وصف جزيرة العرب ٢٥٠

عادات العرب وأيامهم ومذاهبهم القديمة ٢٥٣
أولاً: العادات القديمة ٢٥٣
ـ واد البنات ٢٥٥
ـ الوسم ٢٥٥
ـ التعميه والتفقية ٢٥٥
ـ مداواة العسر ٢٥٥
ـ ضرب الثور على النفر ٢٥٥
ـ بكاء المقتولين ٢٥٦
ـ رمى السن ٢٥٦
ـ خضاب النحر ٢٥٦
ـ نصب الراية ٢٥٦
ـ جزّ النواصى ٢٥٦
ـ الالتفات ٢٥٦
ـ النهق ٢٥٦
ـ السلوان ٢٥٧
المذهب القديم والعدول عن دين إبراهيم عليه السلام
إلى المذاهب الباطلة ٢٥٧
صلاة الجنازة فى الجاهلية ٢٥٩
النظم والقوانين الجديدة عند العرب ٢٦١
الخمسة، والسمية ٢٦١
صيغة اليمين ٢٦٤
المجيودة ٢٦٤
عاني ٢٦٥
المنن ٢٦٦
توضيح المجبودة ٢٦٦

صورة تأدية الدية ٢٦٩
وجوه (ومعناها) ٢٦٩
القواعد المرعية بين العرب لأجل الوجوه ٢٦٩
رفقة الطريق وما يتعلق بها ٢٧٢
التبييضية ٢٧٢
رفيق الجنب ٢٧٣
طنيب الطنب ٢٧٤
المعاونة للدخيل (إغاثة الملهوف) ٢٧٥
حفظ الأمانات ٢٧٧
الملحس ٢٧٨
الجُرّة (قص الأثر) ٢٨٠
تتبع أخبار الأحداث ٢٨٣
سياسة الأمراء ٢٨٤
* قضاة وفقهاء الحكومة العربانية ٢٨٨
الطب العربى ٢٩١
داء الداهنة ٢٩٤
الكرم العربى ٢٩٧
معجزة ٣٠٠
تحمل البدو للجوع والعطش ٣٠١
* غزوات العرب وأيامهم وما يتعلق بذلك من عاداتهم وتقاليدهم ٣٠٣
الغزوة ٣٠٣
مناخ ٣٠٦
الجرود ٣٠٦
يوم أبيض ٣٠٨

التدابير والحيل الحربية ٣٠٩
لصوصية البدو ٣١٠
* الأعراف والعادات المتبعة فى تربية الأطفال والختان
والولائم ٣١٢
تربية الأطفال ٣١٢
صورة التأهيل وأصول الزواج ٣١٣
حفل الختان ٣١٥
النخيل ٣١٨
الخيل ٣١٨
الوسم ٣١٩
حماية الأراضى المنبتة ٣٢٢
خاتمة ٣٢٣
لتحدث بالنعمة ٣٢٤
تقريظ ٣٢٥
المحتويات ٣٢٧